

عجايب المقدور في اخبار تيمور

للشيخ

شهاب الدين احمد المعروف بابن عرب شاه

طبع

في مطبع اردوگائڈ فی بندر

كلكته

باهتمام العبد الحقير المقر بالتقصير

كبير الدين احمد

فی اواخر الشعبان سنه ١٢٩٩ هجريه

سنه ١٨٨٢ع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي على منوال ارادته و تدبيره تُنسَجُ مقاطعُ الامور * و من ينبوع قضائه الى لُجج قدَره يجري تيّارُ الاعامر و الدُّهور * اذاق بعض بني آدمَ بأسَ بعضٍ ليَبلُوهم ايُّهم احسَنُ عملاً وَ هُوَ العزيزُ الغفورُ * و ارسل عليهم في القرنِ الثامن من الهجرة بِحارَ فتنٍ اقبلتْ كقِطَعٍ من الليل المُظلِم لم يدرِ احَدٌ ما هي ماذا هي تَمُور * احمدُه حمدَ من كان على شفا حُفرة من نارها فانقَذه منها * و اشكرُه شكرَ من ورَّطه فيها عدلُه فانجَتْه ايادي فضلِه عنها * و اشهدُ انْ لا اله الا اللهُ الحَكمُ العدْلُ * الذي يقتَصُّ للمظلوم من الظالم يومَ الفَصْل * واشهد أنَّ سيدَنا محمدا عبدُه و رسولُه الذي ارسلَه رحمةً للعالَمين * و جعلَه رسولَ اللهِ و خاتَمَ النبيين * فاخبَرَ صلى الله عليه و سلم عن السِّرِ المَصون * و نَبَّأ بما كان في الأزَل و بما يكون الى يوم يُبْعَثون * و استعاذ من غلَبة الدَّين و قَهر الرجال * و من فتنة المحيا و الممات و من فتنة المسيح الدَّجّال * صلى الله عليه صلوةً تُذكي المِسْكَ الاذفرَ في صُدور الكُتُب و التواريخ * و تُدني لقائلها في دار الجزاء ثَمرات الحَسنات من اعلى الشَّماريخ * و على آله و اصحابه الذين افاضوا سُيولَ الفتح في الاقاليم فغَمروها * و شيَّدوا اركان الاسلام و اثاروا الارضَ بالايمان

و عمّروها بالعدل و الاحسان اكثر مما عمّروها * و سلّم تسليما عزيزا * دائما ابدا كثيرا *

اما بعدُ فلما كان في التواريخ عبرةٌ لمن اعتبرَ* وتنبيه لمن افتكر * و اعلامٌ بانّ قاطنَ الدنيا على سفر * واحضارٌ لصورة من مضى و غبر * كيف قدر واقتدر * و نهى و امر * و بغى و عمر * و خذّل و ختر * و عاقب و قهر * و كسر و جبر * وجمع و ادّخر * وتكبر و فخر * وكيف عبس وبسر * و ضحك و استبشر * و تقلّب في اطواره من الطفوليّة الى الكبر * الى ان قلّبته ايدي الغِيَر * و اختطفته و هو آمِنٌ مما يكون بمخاليب القضاء و القدر * تخالط ما صفا من عيشه الكدر * وتنغّص حتى ذهب عنه ما حلا و مرّ * ان في ذلك لعبرة لمن اعتبر * و تذكرةً لمن اذّكر * و تبصرةً لمن استبصر * وكان من اعجب القضايا * بل من اعظم البلايا * الفتنةُ التي يحارُ فيها اللبيب * و يدهش في دُجى حندسها الفطنُ الاريب * وسفّهُ فيها الحليم * و ذلَّ فيها العزيزُ و هانَ الكريم * قصةُ تيمور راسِ الفسّاق * الاعرج الدجّال الذي اقام الفتنةَ شرقا و غربا على ساق * اقبلت الدنيا الدنيّةُ عليه فتولّى و سعى في الارض ليفسد فيها و اهلك الحرث و النسل* وتيمّمَ حين عمّته النجاسةُ صعيدَ الارض فغسّل بسيف الطغيان كلّ اغرّ محجّلِ فتحققت نجاسته بهذا الغسل * اردتُ ان اذكرَ منها ما رأيته * و اقصّ في ذلك ما رويته * اذ كانت احدى الكُبَر * و امَّ العِبَر * و الداهيةَ التي لا يرضى القضاءُ في وصفها بذا القَدَر * والله اسأله الهامَ الصدق * و سلوكَ طريقِ الحق * انّه وليُّ الاجابه * و مسدّدُ سهم المرام الى غرض الاصابه * و هو حسبي ونعمَ الوكيل *

فصل

في ذكر نسبه و تدريج استيلائه على الممالك و مبده

اسمُه تيمور - بتاء مكسورة مُثناة فوقاً و ياء ساكنة مثناة تحتا و واو
ساكنة بين ميم مضمومة و راء مهملة - هذه طريقةُ املائه * و في التصريف
ربة بنائه * لكن كُرَةُ الالفاظ الاعجميّة * اذا تداولها صولجانُ اللغة
العربية * خرّطها في الدوران على بناء اوزانها * و دحرجها كيف
شاءَ في ميدان لسانها * فقالوا في هذا تارةً تمُور و اخرى تمَرلنك *
و لم يجر عليهم في ذلك حَرَجٌ و لا ضنك * و هو بالتّركيّ الحديد
بن ترغاي بن ابغاي - و مسقط رأس ذلك الغدار * قرية تسمى
خواجة ايلغار * و هي من اعمال الكَش * ابعدها اللهُ من الكَش *
و الكشّ مدينة من مدن ماوراء النّهر * عن سمرقند نحو من ثلث عشر
شهر * قيل رُئِيَ ليلةَ وُلِدَ كأنّ شيًا شبهَ الخوذة ترائي طائرا في عنان
الجو * ثم سقَط الى فضاء الجوّ * ثم انبثّ على الارض و انتشر *
و تطاير منه مثل الجمْر و الشرر * و تراكم حتّى ملأ البدو و الحضر *
و قيل لما سقَط الى الارض ذلك السقيط * كانت كفّاه مملوّتين
من الدم العبيط * فسألوا عن احواله الزواجرَ و القافه * و تفحّصوا
عن تاويل ذلك من الكهَنة و اهل العيافة * فقال بعضهم يكون
شُرطيا * و قال بعض يصير لِصّا حراميا * و قال قوم بل قصّابا
سفّاكا * و قال آخرون بل يصير جلادا بتّاكا * و تظافرت هذه الاقوال *
الى ان آل امرُه الى ما آل * و كان هو و ابوه من الشّدادين *
و من طائفة اوباشٍ لا عقل لهم و لا دين * و قيل كانا من الحشم
الرجّاله * و الاوباش البطّاله * و كانت ماوراء النهْر مأواهم * و تلك
الضواحي مَشتاهم * و قيل كان ابوه إسكافا فقيرا جدا * و كان هو

شابا حديدا جلدا * و لكنه لما كان به من القلة يتحرم * و بسبب تلك الاجرام يتضرر و يتضرم * ففي بعض الليالي سرق غنمة و احتملها * فضربه الراعي في كتفه بسهم فابطلها * و ثنى عليه بآخر في فخذه فاخطلها * فازداد كسرا على فقره * و لوما على شره * و رغبة في الفساد * و حنقا على العباد و البلاد * و طلب له في ذلك الاضراب والنظراء * و عشي عن ذكر الرحمن فقيض له من الشياطين القرناء * مثل عباس و جهان شاه * و قماري و سليمان شاه * و ايدكو تيمور و جاكو و سيف الدين نحو اربعين * لا دنيا لهم و لا دين * و كان مع ضيق يده * و قلة عدده و عدده * و ضعف بدنه و حاله * و عدم ماله و رجاله * يذكر لهم انه طالب الملك * و موارد ملوك الدنيا موارد الهلك * و هم في ذلك يتغافلون عنه هذا النقل * و ينسبونه الى كثرة الحماقة و قلة العقل * و يدنونه منهم و يقبلون اليه * ليسخروا منه و يضحكوا عليه * شعر

ان المقادير اذا ساعدت * الحقت العاجز بالحازم

فشرع فيما يقصده * والقضاء يرشده والقدر ينشده * شعر

لا يوئسنك من مجد تباعده * فان للمجد تدريجا و ترتيبا

ان القناة التي شاهدت رفعتها * تنمو فتنبت انبوبا فانبوبا

وكان في بلد الكس شيخ يسمى شمس الدين الفاخوري وهو معتقد تلك البلاد * و عليه لكل من قصد شيا من امر الدين و الدنيا الاعتماد * فذكر ان تيمور وهو فقير عاجز * بين عز موهوم و ذل ناجز * لم يكن له سوى ثوب قطني و انه باعه واشترى بثمنه رأس ماعز * وقصد به الشيخ المشار اليه * و عول فيما قصده عليه * و قد ربط بطرف حبل عنق ذلك العناق * و ربق عنق نفسه بالطرف الآخر من ذلك

الزاق * وجعل يتشحط على عصا من جريد * حتى دخل على ذلك الشيخ المفيد * فصادفه وهو والفقراء مشغولون بالذكر * مستغرقون فيما هم فيه من الوجد والفكر * ولا زال قائما حتى افاقوا من حالهم * وسكتوا عن قالهم * فلما وقع نظر الشيخ عليه * سارع الى تقبيل يديه * واكب على رجليه * فعفر الشيخ ساعة * ثم رفع رأسه الى الجماعة * وقال كأن هذا الرجل بذل عرضه وعروضه * واستمدنا في طلب ما لا يساوي عند الله تعالى جناح بعوضة * فنرى ان نمده ولا نحرمه ولا نرده * فامدوه بالدعاء إسعافا لما طلبه * فاشبهت قضيته قضية ثعلبه * ورجع من عند الشيخ وخرج * وعرج بعد ما عرج الى ما عرج *

وقيل انه كان في بعض تجرماته ضل الطريق صورة * كما ضلها معنى وسيره * وكاد يهلك عطشا وجوعا * وسار على ذلك أسبوعا * فوقع في اثناء ذلك على خيل السلطان * فتلقاه الجشار باللطف والاحسان * وكان تيمور ممن يعرف خصائص الخيل بسماتها * ويفرق بين هجانها وهجينها بمجرد النظر الى هيآتها * فاطلع الجشار على ذلك منه * واخذ علم ذلك عنه * واد فيه رغبه * وطلب منه دوام الصحبه * وجهزه الى السلطان مع افراس طلبها منه * واخبره بفضيلته وما شاهده عنه * فانعم السلطان عليه * ووصى به الجشار ورده اليه * فلم ينشب الجشار ان مات فولى تيمور وظيفته * ولا يزال يترقى عند السلطان حتى تزوج شقيقته * ثم انه غاضبها في بعض مكافحته ومقاله * فعيرته بما كان عليه من اول امره وحاله * فسل السيف ونحاها على أنها تفر من بين يديه * فلم تكترث به ولم تلتفت اليه * فضربها ضربة ارهق بها

نفسها * واسكنها رمسها * ثم لم يسعه الا الخروج و العصيان * والتمرد والطغيان * الى ان كان من امره ما كان * وكان السلطان اسمه حسين و هو من بيت الملك و نافذ الكلمتين * و تخت ملكه مدينة بلخ و هي من اقصى بلاد خراسان * و لكن كانت بحار اوامره جارية في ممالك ماوراء النهر الى اطراف تركستان *

و قيل كان ابوه امير مائة عند السلطان المذكور * و هو بالجلادة و الشهامة بين احزابه مشهور * و يمكن الجمع بين هذه الاقاويل باعتبار اختلاف الزمان * وتنقل الاحوال و الحدثان * و الاصح ان اباه ترغاي المذكور كان احد اركان دولة السلطان * و رأيت في ذيل تاريخ فارسي يدعى المنتخب * وهو من بدو الدنيا الى زمان تيمور و هو شيء عجب * نسبا يتصل منه تيمور الى جنكيز خان * من جهة النساء حبائل الشيطان * و لما استولى تيمور على ماوراء النهر و فاق الاقران * تزوج بنات الملوك فزادوه في القابه كوركان * وهو بلغة المغول الختن * لكونه صاهر الملوك و صار له في بيتهم حركة و سكن * وكان للسلطان المذكور من الوزراء اربعه * عليهم مدار المضرة و المنفعه * هم اعيان الممالك * و برأيهم يقتدى المسالك * و الترك لهم قبائل و شعب * تكاد توازي قبائل العرب * وكل واحد من هؤلاء الوزراء كان من قبيلة * لسراج آرائه في بيوت تعميرها فتيلة طويلة * قبيلة احدهم تسمى آرلات * وقبيلة الثاني تدعى جلابر * و قبيلة الثالث يقال لها قاوجين * و قبيلة الرابع اسمها برلاس * وكان تيمور ابن رابعهم في الناس * ونشأ شابا لبيبا * مصراع * هماما ماحاز جلدا اريبا * وكان يصاحب نظراءه من اولاد الوزراء * ويعاشر احزابه من فتيان

الامراء * الى ان قال لهم في بعض الليالي * و قد اجتمعوا في مكان خالي * اخذت منهم العشرة و النشاط * و ارتفعت استار الاسرار و امتد للبسط بساط * انّ جدتي فلانه * و كانت من ذوي العيافة والكهانه * رأت مناما * ما ذاقت مثله احلاما * و عبّرته بانه يظهر لها من الاولاد والاحفاد * من يدوّخ البلاد * و يملك العباد * و يكون صاحب القران * و تذلّ له ملوك الزمان * و ذلك هو انا * و قد قرب الوقت ودنا * فعاهدوني ان تكونوا لي ظهرا و عضدا * و جناحا و يدا * و ان لاتستحيلوا عني ابدا * فاجابوه الى ما دعاهم اليه * و تقاسموا ان يكونوا في السراء و الضراء معه لا عليه * ولم يزالوا يتجاذبون اطراف هذا الكلام في كل مقام * و يتفاوضون فيض غدير هذا الغدر من غير احتشام و اكتتام * حتى آنس برقه قاطنٌ كلِ مصرٍ و شام * و خاضَ في حديثه كل قديم هجرة من خاصٍ و عام * و شعر به السلطان * و علم ان خلافه في دوح المملكة بان * فاراد ان يردّ كيده في نحره * و يريح الدنيا من شره و العباد و البلاد من عاره و عرّه * و يعمل بموجب ما قيل شعر

لايسلمُ الشرفُ الرفيعُ من الاذى * حتى يُراقَ على جوانبه الدمُ

فاخبره بذلك بعض الناصحين فخرج * و هوى الى حضيض العصيان و هو سالم فعرج * و يمكن انه في بعض هذه الاوقات * و اثناء هذه الحالات * توجه الى الشيخ شمس الدين المشار اليه * و استمده كما ذكر فيما عوّل عليه * فانه كان يقول جميع ما نلته من السلطنه * و فتحته من مستغلقات الامكنه * انما كان بدعوة الشيخ شمس الدين الفاخوري * و همة الشيخ زين الدين الخوافي * و ما لقيت بركةً الا بالسيد بركه * و سياتي ذكر زين الدين و بركه * ثم

قال تيمور ما فُتِحتْ ابواب السعادة و الدولة عليّ * و لا ضحكتْ عَروس فتوحات الدنيا اليَّ * الا من سِهام سِجِستان * و من حين اصابني ذلك النقصان انا في ازدياد الي هذا الاوان * و الظاهر ان بُدُوّ امره و خروجه في تلك الفِتَه * كان فيما بين الستين و السبعين و السبع مائة * و قال لي شيخي الامام العالم العامل الكامل المكّمل الفاضل * فريد الدهر * وحيد العصر * علاّمة الوري أستاذ الدنيا علاءالدين * شيخ المحقّقينَ و المدقّقين * قطْب الزمان * مرشد الدوران * ابو عبدالله محمد بن محمد بن محمد البُخاري نزيلُ دِمَشْق ادام الله تعالي ايام حيوته * و امدَّ الاسلام و المسلمين بميامن بركاته * في شهور سنة ستّ و ثلثين و ثمانمائة ان تميور قتل السلطان حسين المذكور * في شعبانَ سنة إحدي و سبعين و سبع مائة * و من ذلك الوقت استقلّ بالمُلك * و كانت وفاته في شعبانَ سنة سبع و ثمانمائة علي ما سيأتي * فمدة استيلائه مستقلًّا ستة و ثلثون سنة و ذلك خارج عن مدة خروجه و تحرّمه الي حين استيلائه * و لما خرج صار هو و رفقاوه يتحرّمون في بلاد ماوراء النهرْ * و يعاملون الناس بالعدوان و القهرْ * فتحرك لدفعهم كلّ ظاعن و ساكن * و ضيقوا عليهم تلك المغاني و الاماكن * فقطعوا جَيْحُونَ و صَفَرَ منهم ذلك المكان * فاشتغلوا بالمحرّم في بلاد خُراسان * خصوصا في نواحي سِجِسْتان * و لا تسألْ عما افسد في مفاوز باورد و ماخان * فذهب بعضَ الليالي و قد اضرّبهم السغب * و اشتعل فيهم من الجوع اللهب * فدخل حائطا من حوائط سجستان * قد اوي اليه بعض رِعاء الضأن * فاحتمل منها رأسا و ادبر * فشعُربه الراعي و ابصر * فاتبعه للحَيْن * و ضربه

بسهمين * اصاب باحدهما فخذه * و بالاخر كتفه * فلله دره ساعدا
اذ ابطل بهذ الضرب الموزون نصفه * ثم ادركه و احتمله * و الى
سلطان هراة المسمى بملك حسين اوصله * فجعل ضربه امرّ بصلبه *
و كان للسلطان ابن رأيه غير متين * يدعى ملك غياث الدين *
فشفع فيه * و استوهبه من ابيه * فقال له ابوه انه لم يصدر عنك
ما يدل على صلاحك * و يسفر عن نجابتك و فلاحك * و هذا
جغتائي حرامي مادة الفساد * لئن ابقي ليهلكن العباد و البلاد *
فقال ابنه و ما عسى ان يصدر من نصف آدمي * و قد أصيب
بالدواهي و رمي * و لا شك ان اجله قد اقترب * فلا تكونن في
موته السبب * فوهبه اياه * فوكل به من داواه * الى ان اندمل
جرحه * و برئ قرحه * فكان في خدمة ابن سلطان هراه * من اعقل
الخدم و اضبط الكفاه * فتوفرت عنده حرمته * و ارتفعت درجته
و سمعت كلمته * فعصى من نواب السلطان * نائبه المتولى على
سجستان * فاستدعى تيمور ان يتوجه اليه * فاجابه الى ذلك و
عوّل عليه * و اضاف اليه طائفة من الاعوان * فوصل الى سجستان *
و قبض على نائبها المتمادي في العصيان * و استخلص اموال
تلك البلاد * و اخذ من اطاعه من الاجناد * و تلا آية العصيان بالجهر *
و ارتحل بمن معه الى ماوراء النهر * و قيل بل كان * في خدمة
ابن السلطان * الى ان ودع ابوه الحيوة و انتقل * و استقر ولده
و استقل * فعند ذلك هرب تيمور الى ماوراء النهر * و قد قوي منه
الرأس و الظهر * و كان اذ ذاك قد اجتمع عليه رفقاؤه * و انحاز اليه
اصحابه المتخربون و عشراؤه * فارسل غياث الدين الطلب وراءهم *
و قصد ان يكفي المسلمين شرهم و عناءهم * و هيهات فقد كان سبق

المذلّ السيفَ * و ضيّع اللّبنَ فى الصَّيْف *

ذكر عبوره جيحون على فتره - و ماجرى من عبرات بهذه العبره

فوصل تيمور و جماعته الى جيحونَ و كان اد ذاك مثلهم طاغيا * و لم يمكنهم التواني لان الطلب كان شبيههم باغيا * فقال تيمور لاصحابه النجاء النجاء * ليتّعلق كل منكم بعنان فرسه و معرفته و ليُلق نفسه في الماء * و تواعدوا الى مكان * وقال توجهوا من غير توان * فمن لم يأت الموعد * يُعلم انه قد فُقد * فتهافتوا هم و خيولهم في ذلك الماء العجّاج * و التيّار الزخّار و الامواج * تهافُتَ الفَراش على السراج * و لم يعلم واحد منهم حال الاخر * و لا اطّلَع من تقدّم منهم الى امر من تأخر * و كابدوا احوال الموت * و شاهدوا اهوال الفوت * فنجوا و لم ينقُصْ منهم واحد * و اجتمعوا الى ذلك الموعد * و ذلك بعد ان آمنت منهم البلاد * و اطمأنّ في مسالكها كُل رائح و غاد * فجعلوا يتجسّسون الاخبار * و يتتبّعون الاثار * و يُحاربون اللّهَ و رسولَه * و يؤذون عباده و يقطعون سبيله * و لم يزل على ذلك بجري و يمشي * الى ان وصل مدينة قرشي *

ذكر ماجرى له من خبطه * في دخوله الى قرشي وخلاصه من تلك الورطه

فقال يوما لاصحابه * وقد اضّربه الدهر و ضرابه * و اخصب منهم ربْعُ الفساد و اعشب * إنّ بالقرب منا مدينة نَخْشَب * مدينة ابي تراب النخشبي رحمة الله عليه مدينة مصونه * مُسَوَّرةٌ مكنونه *

لئن ظفرنا بها لتكونن لنا ظهرا و ملاذا * وملجا و معاذا * و ان حاكمها موسى لو حصّلناه * و اخذنا ماله و قتلناه * لتقوينا بماله من خيول و عُدّه * و لحصل لنا فرج بعد شدة * و انا اعلم لها من ممر الماء دربا * هيّن الدخول واسعا رحبا * فسمروا ذيلهم * و تركوا في مكانٍ خيلهم * و استعملوا في نيل مرادهم ليلهم * و دخلوا حبس المدينة و قصدوا بيت الامير * و رفعوا يدهم فصادفوا يدهم و الحصير * و كان الامير فى البستان خارجَ البلد * فاخذوا ما وجدوا له من اسلحة و عُدَد * و ركبوا خيله * و قتلو من وجدوا من الاكابر غيله * فاجتمع عليهم اهلُ البلد * و ارسلوا الى الامير فادركهم بالمدد * فتراكم البلاء باطنا و ظاهرا * فلم يجدوا لهم سوى الاستسلام ناصرا * و قال له اصحابُهُ لقد القينا بانفسنا الى حقيقة الهلاك من هذا المجار * فقال لا عليكم ففي مثل هذه المواطن يُمتَحن الرجل وبراز * فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا * و اندفعوا نحوَ باب المدينة يدا واحدة زحفا * حاطمين على العدو * من غير توان و لا هُدُوّ * فانى اظن انه لا يتثبّت لكم شئ * و لا يقف امامكم حي * فامتثلوا امره و رفعوا الصوت * و قصدوا الباب خائضين غمار الموت * و هجموا على العساكر هجوم الليث * و اندفقوا اندفاق الغيث * ففُتِحَ لهم عند فتح الباب * لامر يريده مسبب الاسباب * فلم يلو امامهم احد على احد * و لا نفعه ما هو فيه من العُدد و العَدد * ثم انتذوا الى مكانهم سالمين * و لم يزالوا على ذلك عائثين عابثين * و اجتمع عليهم اصحابهم * و انحاز اليهم فى الفساد اضرابهم * فصاروا نحوا من ثلث مائة * وبمن يتحيزُ اليهم من اهل الشرفئة * فارسل السلطان اليهم عسكرا غير مكترث

بهم فكسروه * و استولوا على حصن من الحصون فجعلوه معقلا لكل ما ادخروه * قلت شعر

لا تحقرنّ شأنَ العدو و كيده * فلربما صرع الاسودَ الثعلبُ

و قيل ان البعوضة تدمي مقلة الاسد * وقيل فربما قُمِرتْ بالبيذق الشاه *

ذكر من اسر في فتنة ذلك الجاف * واستعبده من احرار ملوك الاطراف

و ارسل تيمور الى ولاة بلخشان * و كانت الولاية بها لاخوين و هما بها مستقلان * تلقيا ذلك عن ابيهما * و كان السلطان نزعها من ايديهما * ثم اقرهما فيها على ان يكونا من تحت امره * و استرهن والاهما عنده فصارا اسيري قهره * فلما راسلهما تيمور على طاعته اجاباه و دخلا تحت كلمته *

ذكر نهوض المغل على السلطان * وكيف تضعضعت منه الاركان

ثم ان المغل نهضت من جهة الشرق علي السلطان حسين * فاستعد لهم و قطع جيحون و وقع الحرب بين الجهتين * فانكسر السلطان * فراسلهم ايضا ذلك الجان * واسم حاكمهم قمَرالدين خان * فاجابوا مراده * و اقتفوا ما اراده * و سلطوه على السلطان * ليستخلص من يده بلاده * و واعدوه بمصاهرتهم * و امدوه بمظاهرتهم * و رجعوا الى بلادهم * وقد سلموه زمام قيادهم * فقويت بذلك شوكته * و سكنت القلوب هيبته * فلم يسع السلطان * الا بذل الجهد و الامكان * في اطفاء نائرته * و قطع دابرته * فجمله نصب عينيه * و توجه

بنفسه اليه * بعسكر جرار * كالبحر الزخار * حتى انتهى الى مكان يسمى قاغلغار * وهو صُدَفان بينهما مضيق * هو الجادة العظمي و الطريق * يسير المارُّ في ذلك مقدار ساعة * و في وسْط الدَّرْب باب اذا أغلق و أحمِيَ فلا شيء مثله في المناعة * و حوالَيْه جبال كل منها عِرْنينَهُ قد شمخ * و قدَمه قد غاص تبرثا و رسخ * فصحَّ ان يُقال فيه أنْفٌ في السماء * و إسْتٌ في الماء * فاخذ العسكر فم ذلك الدربند * من جهة سمرقند * و تيمورُ على الجانب الاخر * وهو كالمضايق والمحاصر *

ذكر الحيلة التي صنعها * والخديعة التي ابتدعها

فقال تيمورُ لاصحابه إني اعرف هنا جادة خفيه * مسالكها ابيه لا تطأها الخُطا * ولا يهتدي اليها القطا * فهلُمَّ نسري ليلنا * و نَقُود في المسرى خيلنا * فنُصبحهم من ورائهم وهم آمنون * فان ادركناهم ليلا فنحن الفائزون * فاجابوه الى ذلك * و شرعوا في قطع تلك الوُعور و المسالك * و ساروا ليلَهم اجمع * و بلغ الفجرُ المطلع * فادركهم الصباح و لم يدركوا الجيش * فضاقت عليهم الارضُ بما رحُبَتْ و تنكَّدَ لهم العيش * و لم يمكنهم الرجوع * و أذَنت الشمسُ بالطلوع * فوصلوا الى العسكر و قد اخذ في التحميل * و عزم على الرحيل * فقال اصحابهُ بئس الرأيُ فعلنا * في قبضة العدو حصلنا * وقد وقعنا في الاشراك * والقينا بايدينا انفسنا الى الهلاك * فقال تيمور لا ضرر * توجهوا نحو العسكر * وانزلوا بمرأىً منهم عن خيلكم * و اتركوها ترعى و اقضوا من وِرْدِ النوم والراحة ما فاتكم في ليلكم * فتراموا عن خيلهم كانهم صرعى * و تركوا خيولهم ترعى * شعر *

و اذا السعادة لاحظتك عيونها * ثم فالمخاوف كلهن امان

واصطد بها العنقاء فهي حبائل * و اقتد بها الجوزاء فهي عنان

فجعل العسكر يمر بهم * و يخال انهم من حزبهم * حتى اذا استراحوا * ركبوا خيولهم و صاحوا * و وضعوا السيوف في اعدائهم * راكبين اكتافهم من ورائهم * فقتلوا قتلا ذريعا * و غادروهم جريحا و صريعا * و عم الخطب المدلهم * و لم يعلم احد البلاء كيف دهم * واتصل الخبر بالسلطان * وقد خرج التلافي عن حيز الامكان * فهرب الى بلخ * وقد سلخ من المملكة اي سلخ * و شرع تيمور في النهب * و الغارات والسلب * ثم ضبط الاثقال * و جمع الاموال * و لم رعاع الناس و المدارة * و اطاعوه و هم ما بين راض و كاره * فاستولى على ممالك ما وراء النهر * و تسلط على العباد بالغلبة والقهر * و اخذ في ترتيب الجنود و العساكر * و استخلاص الحصون والدساكر * وكان نائب سمرقند واحد الاركان * شخصا يدعى على شير من جهة السلطان * و كاتبه تيمور على ان تكون الممالك بينهما نصفين * ويكون معه على السلطان حسين * فرضي على شير بذلك * وقاسمه الولايات و الممالك * و توجه اليه * و تمثل بين يديه * فزاد في اكرامه * و بالغ في احترامه *

ذكر توجهه الى بلخشان * و استنصاره بمن فيها على السلطان

ثم انه ترك على شير بعد ما ركن اليه * و قصد بلخشان فاستقبله ملكاها و تمثلا بين يديه * و اتحفاه بالهدايا و الخدم * و امداه بالجيوش و الحشم * فسار و هما معه من بلخشان * قاصدين بلخ

لمحاصرة السلطان * فتحصن منهم فاحاطوا به من كل مكان * فاخرج
اولادهما الذين كانوا عنده في الرهان * فضرب اعناقهم بمرأى من
ابويهم * ولم يرق لهم و لا من عليهم * ثم انه ضعف حاله * و فل
عنه خيله و رجاله * فنزل مستسلما للقضاء و القدر * راضيا بما ذهب
في قضاء الله مما حلا و مر * فقبض عليه تيمور * و ضبط الامور * ثم
رد اميري بلخشان اليها مكرمين * و توجه الى سمرقند و معه
السلطان حسين * و ذلك في شعبان سنة احدى و سبعين * بعد ما
خلا من الهجرة سبعمائة سنين * و وصل الى سمرقند و اتخذها دار
ملكه * و شرع في تمهيد قواعد الملك ونظمها في نظام سياسته و سلكه *
ثم انه قتل السلطان * و اقام من جهته شخصا يدعى سيورغاتمش
من ذرية جنكيز خان * و قبيلة جنكيز خان * هم المتفردون باسم
الخان و السلطان * لانهم هم قريش الترك لايقدر احد ان يتقدم
عليهم * ولا تمكن احد من انتزاع ذلك الشرف من ايديهم * و لو
قدر احد على ذلك * لكان تيمور الذي استخلص الممالك و سلك
المسالك * فرفع سيور غاتمش دفعا للمطاعن * و قطعا للسان سنان
كل طاعن * و انما لقب تيمور الامير الكبير * و ان كان في امره كل
مامور منهم و امير * و الخان في اسره كالحمار في الطين * و شبيه
الخلفاء بالنسبة في هذا الزمان الى السلاطين * و استمر بعلي شير
نائبا في سمرقند و كان يكرمه * و يستشيره في اموره و يقدمه *

ذكر وثوب توقتاميش خان * سلطان الدشت وتركستان

ثم ان توقتاميش خان سلطان الدشت و التتار * لما رأى
ما جرى بين تيمور و السلطان فاردم قلبه و غار * ذلك لعلة
النسب و الجوار * و هيأ العسكر الجرار * و الجيش الزخار * و

توجه الى مصاف تيمور من جهة سغناق و انزار * فخرج اليه تيمور من سمرقند * و تلاقيا باطراف تركستان قريبا من نهر خجند و هو نهر سيحون * و سمرقند بين نهري سيحون و جيحون * فقامت بين العسكرين سوق المحاربه * و لم ينفق بينهم فيها سوى معاملات المضاربه * و لا زالت رحا الحرب تدور * الى ان انطحن عسكر تيمور * فبينا عسكره قد انفل * و عقد جنوده انحل * اذا برجل يقال له السيد بركة قد اقبل * فقال له تيمور و هو في غاية الضرر * يا سيدي السيد جيشي انكسر * فقال له السيد لاتخف * ثم نزل السيد عن فرسه و وقف * و اخذ كفا من الحصباء * و ركب فرسه الشهباء * و نفخها في وجه عدوهم المردي * و صرخ بقوله ياغي قاجدي * فصرخ بها ايضا تيمور تابعا ذلك الشيخ النجدي * و كان عباسي الصوت * فكانه دعا الابل الظماء بجوت جوت * فعطفت عساكره عطفة البقر على اولادها * و اخذت في المجالدة مع اضدادها و اندادها * و لم يبق في عسكره من جذع و لا قارح * الا و هو يقول ياغي قاجدي صائح * ثم انهم كروا كرة واحدة * بهمة متعاقدة و نهمة متعاضدة * فرجع جيش توقتا ميش منهزمين * و ولوا على اعقابهم مدبرين * فوضع عسكر تيمور فيهم السيوف * و سقوهم بهذا الفتوح كاسات الحتوف * و غنموا الاموال و المواشي * و اسروا اوساط الروس و الحواشي * ثم رجع تيمور الى سمرقند * و قد ضبط امور تركستان و بلاد نهر خجند * و عظم لديه السيد بركه * و حكمه في جميع ما استولى عليه و ملكه * و هذا السيد اختلف القول فيه فمن قائل انه كان مغربيا بمصر حجاما * فذهب الى سمرقند و تسيد بها و علا قدره و تسامى * و من قائل انه كان من

اهل المدينة الشريفه * و منهم من يقول انه من اهل مكة المنيفه *
وعلى كل حال فانه كان من اكبر الاعيان * في بلاد ماوراء النهر
و خراسان * لا سيما و قد أمدّ تيمور بهذه النجده * و خلّصه بهذه
اللطيفة المصادفة للقضاء و القدر من هذه الشدّه * و قال له تيمورُ
تَمَنَّ علي * و احتكم لديّ * فقال له يا مولانا الامير * ان ارقاف
الحرمين الشريفين في الاقاليم كثير * و من جملة ذلك اندخوي
في ممالك خراسان * و انا و اولادي من جملة مستحقي ذلك
الاحسان * و اذا افيم اصلُ ذلك و خصمه * و عُلم قضمه و خضمه *
و ضُبطت ارقافه * و مصارفُ ذلك و صرفُه * ما كانت حصتي
و حصة اولادي * افلّ من هذه التَصَبّة في هذا الوادي * فاقطعني
اياها فاقطَعَه اياها * مع مُضافاتها و اعمالها و قُراها * و هي الى الان
في يد بني اولاده * و اسباطه و احفاده *

ذكر على شير مع تيمور * و ما وقع بينهما من المخالفة و الشرور *

ثم ان تيمور وقع بينه و بين علي شير مخالفه * و انحاز الى كل
منهما طائفه * فاغتاله تيمور و ختله * ثم قبض عليه و قتله * فصفت
الممالك والولايات لتيمورَ بعض الصفا * وهرول الى طاعته من
الناس كلّ وجه و رأس كان في التآبي و قفا *

ذكر ماجرى لدعار سمرقند و الشطار * مع تيمور وكيف احلهم دار البوار *

و كان في سمرقند طائفة من الدعّار كثيرون * و هم انواع فمنهم

مصارعون و مناقفون و ملاكمون و معالجون * و هم فيما بينهم فرقتان كالقيس و اليمن * و العداوة و المقاتلة بينهم قائمة على مر الزمن * و لكل طائفة منهما رؤس * و ظهور و اعضاد و ضروس * و كان تيمور مع ابهته يخافهم * لما كان يظهرله عنادهم و خلافهم * فكان اذا قصد جانبا * اقام له في سمرقند نائبا * فاذا بعد عن المدينة خرج من تلك الجماعة طائفه * فخلعوا النائب او خرجوا مع النائب و اظهروا المخالفه * فما يرجع تيمور الا و قد انفرط نظامه * و تخبطت اموره و تشوش مقامه * فيحتاج الى تجديد و تمهيد * و تخريب و تشييد * فيقتل و يعزل * و يعطي و يجزل * ثم يتوجه لتمهيد ممالكه * و توطيد مسالكه * فيعودون الى عكرهم * و يؤبون الى ختلهم و مكرهم * و تكررت هذه القضية نحوا من تسع مرار * فضاق تيمور ذرعا بالاشرار و الدعار * فاعمل الحيلة في اغتيالهم * و كف اذاهم و استيصالهم * فصنع سورا * و دعا اليه الخلائق كبيرا و صغيرا * و صنف الناس اصنافا * و جعل كل ذي عمل الى عامله مضافا * و ميز اولئك الدعار مع رؤسائهم على حدة * و فعل معهم ما فعله انوشروان بن كيقباد بالملاحدة * و ارصد له في اخذ الاطراف انصارا * و قرر معهم ان كل من ارسله اليهم يولونه دمارا * و يكون ارساله اليهم على قتله شعارا * ثم انه جعل يدعو رؤس الناس * و يسقيهم بيده الكاس * و يخلع عليهم افخر اللباس * و اذا انفصلت النوبة من اوليك الدعار الى احد * سقاه كاسه و خلع عليه و اشار ان يتوجه به الى نحو الرصد * فاذا وصل اليهم خلعوا عنه خلعته بل و ثوب الحيوة فهتكوه * و سكبوا عسجد قالبه في بوطة الفناء فسبكوه * الى ان اتي على آخرهم * و استوفى بذلك

قطع دابرهم * ومحا آثارهم و اطفأ نارهم * فصفت له المشارع * و خلا ملكه عن مجاذب و منازع * و لم يبق له في ما وراء النهر ممانع و لا مدافع *

فصل في تفصيل ممالک سمرقند وما بين نهري بلخشان و خجند

فمن ذلک سمرقند و ولاياتها و هي سبعة تومانات * و اندکان و جهاتها و هي تسعة تومانات * والتومان عبارة عما يخرج عشرة الاف مقاتل * و في ماوراء النهر من المدن المشهورة * و الاماكن المعتبرة المذكورة * سمرقند و سورها قديما * على ما زعموا اثناعشر فرسخا * و كان ذلک على عهد السلطان * جلال الدين قبل جنكيزخان * و رأيت حد سورها من جهة الغرب قصبة بناها تيمور * و سماها دمشق و مسافتها عن سمرقند نحو من نصف يوم * و الناس الى الان يحفرون سمرقند العتيقة * و يخرجون دراهم و فلوسا سكتها بالخط الكوفي يسبكون الفلوس و يخرجون منها فضة * و من مدن ماوراء النهر مرغينان * و هي كانت التخت قديما و بها كان إيلک خان * و منها خرج الشيخ الجليل العلامة برهان الدين المرغيناني صاحب الهداية رحمه الله تعالى * و خجند و هي على ساحل سيحون * و ترمذ وهي على ساحل جيحون * و نخشب وهي قرشي المذكورة * والكش و بخارا و اندکان و هي اماكن مشهورة * و غير ذلک * و من الولايات بلخشان * و ممالک خوارزم و اقليم صغانيان * الى غير ذلک من الاطراف الواسعة * والا كناف الشاسعة * و في عرفهم ماوراء جيحون الى جهة الشرق توران * و ما كان في هذا الطرف الى جهة الغرب إيران * ولما اقتسم كيكاوس

و افراسياب البلاد * كانت توران لافراسياب و ايران لكيكاوس بن كيقباد * و عراق هو مغرب ايران *

ذكر ابتداء ما فعله من التسلط بالقهر بعد استقصائه ممالك ماوراء النهر

و لما صفت له ممالك ماوراء النهر * و ذلت لاوامره جوامح الدهر * شرع في استخلاص البلاد * و استرقاق العباد * و جعل ينسج بانامل الحيل الاشراك و الاوهاق * ليصاد بذالك ملوك الاقاليم و سلاطين الافاق * فاول ما صاهر المغول و صافاهم * وهادنهم و هاداهم * و تزوج ببنت قمرالدين ملكهم * و صار آمنا من تبعتهم و دركهم * و هم جيرانه من جهة الشرق * و لا تباين بينه و بينهم ولا فرق * اذ العلة وهي الجنسية و المصاهرة و المجاورة حاصلة للجهتين * و المادة و هي التورة الجنكيزخانية متمشاة في كلتا الدولتين * فامن شرهم * وكفي كيدهم و ضرهم *

ذكر تصميمه العزم و قصده الاطراف و اولا ممالك خوارزم

فحين امن مكرهم * وسد بالمصالحة ثغرهم * صمم العزم * على التوجه الى ممالك خوارزم * وهم مجاوروه غربا بالشام * و مباينوه بتمشية قواعد الاسلام * و تختهم مدينة جرجان * و هي من اعظم البلدان * و هذه المملكة ذات مدن عظيمة * وولايات جسيمة * تختها مجمع الفضلاء * و محط رحال العلماء * و مقر الظرفاء و الشعراء * و مورد الادباء و الكبراء * و معدن جبال الاعتزال * و ينبوع انهار اهل التحقيق من ارباب الهدى و الضلال * نعمتها كثيرة * و خيراتها غزيرة * و وجوه فضائلها مستنيرة * و اسم سلطانها حسين صوفي * و

هو من الاعتقادات الباطلة عرفي * و مدن ماوراء النهر وضع بعضها قريب من بعض* لانها كلها مبنية باللبن والآجرّ على الارض * و اهل خوارزم كاهل سمرقند في اللطافه * و افضل من اهل سمرقند في الحشمة والظرافه * يتعادون المشاعرة و الادب * و لهم في فنون الفضل و المحاسن اشياء عجب * خصوصا في معرفة الموسيقا والانغام * و يشترك في ذلك الخاصّ منهم والعام * و مماهو مشهور عنهم * ان الطفل في المهد منهم * اذا بكى او قال آه * فان ذلك يكون في شعبة دوكاه * فلما وصل تيمور الى خوارزم كان حسين صوفي غائبا عنها * فنهب حواليها و ما وصلت يده اليه منها * و لم يقدر عليها * فلم يكترث بها و لا التفت اليها * ثم لمّ اطرافَ حاشيته * وعاد الى مملكته *

ذكر عوده ثانيا الى خوارزم

ثم انه شد حزام الحزم * و كر ثانيا الى خوارزم * باستعداد تام * و جيش طام * و كان سلطانها ايضا غائبا * و اقام لجميلة بكرها خاطبا * فحاصرها * و ضاجرها * و شدد على اعناق مسالكها التلابيب * و كاد ان يتشبث باذيالها منه المخاليب * فخرج اليه رجل من اعيانها * و كان تاجرا وله قدم صدق عند سلطانها * يقال له حسن سوريج * والتمس ان يرفع عنهم ذالك الامر المريج * و ان يبذل له ما طلب * في مقابلة مايريد من اسير و سَلَب * فطلب منه حِمل مائتي بغل فضه * ترفع الى خزائنه نضّه * فلم يزل يراجعه * و يلاطفه و يمانعه * حتى صالحه على ربع سؤاله * و قام المصالح بذلك من ماله و صلب حاله * و وزن له ذلك في الحال * و اخذ

تيمور في الترحال * و كف عن الاذي شياطين جُنده * و عزم على التوجه الى سمرقنده *

ذكر مراسلته ملك غياث الدين سلطان هراه الذي خلصه من الصلب و راود فيه اباه

ثم انه راسل سلطان هراة ملك غياث الدين الذي كان مُغيثه * عملا بقوله كتب الله على كل نفس خبيثه * و طلب منه الدخول في ربقة الطاعه * و حَمْلَ الخدم و التقادم اليه بحسب الاستطاعه * والا قصد دياره * و بلّغه دماره * فارسل ملك غياث الدين يقول صحبةَ الرسول * اما كنتَ خادما لي و احسنتُ اليك * و اسبلتُ ذيل احساني و نعمتي عليك * فختلتَ و قتلتَ * و فتكتَ و فللتَ * و فعلتَ فعلتك التي فعلتَ * و ذلك بعد ان نجّيتُك من الضرب و الصلب * فان لم تكن انسانا يعرف الاحسان فكن كالكلب * فعَبَر جيحونَ و توجه اليه * فلم يكن لغياث الدين قوة الوقوف بين يديه * فارسل الى حشمه و سُكّان قُراه * فاجتمعوا هم و مواشيهم حول هَراه * و حفر خندقا حول البساتين * محيطا بالرّعاع و ضَعَفة المساكين * و حصّر نفسه في القلعه * و حسب ان يكون له بذلك منعه * و ذلك لركاكة رأيه اولا و آخرا و جُمود قريحته * و قلة عقله و انعكاس فكره و دولته * قلت شعر

من لم يصادف سعدهُ تقديرهُ * يخطفه في تدبيره تدميرهُ

فلم يكترث تيمورله بقتالٍ و حصار * و لكن احاطت به العساكر دائراً ما دار * و مكث تيمور في الامن و الدعه * و عدوّهُ في الضيق بعد السّعه * و اضطربت الرؤس و الحواشي * و بارت الانعام والمواشي *

وغصّ البلد بالزحام * و هلكت الخواص والعوام * و اضداهم السغب* و علاهم الصراخ و الصخب * فارسل اليه السلطان * يطلب منه الامان * و علم انه اختنق بسببه * و انه اعانه اولا فبُلي به * فذكره سابقة العرفان * وما اسداه اليه من احسان * و طلب منه تاكيد الامان بالايمان * فحلف له تيمور انه يحفظ له الذمام القديم * و ان لا يُراق له دم ولا يمزّق له اديم * فخرج اليه * ودخل عليه * وتمثل بين يديه * فدخل تيمور الى المدينه * و صعد الى قلعتها الحصينه * و صحبته السلطان و قد احاطت به جنود هراة والاعوان* فاشار واحد من ابطال صاحب هراة على السلطان * ان يقتل تيمور و يجعل نفسه فداه * وقال له ما معناه * ان افدى المسلمين بنفسي و مالي * و اقتل هذا الاعرج ولا اُبالي * فلم يجبه الى اشارته * واستسلم لقضاء الله تعالى و ارادته * وقال ان لله تعالى تصريفا في عباده * و لابد ان ينفذ فيهم سهم مراده * ولا مفر من القضا * ولا محيد عما قدّر الله تعالى و قضى * شعر

و اذا اتاك من الامور مقدرٌ * و فررت منه فنحوه تتوجّه

وهذا سرٌ لابد من ظهوره * فلا تبحث عن حقيقة امورة * فمن غالب القضاء غُلب * و من ناهب الزمان سلب * و من قاوى تيار المقدور غرق * و من استلذ بالغفلة في مشارب اللهو شرق * و ذكر في ذلك الوقت مقالة ابيه له و اطلع على تحقيقه * و لكن السهم خرج فما امكن ردّه الى فُوقه *

ذكر اجتماع ذلك الجاني * بالشيخ زين الدين ابى بكر الخوافي

وكان في بعض قُدُماته خراسان سمع ان في قصبة خواف * رجلا قد-

منحه الله تعالى الالطاف * عالماً عاملا * كبيرا فاضلا * ذا كرامات ظاهره * و ولايات باهره * و كلمات زاهره * و مقامات طاهره * و مكاشفات صادقه * ومعاملات مع الله تعالى بالصدق ناطقه * يدعى الشيخ زين الدين ابابكر * لطائر اجتهاده في حظيرة القدس اطى وكر * فقصد تيمور روٴيته * و توجه اليه وجماعتَه * فقالوا للشيخ ان تيمور قادم عليك * و واصل اليك * يقصد روٴيتك * و يرجو بركتك * فلم يَفُه الشيخ بلفظَه * ولا رفع لذلك لحظَه * فوصل تيمور اليه * و نزل عن فَرَسه و دخل عليه * و الشيخ مشغول بحاله على عادته * جالس في فكره على سَجّادته * فلما انتهى اليه * قام الشيخ فاحدودب تيمور مُنْكبًا على رجليه * فوضع الشيخ على ظهره يديه * و قال تيمور لو لا ان الشيخ رفع يديه عن ظهري بسرعة لَخِلْتُه انرَضّ * و لقد تصورت ان السماء وقعت على الارض * و انا بينهما رُضضت اشد رض * ثم انه جلس بين يدي ذلك المنتخَب * على رُكْبتي الادب * و قال له بالملاطفة في المحاوره * على سبيل الاستفهام لا المناظره * يا سيدي الشيخ لِمَ لا تأمرون ملوككم بالعدل والانصاف * و ان لايميلوا الى الجور و الاعتساف * فقال له الشيخ امرنا هم و تقدمنا بذلك اليهم * فلم يأتمروا فسلّطناك عليهم * فخرج من فوره من عند الشيخ و قد قامت منه الحدبه * و قال ملكتُ الدنيا و رب الكعبه * و هذا الشيخ هو الموعود بذكره ـ ثم ان تيمور قبض على ملك هراه * و احتاط على ما ملكت يداه * و ضبط ولاياتها جانبًا جانبا * و قرر لكل جانب نائبا * و توجه الى سمرقند قائلا بما امكنه * و حبس السلطان في المدينه * و اوصد عليه بابها * و وكل بحفظه اصحابها * و اضاف اليهم أسده الحفاظ * الزبانيةَ الشدادَ الغلاظ * و ذلك لحلفه

ان لايُريق دَمَه * و ان يحفظ له ذِمَمَه * فلم يرق له دما * و لكنه قتله في الحبس جوعا و ظما *

ذكر عوده الى خراسان * و تخريبه ولايات سجستان

ثم عاد الى خراسان * و قد عزم على الانتقام من سجستان * فخرج اليه اهلها طالبين الصلح و الصلاح * فاجابهم الى ذلك على ان يمدوه بالسلاح * و اخرجوا اليه ما عندهم من عُدَّه * و رجوا بذلك الفرَج من تلك الشِدَّه * فحلفهم و كتب عليهم قسامات بالغه * ان مدينتهم غدَت من السِلاح فارغه * فلما تحقق ذلك منهم وضع السيف فيهم * فاضاف بهم جنود المَنايا عن بَكْرة ابيهم ثم خرَّب المدينة فلم يَبْقَ بها شجر و لا مدَر * و محاها فلم يبن لها عين و لا اثر * و رحَل عنها و ليس بها داع و لا مجيب * و ما فعل ذلك بهم الا لانه اولا منهم أصيب * و ذكر لى الشيخ الفقيه زين الدين عبد اللطيف بن محمد بن ابى الفتح الكرماني الحنفي نزيلَ دمشقَ بالمدرسة الجَقْمَقيَّة * في سنة ثلث و ثلثين و ثمان مائه * آن الذين تخلَّصوا من القتل من اهل سجستان * بهزيمةٍ او غيبةٍ او بنوع لطيفةٍ من الله تعالى المنان * لما تراجعوا اليها * بعد رجوع تيمورَ عنها * ارادوا ان يُجمّعوا بها فاضلوا يوم الجُمُعَة و ما اهتدَوا اليه * حتى ارسلوا الى كِرمانَ من دلَّهم عليه *

ذكر قصد ذلك الغدار * ممالك سبزوار * وانقيادها اليه * وقدوم واليها عليه

ثم لما اثار بسجستان ما اثار * قصَد بعساكره مدينةَ سَبْزَوار * و كان واليها يُدعى حَسَن الجُوري مستقلا بالامارة و هو رافضي * فما امكنه

الا الاطاعة * و استقباله من الهدايا و الخدم بما استطاعه * فاقره على ولايته * و زاد في رعايته *

فصل

و كان من عادة تيمورَ و مكرِهِ * انه كان في اول امره * اذا نزَل باحدٍ مستضيفا استنسَبه * و حفِظ اسمَه ونسبه * وقال له اذا بلغك اني استوليت * و على الممالك استقلَّيت * فاتني بعلامة كذا * فاني أكافيك اذا * فلما انتَشَر ذكره * و شاع امره * و فشا في الدنيا خَبَره و خُبْره * هَرَعت الناس بالعلائم اليه * و وفَدت من كل فج عميق عليه * و كان يُنزِل كلّ احد منزلته * و يحلُّه مرتبته *

ذكر ماجرى لذلك الداعر في سبزوار مع الشريف محمد رأس طائفة الدعار

و كان في مدينة سبزوار * رجل شريف من الشُطار * يدعى السيد محمد السرْبدال * معه جماعة من الرجال * كلهم دُعار * يسَمون السربدالية يعني الشُطار * و كان هذا السيد رجلا مشهورا * بالمأثر و الفضائل مذكورا * فقال تيمور عليَّ به * فاني ماجئت الا بسببه * وقد كنت متشوقا اليه * و متشوفا لعلم ما لديه * فدعوه له فدخَل عليه فقام اليه و اعتنقه * و قابله ببشَرة منطلقه * و أكرمه و ادناه * و قال في جملة فحواه * يا سيدي السيدُ قل لي كيف استخلص ممالك خراسان و احويها * و انّى احوزها ادانيها و اقاصيها * و ما ذا افعل حتى يَتِمّ لي هذا الامر * و أرتقي هذا المَهلك الصّعب الوَعر * فقال له السيد يا مولانا الامير * انا رجل فقير وقير * من آل الرسول * من اين انا و هذا الفضول * و اني

و ان قيل لي شريف * رجل عاجز ضعيف * لا طاقة لي بموارد الهلك * ومَن انا حتى انشاوَف لمصالح الملك * ومن داخل الملوك او خارجهم * اوعارضهم في امورهم اومازجهم * كان كالعائم في مجمع البحرين * و كالجاثم في منتطح الكبشين * والخارج عن الغتة لحّان * وشتّان ما بين المامون والطحّان * فقال له لابد ان تدلني على هذه الطريقه * و تخبرني عن المجار الى هذه الحقيقه * و لولا انني تفرّست فيك ذلك * و تكهنت انَّ برأيك تقتدي المسالك * و لولا انك اهل لهذه المعرفة * ما فُهت لك ببنت شفه * و لا استغنيت عنك استغناء الثقه عن الرُّفه * فان فراساتي اياسيه * وقضاياي كلها قياسيه * فقال ذلك المشير * ايها الامير * ان تسمع في هذا مقالتي * و تتبع اشارتي * فقال ما استشرتك الا لاتبعك * و لا جاريتك الا لامشيَ معك * فقال ان اردت ان يصفولك المشرب * و تنال الممالك من غير ان تتعب * فعليك بخواجه على * ابن المؤيد الطوسي * قطب فلك هذه الممالك * و مركزدائرة هذه المسالك * فان اقبل عليك بظاهره لم يكن بباطنه الامعك * و ان ولّي عنك بوجهه فلن يفيدك غيره و لن ينفعك * فكن على استجلاب خاطره وحضوره اليك ابلغ جاهد * فانه رجل صُلبٌ وظاهره و باطنه واحد * و ان طاعة الناس منوطة بطاعته * وافعال الكل مربوطة باشارته * فما فعل فعلوا * فان حطّ حطّوا وان رحل رحلوا * وكان هذا الرجل اعني خواجه على المذكور رجلا شيعيا * مواليا عليا * يضرب السكة باسم الاثني عشر اماما * ويخطب باسمائهم وكان شهما همّاما * ثم قال السيد يا امير ادع خواجه على فان لبّى دعوتك * وحضر حضرتك * فلاتترك من انواع الاحترام

و التوقير * والاكرام والتكبير * شيأ الا و اوصله اياه * فانه يحفظ لک
ذلک و يرعاه * و انزله منزلة الملوک العظام * في التعظيم و التوقير
والاحترام * و لا تدع معه شيأ مما يليق بحشمتک * فان ذلک کله
عائد الی حرمتک و عظمتک * ثم خرج السيد من عند تيمور *
و جهز قاصده الی الخواجه علي المذکور * يقول له انه قد مهد
له الامور * فان جاءه قاصده فلا يتوقف عن الطاعه * و لا يقعد عن
التوجه اليه ولا ساعه * و يکون منشرح البال * آمنا سطواته في
الحال والمال * فاستعد خواجه علي لقدوم الوارد * و ورود القاصد *
و هيأ الخدمات * والتقادم والحمولات * و ضرب باسمه و اسم متولاه
الدرهم والدينار * و خطب باسمهما في جوامع الامصار * و قعد لامره
منجزا * و اقام للطلب مستوفزا * و اذا بقاصد تيمور جاءه منه بکتاب *
فيه من الطف کلام و آلين خطاب * يستدعيه مع انشراح الصدر *
و توفير التوقير و تکثير البر * فنهض من ساعته * ملبيا بلسان طاعته *
و لم يلبث غير مسافة الطريق * و قدم بامل فسيح و عهد وثيق *
فلما اخبروه بوفوده * جهز لاستقباله اساورة جنوده * و سر سرورا شديدا *
و کأنه استأنف ملکا جديدا * فلما وصل قدم هدايا فاخرة * وتحفا
متکاثرة * و ظرائف ملوکيه * و ذخائر کسرويه * فعظمه تعظيما بالغا *
و اولاه انعاما سابغا * و اسبل علی قامة رجائه من خلع اعزازه و
اکرامه ذيلا سابغا * و استمر به علی ولايته * و زاد في بره و کرامته *
فلم يبق في خراسان امير مدينه * و لا نائب قلعة مکينه * ولا من
يشار اليه * الا و قصد تيمور و اقبل عليه * فمن اکابرهم امير محمد
حاکم بارود و امير عبدالله حاکم سرخس و انتشرت هيبته في الافاق *
و بلغت سطوته مازندران وکيلان و بلاد الري والعراق * و امتلات منه

القلوب و الاسماع * و خافه القريب و البعيد و على الخصوص شاه شجاع * وكل هذا في مدة قصيرة * و ايام قلائل يسيرة * نحوا من سنتين * بعد قتله السلطان حسين *

ذكر مراسلة ذلك الشجاع * سلطان عراق العجم ابا الفوارس شاه شجاع

و لما صفت له بلاد خراسان * و اذعن لطاعته كل قاص و دان * راسل شاه شجاع سلطان شيراز و عراق العجم * يطلب منه الطاعة والانقياد و ارسال الاموال والخدم * و من جملة كتابه * و فحوى خطابه * ان الله تعالى سلطني عليكم و على ظلمة الحكام * والجائرين من ملوك الانام * و رفعني على من باراني * و نصرني على من خالفني و عاداني * و قدرأيت و سمعت * فان اجبت و اطعت فبها و نعمت * و الا فاعلم ان في قدمي ثلثة اشياء * الخراب و القحط و الوباء * و إثم كل ذلك عائد عليك * و منسوب اليك * فلم يسع شاه شجاع الا مهادنته و مهاداته * و مصاهرته و مصافاته * و زوج ابنته بابن تيمور * و لم يتم ذلك السرور لحدوث الشرور * فانقبضت تلك المباسطه * بواسطة إفساد الواسطه * و تتريب الخطابة و تخريب الماشطه * قلت بديها مضمنا * شعر

اذا انتخبت لامر عزّ واسطـــة * فاحذر دهاه وكن منه على وجل
واعلم بان طباع الانس قدجبلت * من الجفاء و من مكرو من دخل
فلاتثق منهـم يوما بواسطـــة * و اشرع بنفسك فيه غير متكل
فانما رجل الدنيا و واحـدها * من لايعوّل في الدنيا على رجل

و مدّ عنان الكلام * في هذا المقام * يخرجنا عن المرام * و لكن

تمت رياض المحبة زاهرة * و ارباض المودة عامرة * و قفول المراسلة والمصادقة بين الطرفين سائرة * و استمروا على ذلک من غير نزاع * الى ان توفي شاه شجاع * و كان شاه شجاع هذا رجلا عالما فاضلا * يقرر الكشاف تقريرا شافيا كاملا * و له شعر رائق * و ادب فائق * فمن شعره العربي على ما قيل *

شعر

الا ان عهدي في الغرام يطول * و اسباب صبري لا تزالُ تزولُ
اصون هواها كلما ذَرَّ شارقٌ * و لكن ما بي قد يذِمُّ نحول
ومن لم يذق صرف الصَّبابة في الصِّبا * علمت يقينا انه لجهول

و من شعره الفارسي *

اى بكام عاشقان حسنت جميل * كى گزينم ديگري برتو بديل
گر زيادت غافلم عيشم حرام * ور زجورت دم زنم خونم سبيل
هركسي تدبير كاري ميكند * ما رها كرديم با نعم الوكيل

و هو شاه شجاع بن محمد بن مظفر * و ابوه كان من افراد الناس و من اهل البر * يسكن ضواحي يزد و آبرقوه * ذا باس شديد يخافه القريب والبعيد و يرجوه * كان قد نبغ بين يزد و شيراز * حرامي من عرب آل خفاجة سد على سالكي الطريقة حقيقةَ المَجاز * يدعى جمال لوک * افقر الغني و اباد الصعلوک * لا يبالي بالرجال قلّت او كثُرت * ولايكترث بكواكب النبال اذا الكواكب على رأسه انتثرت * فاباد طائفة من البلاد * و اهلک الحَرْث والنسل والله لايحب الفساد * فكمن له ابو شجاع * في بعض وهد او بِقاع * ثم قابله مواجهه * و كافحه مشافهه * ونازله فصرعه * وقطع رأسه و انتزعه * فقصد برأسه السلطان * فقدمه على سائر الاعوان * و اقطعه اماكن عدّه * وقربه و جعله عُدّةً لكل شدّه * و كان له عِدّة اولاد * و اقارب و احفاد * كل

منهم رئيس مطاع * فمن اولاده شاه مظفر و شاه محمود و شاه شجاع *
فصار كل منهم ذا كلمة نافذة * و يد معطية آخذة * و لم يكن للسلطان
ولد يبقى ورائه في امور الملك او ينقب * فلما اقبل عليه رائد
المنيّة اجابه و ولى مدبرا ولم يعقب * و كان اذ ذاك قد ثبتت اوتاد
محمد بن مظفر * فتقدم في السلطنة و من سواه تاخر * فصار في
ممالك عراق العجم الملك المطاع * و استقل من غير تشاق و نزاع *
و تصرّف في الممالك كيف شاء * و رداه الله خلعة قُلِ اللّٰهُمَّ مَالِكَ
الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاء * و مات في حيوته ولده شاه مظفر
المشهور * و خلف ولده شاه منصور * ثم جرى بين شاه شجاع و
بين ابيه * من النزاع و الشرور ما لا خيرَ فيه * و قبض على ابيه
و قهره * و فجّعه بكريمتيه و اعدمه بصَره * و تمكن من السلطنة و
استقر * و كان به مرض جوع البقر * بحيث انه كان لايقدر على الصوم
لا في السفر ولا في الحضر * و كان كثيرا مايدعو الله الغفور * ان لا
يجمَع بينه و بين تيمور * فلما ادركه الاجَل * و طوى فرآشُ الموت منه
بساط الامل * احضر من له من الاقارب و الاولاد * و قسّم عليهم الممالك
و البلاد * فولى ابنه لصلبه زينَ العابدين * شيرازَ وهي كرسي الملك
و مقصد الوافدين * و اقطعَ اخاه السلطان احمد ولايات كرمان *
و اعطى ابن اخيه شاه يحي يَزْد و ابن اخيه شاه منصور اصفّهان *
و اسند وصيته ذلك الى تيمور * و خلّد ذلك في رقٍّ منشور * و
اشهد على ذلك من حضر مجمعه * فكان كمن سأم الرمحَ لابي
زَوبعة * و لما ادمَج الموت ثوب عمر شاه شجاع * انتشرت بين اقاربه
شُقَقُ الشقاق و النزاع * فقصد شاه منصور زينَ العابدين و قبَض
عليه * و استولى على شيرازَ و فجعه بكريمتيه * و خالف عمّه و

نقض حبل عهده * و فعل مع ابنه ما فعله ابوه بجده * و حبل هذه القضية ممدود * و الاشتغال بنقضه و ابرامه يخرج عن المقصود * فانمعص تيمور و امتعض وتجرع الغصص وارتمص * و لكن ارتقب في ذلك انتهاز الفرص *

ذكر توجه تيمور مرة ثالثه * الى خوارزم بالعساكر العايثة العايثه

ثم ان تيمور جدد الحزم * و صمم العزم على التوجه الى خوارزم * و توجه الى تلك البلاد * من خراسان على طريق استراباد و كان سلطانها ايضا غائبا * فاراد ان يولي عليهم من جهته نائبا * فخرج اليه حسن المذكور و صالحه و اشترى منه الشرور المقابحه * و قال له يا مولانا الامير * كلنا عندك اسير * و لكن سلطاننا غائب * و اذا اقيم علينا من جهتك نائب ثم رجع الينا السلطان * فلابد ان يقع بينهما شنآن * و اذ كان الامر كذا فربما يصل اليه منه اذى * فيكون ذلك سبب تاكيد العداوه * و يزداد بينكما الجفا و القساوه * فيفيض حنقكما على المسلمين ويقع فساد والله لا يحب المفسدين * وهب ان حسين صوفي صار نائبك * فكل الخلق يجب عليه ان يراعي خدمتك و جانبك * و رأيك اعلى * و اتباع مرسومك اولى * فسمع تيمور كلامه * و قبل قوله و قوض للرحيل خيامه * و كان لحسن المذكور ابن غير فالح * له عمل غير صالح * فكانه فتك بحظية من حظايا السلطان * و ذاع ذلك في المكان * و فاح ذفره في انف الزمان * فلم يعتد بذلك الفعل القبيح حسن * و قال ان لي

على السلطان منذنا و اي مَنٍّ * حيث حميتُ بلده من كل
ظَلوم كَفّار * و بذلتُ في ذلك مالي و وَجاهتي ثلث مرار *
فلابد ان يقابِل هذه المصالحة * بالعفو عن جريمة ولدي و المسامحة *
فلما آبَ السلطان من سفره * و اطلَع على حقيقة الامر و خبره *
قبض على حسن و ولده و قتلهما * والقاهما بين يدي اسد
قهره فاكلهما * و خرّب ديارهما * و نقل الى خزائنه شِعارهما
و دِثارهما * ثم لم يلبث حسين صوفي ان توُفي * و ولّي
بعده ولده يوسف صوفي * و كان تيمور قبل ذلك قد صاهرهم *
و ناصرهم على مخالفيهم و ظاهرهم * و زوّج ابنا له يدعى
جهان كير * عقيلة منهم ذات قَدْر كبير * و أصْل خطير * و وجه
مستنير * احسن من شيرين و اظرف من ولّاده * و لكونها من
بنات الملوك تدعى خانزاده * فولدت له محمد سلطان * و كان
في نجابته و اقباله ساطع البرهان * فلما شاهد تيمور في شمائله
مخائل السعاده * و قد فاق في النجابة اولاده و احفاده * اقبل
دون الكل عليه * و عهد مع وجود اعمامه اليه * لكن عاندَ الدهر
ذلك الظَّلوم * فتوُفي قبلهَ في آق شهر من بلادالروم * و سيأتي
ذكر ذلك *

ذكر توجه ذلك الباقعه * الى خوارزم مرة رابعه

فلما سمِع تيمور * ما جرى على حسن من الشرور * تحنّق و شدد
الآزم * و وجه ركاب الغَضب الى خوارزم * و اخذها و قتَل سلطانها *
و هدم اركانّها و خرب بنْيانها * و ولّي على ما بقِي منها نائبا من
عنده * و نقل جميع ما امكنه نقْله عنها الى ممالك سمرقنده * و
تاريخ خراب خوارزم عذاب * كما ان تاريخ خراب دمشق خراب *
٧٧٣ ٨٠٣

ذكر ما كان ذلك الجان

راسل به شاه ولي امير ممالك مازندران

ثم انه لما كان توجه الى خراسان * راسل شاه ولي امير ممالك مازندران * و كاتب الامراء المستقلين بذلك المكان * فمنهم اسكندر الجلابي * و ارشيوند و ابراهيم القمي * و استدعاهم الى حضرته * كما هو جاري عادته * فاجابه بالضرورة ابراهيم و ارشيوند و اسكندر * و تأبى عليه شاه ولي ذلك الغضنفر * فلم يلتفت الى خطابه * وخشن له في جوابه *

ذكر مراسلة شاه ولي سلاطين العراق

وما وقع في ذلك من الشقاق وعدم الاتفاق

ثم ارسل شاه ولي الى شاه شجاع سلطان عراق العجم و كرمان * و الى السلطان احمد بن الشيخ اويس متولي عراق العرب وآذربيجان* يخبرهما بورود خطابه * و صدور جوابه * ثم قال انا ثغر كما * وان انتظم امري انتظم امركما * و ان نزل بي منه بائقة * فانها بممالككما لاحقة * فان ساعد تماني بمدد * كفيتكما هذا النكد * و الا فتصيران كما قيل * شعر

من حلقت لحية جار له * فليسكب الماء على لحيته

فاما شاه شجاع فاطرح قوله و رماه * و هادن تيمور كما ذكر و هاداه * واما السلطان احمد فاجاب بجواب مهمل * و قال هذا الاشل الاعرج الجغتائي ما عساه ان يفعل * و من اين و من اين* للاعرج الجغتائي ان يطأ العراقين * و ان بينه و بين هذه البلاد * لخرط

القَتاد * و لكم بين مكان و مكان * فلا تخل العراقَ كخُراسان * و لئن عُقدت على التوجه الى ديارنا نيّتُه * لتحلّن به منيته * و لترحلّن عنه أمنيته * فانا قوم لنا الباس و الشدّة * و العُدّة والعِدّة * و الدولة و النجدة * و لنا يصلح التشامخ و التابي * حتى كانه قال فينا المتنبى *

نحن قوم (ن) مِلْجِنّ في زيّ ناس * فوق طير لها شُخوص الجِمال

فلما عَلِم ذلك منهم شاه ولي * و ايقن ان كلا منهما عن شَجوه خلّي * قال اما انا فوالله لاواقفنّه * بعزم صادق و نفس مطمئنّه * فلئن ظفرت به لانذرنّ بكما في الامصار * و لاجعلنكما عبرة لاولي الابصار * و ان ظفر بي فلا عليّ ما يصل اليكما * فلينزلن القضاء الطامّ والبلاء العام عليكما * ثم استعدّ للقائه * واستسلم لقدر الله تعالى و قضائه * و لما ترأى الجمعان * واتصلت المراشقة بالضرب و الطعان * ثبت شاه ولي ساعة لما نابه من شرّه وهَرّه * ثم ولّي الدبر لما لاحظ ما رأى من كرّة و فرّة * و تبع السُنّة في الفرار مما لا يُطاق * و توجه الى الريّ اذ ما امكنه التوجه الى العراق * وكان بها امير مستقلّ يدعى محمد جوكار * متصرّفا بحكومته في تلك القُرى و الامصار * و كان كريما شجاعا * و ملكا مطاعا * و مع ذلك فاده دارى تيمور * و راعى منه بعض الامور * و خاف سطوته و باسه * فقتل شاه ولي و ارسل الى تيمور راسه *

ذكر ما جرى لابي بكر الشاسباني من الوقايع مع ذلك الجاني

و كان في بعض ولايات مازِندران * رجل يسمى ابابكر من قرية

(ن) ركبه

تدعى شاسبان * و كان في الحروب * كالاسد الغضوب * و كان قد آباد و آبار * الجم الغفير من عساكر التتار * اذا انتمى فى المجال * لاتثبت له الرجال * و اذا وضع العمامة * اقام فيهم القيامة * و لا زال يكمن بين الروابى و الجبال * و يجندل الجنود و الابطال * حتى صارت تضرب به الامثال * و ترعد منه الفرائص ولو في طيف الخيال * فكان القائل منهم يقول لمركوبه اذا علق عليه او سقاه * فتأخر عن الماء او جفل من المخلاه * كأن ابابكر الشاسباني فى الماء او بين العليق تراه * و قيل لم يتضرر عسكر تيمور في مدة استيلائه * مع كثرة حروبه و مصافاته و ابلائه * الا من ثلثة انفار * اضروا به و بعساكره غاية الاضرار * و اوردوا كثيرا منهم موارد النار * احدهم ابوبكر الشاسباني * و ثانيهم سيدي علي الكردي و ثالثهم امة التركماني * فاما ابوبكر هذا فذكروا انه في بعض مضائق مازندران * تغلب عليه الجغتاي من كل مكان * و سدوا عليه وجه المخلص * و شدوا حبل المقنص * فالجأه الى جرف مقابله جرف * مقدار ثمانية اذرع مابين الجرف الى الجرف * كأن قعره جب النقير * او واد فى قعر السعير * فنزل ابوبكر عن جواده المضمر * و طفر و طمر من احد الجرفين الى الاخر * بما عليه من السلاح و المغفر * ولم ينل منهم ضرا * او نجا كما نجا تأبط شرا * ثم اتصل بحاشيته و آبادهم * و نقل الى طاحون الفناء منهم من استكمل دياسهم و حصادهم * ثم ما ادري امره الى ما ذا آل * و كيف تقلبت به الاحوال * و اما سيدي على الكردي فانه كان اميرا في بلاد الكرد * معه طائفة من الخيل الجرد * و الرجال غير المرد * في جبال عاصية * و اماكن وعرة متقاصية * فكان يخرج هو و جماعته * و من شملته

طاعته * و يتّرک علی فم المضائق * ممّن هو به واثق * ثم يشنّ علی عساکر تيمور الغارات * و يُدرِك فيهم للمسلمين الثارات * و يقتطع من حواشيهم * و ما يمكنه من مواشيهم * ثم يرجع الی اوكارة * بما قضی من اوطارة * و لم يزل علی ذلک الثبات في حيوة تيمور و بعد ان مات * الی ان ادركته الوفاة ففات * و اما آمة التركماني فانه كان من تراكمة قراباغ * و له ابنان قد وضع كل منهما علی قلب تيمور اي داغ * و كانت الحروب و النزال * بينهم و بين اميران شاه و عساكر الجغتاي لاتزال * و افنوا من جماعتهم عددا لا يحصی * وجانبا فات الاستقصا * الی ان غدر واحد من المنتسبين اليهم * فطلب غرتهم و دلّ عسكر اميران شاه عليهم * فبيتوهم ليلا * و اراقوا من دمهم سيلا * فاستشهد الثلثة في سبيل الله * رحمهم الله * قلت شعر

و اصعب فتنة تشميت الاعدا * و انكی منه تخذيل الموالی

و قيل شعر

و ظلم ذوي القربی اشد مضاضةً * علی المرء من وقع الحسام المهنّد

و قيل شعر

اذا كان هذا بالاقارب فعلكم * فما ذا الذي ابقيتم للاباعد

ذكر توجه تيمور الی عراق العجم وخوض شاه منصور غمار ذلک البحر الخضم

و لما تُوفي شاه شجاع * و وقع بين اهله كما مرّ نزاع * واستقر امر عراق العجم علی شاه منصور * و خلصت ممالک مازندران و ولايتها لتيمور * و كان شاه شجاع قد أوصی الی تيمور بولده زين العابدين كما ذُكر و وكّل امرة اليه * وجد تيمور علی شاه منصور طريقا بما فعله من ابن عمّه زين العابدين فاحتج بذلک و مشی

عليه * فاستمد شاه منصور اقاربه * فكلهم صار محاربه * و عاد مجانبه و مجانبه * و اقام كل منهم لحفظ جانبه * فتهيأ لملاقاته وحده * بنحو الفي فارس كاملي العُدَّه * بعد ان حصَّن المدينة * و حوَّطها بالأهبة المكينة * و رتب خيلها و رجَّلها * و حرّض على التصبّر و التربّص اهلها * فقال له اكابر اعيانها * و الروس من سُكانها * كأنا بك في المُقتحَم * و سدا الحرب قد التحم * و قد منعناه من الوصول الينا * و دافعناه عن الهجوم علينا * وربما جندلنا له رجالا * و ابطلنا من عسكره ابطالا * ثم بما ذا تصنع انت بالفيّ راكب * مع هذا الغمام المتراكم المتراكب * و ربما تحل عقدك * او يُفَلّ جُندك * فلا ترى لنفسك في الهَيجاء * الا طلب الخلاص و النجاء * و تتركنا لحما على وضم * بعد ان زلّت بنا معهم القدم * و لاينفعنا بعد تاكيد العداوة الندم * و لايجبرمنا اذ ذاك هذا الكسر * الا بالقتل و النهب و الاسر * فوضع يده على دبّوسه شاه منصور * و قال هذا الالف في الكاف السادسة من أمّ من يفر من تيمور * اما انا فاقاتل و جندي * فان خذلني جندي قاتلت وحدي * و بذلت في ذلك جدي و جهدي * و عانيت عليه كدي و كدّي * فان نُصِرت نلت قصدي * و ان قتلت فلا عليّ ممن بقيَ بعدي * وكأني انا كنت الحاضر * و الخاطر في خاطر الشاعر * حين قال *

اذا همّ القى بين عينيه عزمة * و نكّب عن ذكر العواقب جانبا

وقيل ان شاه منصور فرق رجاله على قلاعه * و اراد بذلك حفظ مُدنه فضاع في ضياعه * ثم جمع رؤساء شيراز و اجنادها * و افلاذ كبدها و اولادها * وقال ان هذا عدو ثقيل * و هو و ان كان خارجيا فهو في بلادنا دخيل * فالرأي اني لا انحصر معه في مكان * و لا اقاتله بضراب او طعان *

بل انتقلُ في الجوانب * و اتسلط انا و رعاياى عليه من كل جانب * فنصفع اكتافهم * و نقطع اطرافهم * و نواظبه بالنهار و نراقبه بالليل * و نُعِدُّ له ما استطعنا من قوة و من رباط الخيل * و كلما وجدنا منه غِرة * كسرنا منه القفا و الغُرّة * فتارة ننطحه * و اخرى نرمحه * و كرة نحدجه و مرة نجرحه * و نسلبه الهجوع * و نمنعه الرجوع * فتشتد عليه المضائق * و تنسد عليه الطُّرُق و الطرائق * غير ان القصد منكم يا آحرار * و يا نمور القِفار * و نسور الدِّفار * ان تحتفظوا بضبط الاسوار * و لا تغفلوا عنها اناء الليل و اطراف النهار * فاني ما دمت بعيدا عنكم لايدنو احد منهم منكم * و ان حاصروكم ففيكم كفايه * و استودِعكم الله وهو نعم الوقايه * و غاية ما تكونون في هذه البؤسا * مقدار ما واعد الله تعالى نبيه موسى * ولله هذا الرأي ماكان امتنه * و وجه هذا القصد ماكان احسنه * ثم انه خرج ذاهبا * و قصد جانبا *

ذكر دقيقة قصدت فحلت و نقضت * ما ابرمه شاه منصور من عقد حين حلت

فبينما هو عند باب المدينة جائز * نظرته سعلاة من مشومات العجائز * فبدرته بالملام * و آذته بالكلام * و نادت بلسان الاعجام * آنظروا الى هذا تركش بحرام * رعى اموالنا * و تحكم في دمائنا * و فارقنا احوج ما نحن اليه في مخاليب اعدائنا * جعل الله حَمْل السلاح عليه حراما * و لا انجح له قصدا و لا اسعف له مراما * فقدحت زناده * و جرحت فؤاده * و تاججت نيران غضبه * و احرق اكداس تدبره شواظ لهبه * و ثارت نفسه الابيه * و اخذته حمية الجاهليه * حتى ذهب لُبُّ ذلك الرجل

الحازم * وغلط فامسى و هو لغلطه ملازم * فثنى عنان عزمه * وكزّ اسنان ازمه * و اقسم لا يبرح عن المقاومه * و لا يرجع في مجلس قضاء الحرب من ملازمة المصادمه * و يجعل ذلك دأبه صباحا ومساء وعشاء * الى ان يعطي الله النّصر لمن يشاء * ثم قابل * و رتب ابطاله و قاتل * و كان في عسكر شاه منصور امير خراساني مباطنٌ لتيمور * يدعى محمد بن زين الدين * من الفَجرة المعتدين * و جُلّ العساكر كان معه * فسار الى تيمور و اكثر الجند تَبِعه * فلم يبق منهم الا دون الالف * فما فر واحد منهم من الزّحف * فتثَبّت شاه منصور * بعد ان تضعضعت منه الامور * فلم تزل نيران الهيجاء تلتظي * و زِنادُ الحرب تُورّى اذ تنقدح * و شِرار السهام تتطاير * و ثمار الرؤس بمناجل السيّوف تُقطف فتتناثر * حتى اقبل جيش الليل * و شمّر للهزيمة جند النهار الذيل * فتراجع كل منهم الى وكره * واعمل شاه منصور فكرةً في مكره *

ذكر ما نقل من شاه منصور * مما اوقع بعسكر تيمور * من الحرب و الويل * تحت جنح الليل *

فعمد الى فرس جَفول * من بين الخُيول * اجمح من دهر رمح * وارمح من عصر جَمح * و اتى بها عسكر العدو * و قد اخذ الليل في الهدو * ثم ربط في ذنبها قِدرا من النُّحاس * ملفوفة في قطعة بَلاس * و شدها شدة احكم وثاقها * و صوّب رأسها نحو العدو و ساقها * فجالت الفرس في العسكر و اضطَربت * و اختلطت الناس و احتربت * و انسابت جداول السيوف في بطون تلك النحور وانسربت * حتى كأن الساعةَ اقتربت * او السماء عليهم بالشهب

انقلبت * و الارضَ بهم اهتزت و ربت * و شاه منصور واقف حواليهم * كالبازي المُطلّ عليهم * يقتل من شذّ * و يُبيد من ندّ *
و صاروا كما قيل * شعر

الليل داجٍ و الكِباش تنتطح * نِطاحَ جِدٍ ما اراها تصطلح
فقائم و قاعد و منبَطِح * فمن نجا براسه فقد ربح

قيل انهم اقتتلوا فيما بينهم حتى فني نحو من عشَرة آلاف نفس * فلما قوض الليل خيامه * و رفَع النهار اعلامه * علموا البلاء كيف دهاهم * و ليت الليل لم يكن فارق ذراهم * ثم ان شاه منصور اصبح و قد قل ناصره * وقَلّ موازره * فانتخب من جماعته فئة * نحوا من خمس مائة * فجعل يصول بهم صولة الاسد * و يخوض بهم غمار الموت فلا يلوى امامهم احد على احد * و يميل يسرة و يمنة و ينتسب * و يصيح انا شاه منصور الصابر المحتسب * فتراهم بين يديه حُمُرا مستنفرة * فرّت من قسْوَرة * وقصد مكانا فيه تيمور فهرب منه و دخل بين النساء * و اختفى بينهن و غُطّيَ بكساء * فبادرنه و قلن نحن حرم * و اشرن الى طائفة من العسكر المصطدَم * و قلن هناك بغيتك * و بين اولئك طلبتك * فالوى راجعا * و تركهن مخادَعا * و قصد حيث اشرن اليه * و قد احاطت به جموع العساكر و حلقت عليه * و قلت بديها * شعر

و ماحز اعناق الرجال سوى النسا * و اى بلاء ما لهن به آبلاء
و كم نار شر احرقت كبد الورى * و لم يك الا مكرهن لها اصلا

و كان على فرس فاقت خصالا * فضرب فيهم بسيفين يمينا و شمالا * و فرسه السَّبوح كانت تقاتل معه * و تصدِم و تكدِم من يقرُب منها في تلك المعمعة * و كأنه كان ينشد معنى ما قلته في مرآة الادب * شعر

يد الله قوّتني فغلّت يداهم * و هذي يدي فيهم بسيفين تضرب
فصار كلما قصد رَعْلة من تلك الرعال * إفترقت امامه يمينا و شمالا
و ان كانوا كلهم من اهل الشمال * و لكن
اذا لم يكن عون من الله للفتى * فاعظم ما يجنى عليه اجتهاده
حتى انهكته الحرب * و كلّت يداه من الطعن و الضرب * و جُندلت ابطاله * و قتلت خيله و رجاله * و تغيرت من كل جهة احواله * و سدت طرائقه * و شُدّت مضائقه * و خَرِست شقاشقه * و ضَرِست فيالقه * و خُمدت بوارقه * و هَمَدت بيادقه * و حُصّ نجاحه * و قُصّ جناحه * و خَفّ مراحه * و اثقله جِراحه * و سكنت همهمته * و سكنت غمغمته * فانفرد عن اصحابه * وقد آذاه الجراح و اودى به * ولم يبقَ معه فى ذلك البحر * سوى نفرَين احدهما يدعى توكل والاخر مهتَر فخر * و اخذه الدَّهش * و غلب عليه العَطَش * و نشّف الرهَج و الوهَج كبدَه * و طلب شربةَ ماء فما وجده * و لو وجَد ما يَبُلّ به ريقه * لما قدر احد ان يقطع عليه طريقه * فرأي الاولى * طرح نفسه بين القتلى * فاطرحَ بينهم دهسه * و رمى اُهْبَته و سيّبَ فرسه * و قتّل توكل و نجا فخرالدين * وبه من الجِراح نحو من سبعين * و عُمّر بعد ذلك حتى بلغ تسعين * وكان من الابطال و المصارعين * فتراجع جيش تيمور و تضام * و افتعش بعد ان بلغ موارد الحِمام * و ذلك بعد ان قتل منهم ما لا يعد * و آفني ليلا و نهارا مالا يحصى و لا يحد * و طفق تيمور في القلق * و الضجر و الارق * لفَقْد شاه منصور * و عدم الوُقوف على حال ذلك الاسد الهَصور * ا هو فى الاحياء فيخشى فكره * ام انتقل الى دارالفناء فيأمن مكره * فامر بتفتيش الجَرْحى * و التنقيب

عنه بين القتلى والطرحى * الى ان كادت الشمس تتوارى بالحجاب *
ويغمد حسام الضياء من الظلام فى قراب * فعند ما ضم دينار
البيضاء * تحت ذيل ملاءة الضياء * و مد نساج القدرة فى جو الفضاء
سدا * و الليل اذا سجى * و نثر على سطح هذا الاديم الميذا *
دراهم كواكبه الزهراء * و اتسع الظلام واتسق * عثر واحد من الجغتاي
على شاه منصور وبه ادني رمق * فتشبث شاه منصور بذلك الانسان *
بل الشيطان الخوان * و ناداه الامان الامان * انا شاه منصور *
فاكتم عني هذه الامور * و خذ مني هذه الجواهر * وخافت في
قضيتي و لا تجاهر * كأني لا رأيتك و لا رأيتني * و لاعرفتك
و لا عرفتني * و ان اخفيت مكانى * و نقلتني الى اخواني
و اعواني * كنت كمن اعتقني بعد ما اشترانى * و من بعد ما اماتنى
احيانى * و كنت ترى مكافاتي * و تغنم مصافاتي * ثم اخرج له
من الجواهر * ما يكفيه و ذريته الى يوم الاخر * فكان فى قصته
واستكشاف غصته * كالمستغيث بعمرٍ و عند كربته * فما عتم ان
وثب على شاه منصور * و حز رأسه و اتى به الى تيمور * و حكى
له ماجرى * بتنجيز المشترى * فما صدقه * و لا فى كلامه استوثقه *
بل اخرج من قبائله وشعوبه * من عرفه به * فعرفوه بشامة *
كانت على وجهه علامة * فلما علم انه شاه منصور بعينه * و تميز له
صدق ذلك الرجل من مينه * تحنق وتحيف * و تحرق لقتل شاه
منصور و تاسف * ثم سأل ذلك الرجل عن محتده * وعن والده
و ولده * وعن قبيلته و ذويه * و مخدومه و مربيه * فلما استوضح
اخباره * علم نجاره و وجاره * ارسل موسومه الى متولى تلك
الداره * فقتل اهله و اولاده * و اعوانه و انصاره * و آله و احفاده *

و اخذتانه و اصهاره * و قتله شر قتلة ومحا آثاره * و صادر مخدومه و قتله
و خرب دياره * ثم ارسل الى اطراف ممالكه مطالعات * يذكر
فيها صور تلك المصافات و المرافعات * و ما شاهد من وثبات شاه
منصور و ثباته * وغشيانه غمرات الحرب و ضرباته * و ما حصل في
واقعة القتال علي الحديد في صف مرسلاته * وكيف زلزلت العاديات
و ولولت النساء في فتح حجراته * بعبارات هائله * وكلمات في
ميادين الفصاحة و البلاغة جائله * و هذه المطالعات تقرا في المحافل
و المشاهد * و تتلى في المصادر و الموارد * يستمد منها ذو الاداب *
و يعتني بحفظها الكتاب و الصبيان في الكتاب * رايت في اخبار بعض
المعتنين * انه في شوال سنة خمس و تسعين * ورد رسول صاحب
بسطام * يوذن سلطان مصر بالاعلام * ان تيمور * قتل شاه منصور *
و انه تولى على شيراز و سائر البلاد * و ارسل رأسه الى حاكم بغداد *
و امره بالطاعه * هو و من معه من الجماعة * و ارسل اليه خلعه *
و ان يضرب السكة باسمه و يخطب بذلك في الجمعه * فلبس
خلعته و أتمر * ممتثلا كلما به امر * و انه علق راس شاه منصور *
بعد ما طافوا به على السور * و ما اظن لذلك صحة *

ذكر ما وقع من الامور و الشرور * بعد واقعة شاه منصور

فاستولى تيمور على ممالك فارس و ارض عراق العجم * و راسل
من داناه من اقارب شاه شجاع و ملوك الامم * و استمال
الخواطر * و امن البادي و الحاضر * و رحل فجاز * مدينة شيراز *
و ضبط حوالها * و قرر فيها خيلها و رجالها * و نادى بالامان * للقاصي
و الداني * فلبت دعوته ملوك البلاد * و لم يسعهم معه الا الاطاعة
و الانقياد * فوصل اليه سلطان احمد من كرمان * و شاه يحيى

من يزد و عصى سلطان ابو اسحق في شيرجان * فانعم و خلع على من اطاعه و انقاد * و لم يتعرض لمن اظهر العناد * و لم يشق بينه و بين مخالفيه العصا * و اكرم من اطاعة ليوقع بذلك من عصى * و طرح على شيراز و سائر البلدان بالامان * واقام في كل بلدة من جهته نائبا و توجه الى اصبهان * و احسن الى زين العابدين الذي هو وصيه من ابيه * و وظف له من الجوامک و الادرارات ما يكفيه و ذويه *

ذكر ما صنع الزمان * منذ حلوله باصبهان

فلما وصل الى اصبهان * و كانت من اكبر البلدان * مملوة بالافاضل * محشوة بالاماثل * و بها شخص من علماء الاسلام * و السادة الاعلام * قد بلغ فى العلم الغايه * و فى العمل و الاجتهاد النهايه * افعاله مبرورة * و كراماته مشهورة * و مآثره مذكورة * و محاسنه على جبهة الايام مسطورة * و هو معتقد المسلمين * و كان اسمه امام الدين * و كان اهل اصبهان يذكرون له تيمور * و يحذرون من شره اَيَّ محذور * فيقول لهم ما دمت فيكم حيّا * ما يضُرُّكم كيدهُ شيّا * فان وفاني الاَجل * فكونوا من اذاه على وَجَل * اتفق انه في وصول تيمور * تُوفّيَ الشيخ المذكور * فاصبحت اصبهان ظُلُمات بعضها فوق بعض بعد ان كانت نورا على نور * فتضاعفت حَسْرَتَهم * و ترادفت كسرتهم * فوقعوا فى الحيرة * و صاروا كابى هُرَيْرَة * رضى الله عنه حيث يقول *

للناس هم و لي فى اليوم همان * فقدُ الجِراب و قتل الشيخ عثمان

فخرجوا اليه و صالحوه على حَمْل اموال * فارسل اليهم لاستخلاصها الرجال * فوزّعوها على الجهات * و فرضوا على الحارات و المحلّات *

و تفرق فيهم المستخلصون * وكانوا يعيثون فيهم و يعبثون * و استطالوا عليهم فجعلوا هم كالخدم * و توصلوا الى ان مدوا ايديهم الى الحرم * فانتكوا منهم اي نكايه * فرفع اهل اصبهان الى رئيسهم الشكايه * و كثرت منهم الشكيه * وهم قوم لهم حميه * قالوا الموت على هذه الحاله * خير من الحيوة مع هذه الاستطاله * فقال لهم رئيسهم اذا اقبل المساء * فاني اضرب الطبل لكن لا تحت كساء * فاذا سمعتم الطبل قد دق * فالقول قد حق * فليقبض كل منكم على نزيله * وليحتكم منكم بسمين رأيه وهزيله * فاتفقوا على هذا الرأي المعكوس * و الامر المنكوس في الطالع المنحوس * و قصروا ايدي انظارهم السقيمه * عن قصارى هذه الامور الوخيمه * و لما تعرى العنان من ثوب نوره * و ابدل الجو قاقمه بسموره * و مضى هزيع من الليل * ضرب الرئيس الطبل فحل بالمستخلصين الويل * فقتلواهم وكانوا نحوا من ستة آلاف * فاصبحوا وقد غرسوا في دوح العصيان اغصان الخلاف * فاثمر ذلك لهم الحور بعد الكور * و بان لهم البور فاصبحوا بورا بهذا البور * ولما سل الفجر حسامه * و حسر النهار لثامه * بلغ تيمور ذلك الصنع المشئوم * فنفخ الشيطان منه في الخيشوم * فارتحل من فوره * و استقل غضب غضبه و نثل جعبة جوره * و توجه الى المدينة مزمجرا * مصراع * متكلبا متأسدا متنمرا * فوصل اليها *واخذ عليها * وامر بالدماء ان تسفك * و بالحرمات ان تهتك * و بالارواح ان تسلب * و بالاموال ان تنهب * و بالعمران ان تخرب * و بالزروع ان تحرق * و بالضروع ان تخرق * و بالا طفال ان تطرح * و بالاجساد ان تجرح * و بالاعراض ان تثلم * و بالذمم ان تسلم ولا تسلم * و ان يطوى بساط الرحمه * و ينشر مسح النقمه *

فلا يُرحَم كبير لكِبَره * ولا صغير لصغره * ولا يوقّر عالم لعلمه * ولا ذو ادب لفضله وحلمه * ولا شريف لنسبه * ولا مُنيف لحسبه * ولا غريب لغربته * ولا قريب لقرابته و قربته * ولا مسلم لاسلامه * ولا ذمّي لذمامه * ولا ضعيف لضعفه * ولا جاهل لركاكة رأيه و سُخْفه * و بالجملة فلا يبقى على احد * ممن هو داخل البلد * و اما اهل المدينة فعلموا انه ليس للجدال مجال * فضلا عن ضراب و قتال * و ان قبول الاعذار محال * و انه ليس ينجيهم من ريب المَنُون * مال ولا بنون * ولا يقبل منهم في تلك الساعة * ولا ينفعهم عدل ولا شفاعة * فتحصّنوا بحصون الاضطرار * و تدرعوا دُروع الاعتبار * و تلقوا سهام القضاء من حنايا المنايا بمِجَنّ تسليم المراد * و استقبلوا ضربات القَدَر من سُيوف الحتوف باعناق التفويض و الانقياد * فاطلق في ميادين رقابهم عنان الحُسام البتّار * و جعل مقابرهم بطون الذئاب و الضباع و حواصل الاطيار * و لا زالت عواصف الفناء تحُتّهم من اشجار الوجود حتى * حصروا عدد القتلى فكان نحو ست مرار من أمة يونُس بن متّى * فاستغاث بعض البُصَراء * بواحد من روس الامراء * و قال التقية في البقيه * و الرعاية في الرعية * فقال ذلك الامير * للسائل الفقير * اجمعوا بعض الاطفال عند بعض القابل * فلعل ان يلين قلبه عند رؤيتهم شيأ ما عسى و لعل * فامتثلوا ما به امر * و وضعوا شِرذِمة من الاطفال منه على الممر * ثم ركب ذلك الامير مع تيمور و اخذ به على تلك الاطفال و مر * ثم قال انظر يا مخدوم * نظر الراحم الى المرحوم * فقال ما هؤلاء * الطرحاء الاشقياء * فقال اطفال معصومون * و امة مرحومون مرجومون * استحر القتل بوالديهم * و حلّ غَضَب مولانا الامير على اكابرهم و ذويهم * و هم يسترحمون بعواطفك

الملوكية و صِغَرِهم * و يستشفعون اليك بذُلّهم و ضَعفِهم و يُتمِهم و فقرهم و كسرهم * ان ترحَم ذُلّهم * و تُبقي على من بقي لهم * فلم يُحِر جوابا * ولا أبدى خطابا * ثم مال بعنان فرسه عليهم * و لم يُظهِر انه بصر بهم و لا نظر اليهم * و مالت معه تلك الجنود و العساكر * حتى اتى منهم على الاول و الاخر * جعلهم طعمة للسنابك * و دقّة تحت اقدام اولئك * ثم جمع الاموال * و اوسق الاحمال * و مال راجعا الى سمرقند بما قد نال * وكم بين هذه الامور و القضايا * من دواه و بلايا * و اخبار و حكايات وتجهيز سرايا * و تولية و عزل * و ابراز هزل في صورة جِدٍّ و جِدٍّ في صورة هزل * و بناء و هَدّ * و صدٍّ و رد * و تعمير غامر و تخريب عامر * و تهان و تعاز * و انحراف و تواز * و مباحثات مع علماء * و مناظرات مع كبراء * و رفع وضعاء * و وضع شرفاء * و تمهيد قواعد * و تقريب اباعد * و تبعيد اداني * و بروز مراسيم الى كل قاص و داني * الى غير ذلك مما لا يكاد يحصر * و لا يضبط بديوان و لا دفتر *

ذكر ضبطه طرف المغل و الجتا

و ما صدر منه في تلك الاماكن و اتى

و لما وصل الى سمرقند ارسل ابن ابنه محمد سلطان بن جهانكير * مع سيف الدين الامير * الى اقصى ماتبلغ اليه مملكته * و تنفذ فيه كلمته * و هو وراء سيحون شرقا سوا * آخذا في بحور ممالك المغل و الجتا و الخطا * نحوا من مسيرة شهر * عن ممالك ماوراء النهر * فمهدوا هنالك الوهد و البقاع * و بنوا فيه جملة من القلاع * و اقصاها بلد يسمي اشبارة * فبنوا فيه حصنا

حصينا معدا للنهب و الغارة * وخطب من بنات الملوك ملكةً اخرى * و كانت الاولى تدعى الملكة الكبرى و الاخرى الملكة الصغرى * فاجابهم ملكهم الى ما سأل * و اذاب الى ما طلبه منه بالاطاعة وبذل * وارتجت منه اقاليم المغل و الخطا * وذلك لما بلغهم مما فتك – في كل طرف و بتك – من بلاد الاسلام و سطا * وكان السفير في ذلك الله داد اخا سيف الدين المذكور * و هو الذي استخلص اموال دمشق و نزل في دار ابن مشكور * وامر تيمور ببناء مدينة على طرف سيحون من ذلك الجانب * وعقد اليها جسرا على متن النهر بالمراسي و المراكب * سماها شاه رخية * وهي في اماكن رخية * و سبب تسمية ابنه شاه رخ بهذا الاسم * ووسم هذه المدينة بهذا الوسم * انه كان على عادته * مشغولا بلعب الشطرنج مع بعض حاشيته * و قد امر ببناء هذه المدينة على هذا الساحل * و كانت احدى حظاياه معه و هي حامل * فرمى على خصمه شاه رخا * فذبل خصمه لذلك و ارتخى * و بينما خصمه قد وقع في الاين * اذا بمبشرين جاء مخبرين * احدهما يبشره بولد * و الاخر يبشره بتمام عمارة البلد * فسماهما بهذين الاسمين * و وسمهما بهذين الوسمين *

ذكر عود ذلك الافعوان * الى ممالك فارس وخراسان * و فتكه بملوك عراق العجم * واستصفائه تلك الولايات و الامم *

ثم عاد * بعد تمهيد البلاد * و توطيد قواعد ممالك تركستان * الى بلاد خراسان * فاستقبله الملوك و الامراء * و السلاطين و الوزراء *

و سارعوا اليه من كل جانب * ما بين راجل و راكب * ملبين دعوته * حاذرين سطوته * مغتنمين خدمته * و سلموه الانجاد و الاغوار * و الاطواد و القفار * و القرى و سكانها * و الذرى و قطانها * و القلاع العاصيه * و ربطوا بذيل امره كل ناصيه * ممتثلى اوامره * مجتنبي زواجره * عاقدي نطاق عبوديته باناءل الاخلاص * تابعي رائد مرضاته على نجائب الولاء و الاختصاص * فمنهم من مر ذكره من المطيعين * و من كانوا فى الشواهق ممتنعين مذيعين * و من جملتهم اسكندر الجلابي احد ملوك مازندران * و ارشيوند الفارسكوهى ذلك الاسد الغضبان * صاحب الجبال * الشوامخ العاصية القلال * و ابراهيم القمي صاحب الانجده * و المعد لكل شده * و اطاعه السلطان ابو اسحق من شيرجان * فاجتمع عنده من ملوك عراق العجم سبعة عشر نفرا مابين سلطان و ابن سلطان و ابن اخي سلطان * كلهم في ممالكه ملك مطاع * مثل سلطان احمد اخي شاه شجاع * و شاه يحيى ابن اخى شاه شجاع سوى ملوك مازندران * و سوى ارشيوند و ابراهيم و ملوك خراسان * و لما سلك السلطان ابو اسحق نمط اقاربه فى الطاعة و عمل على ذلك الطرز * خلف ببلده شيرجان نائبا يقال له كودرز * فاتفق في بعض الايام * انه اجتمع عند تيمور هؤلاء الملوك العظام * فكانوا عنده * في خيمة له و هو بينهم وحده * فاشار واحد منهم الى شاه يحيى وقد امكنت الفرصه * ان يقتله و يرفع عن العالم هذه الغصه * فاجابه بعض و امتنع بعض * و قال لمن رضي بذلك من لم يرض * ان لم تكفوا * و عن هذا المقال تعفوا * اخبرته بهذه المقاله * واطلعته على هذه الحاله * فامتنعوا عن هذا الراى المتين و الفكر الرصين *

لاختلافهم و لا يزالون مختلفين * وكانه طالع احوالهم ارتفرس اقوالهم * فاسرها في نفسه و لم يبدها لهم * ثم مكث اياما * و جلس للناس جلوسا عاما * و قد لبس ثيابا حمرا * ودعا هؤلاء الملوك السبعة عشر طرا * ثم امر فقتلوا جميعا في ساعة واحدة صبرا * ثم لما اباده‍م * ضبط بلادهم * و جمع طريفهم و تلادهم * و قتل اولادهم و احفادهم * واقام في ممالكهم اولاده * و امرآءه و احفاده واسباطه واجناده * و سببه قتله هؤلاء الملوك و فتكه * و تمزيقه ستر حيوتهم و هتكه * ان بلاد العجم كانت لا تخلو عن الملوك الاكابر * و من ورث الملك والسلطنة كابرا عن كابر * وهي ممالك واسعة * اطرافها شاسعة * مدنها وافرة * و قراها متكاثرة * و اوتاد اوتادها راسخة * و عرانين اطوادها شامخة * و مخدرات قلاعها ناشزة * و مضمرات مكامنها و معادنها غير بارزة * و كواسر اكاسرها كاسرة * و نواشر جوارحها للظهور ناشرة * و نمور دعارها طامرة * و ببور شطارها طافرة * و ثعابين ابطالها في جداول الجدال ظاهرة * و تماسيح اقيالها في بحار الضراب قاهرة * فنظر تيمور بعين بصيرته * في وذيلة تامله و مرآة فكرته * فرأى انه لايزكوله ورد عارضها من شوكة عارض * و لايصفو ورد ثغر فائضها من شارب معارض * و لايثبت له في بنيان ممالكها آساس محكم * و لاينبت له في بستان ممالكها غراس ينعم * و كان قصده ابقاء مبانيها * و اجراء اموره على ما اقتضته التورة الجنكيز خانية فيها * فلم يمكن عمل فلاحة لسلطنته في بسيط ارضها * و سوق انهار اوامره في ضرائب ممالكها طولها و عرضها * الا بقلع علاليق انساب اكابرها * و كسر قوادم اخشاب احساب اكاسرها * فسعى في استيصال فرعهم و اصلهم * و اجتهد في اهلاك حرثهم و نسلهم * و جعل لايسمع لهم ببزرة نطفة في رض

رجم الا قلعها * ولا يشم منهم رائحة زهرة في كمّ كمين الا قطعها * وقيل انه كان في مجلس فيه اسكندر الجلابي وكانه كان مجلس نشاط * ومقام انشراح وانبساط * فسأل اسكندر * في ذلك المحضر * وقال ان حكم القضاء بافساد بنيتي * من تراه يتعرض لاولادي وذريتي * فاجابه وهو في حالة الشطح * وقد حلت عليه دماغه ووضع سراج العقل منها فوق السطح * اول من ينازع اولادك المشائيم * انا وارشيوند وابراهيم * فان نجا من مخالبي منهم احد * فانه لا يخلص من انياب ابراهيم الاسد * وان افلت احد منهم من ذلك البند * فانه لا مخرج له من شراك ارشيوند * وكان ارشيوند وابراهيم غائبين * فلم يتعرض تيمور لاسكندر بضرر وشين * واراد بالابقاء عليه * وقوعه مع صاحبيه * فلما افاق اسكندر ليم على ما قال * فقال لا مقرّ من قضاء الله ولا مجال * ولا عتب في ذلك عليّ * انطقني بذلك الله الذي انطق كل شي * ثم ان اسكندر وابراهيم هربا * فقبض على ارشيوند والقاه في النازعات فصار نبا * وهتك حريم عمره اذ جرّعه اول الرعد واقرأه آخر نوح وسبا * ثم ان اسكندر لم ير له أثر * ولا سمع عنه الى يومنا هذا خبر * وكان كبير الهامه ـ طويل القامه * اذا مشى بين الناس كانه علامه * حتى قيل ان مدى ذلك القصر المشيد * كان نحوا من ثلثة اذرع ونصف بالحديد * وابراهيم القمي استمر على انكماشه * ثم مات على فراشه * فكان ذلك * سبب ايراده الملوك وابناء هم المهالك *

فصل

ثم ان تيمور عصى عليه كودرز في قلعة شيرجان * وقال ان

مخدومي شاه منصور موجود الى الان * و كان هذا الكلام * فاشيا في الخاص و العام * فكان كودرز يتوقع ظهوره * و يرجي على ذلك اعوامه و شهوره * فحاصر تيمور قلعة شيرجان * فلم يلمّ له عليها سلطان * فوجه اليها عساكر شيراز و يزد و ابرقوه و كرمان * و اضاف اليهم عساكر سجستان * و ذلك بعد ان شمّاها العمّران * و كان نائبها يدعى شاه ابا الفتح فحاصروها نحوا من عشر سنين * و هم ما بين ظاعنين عنها و عليها مقيمين * و هي بكر لا تفتح لطالبها بابا * و عانس لا يملك خاطبها منها خطابا * و كان تيمور ولي كرمان * شخصا يدعى ايدكو من اخوان السلطان * فكان هو المشار اليه * و من العسكر هو المعوّل عليه * و لما تحقق كودرز من شاه منصور وفاته * و خذله الانصار و اعجزه الانتصار و فاته * و كان ابو الفتح يراسله كل ساعه * و يتكفل له عند تيمور بالشفاعه * آذعن للصلح * و استعمل لذلك ابا الفتح * و نزل متراميا عليهم * و سلم الحصن اليهم * فحنق ايدكو عليه * لكون عقد الصلح لم ينحل على يديه * فقتله من ساعته * و لم يلتفت الى ابي الفتح و شفاعته * فاخبر تيمور بذلك * و كان في بعض الممالك * فغضب عليه غضبا شديدا و لكن فات التدارك *

فصل

مما يحكى عن آيدكو هذا متولى كرمان انه كان بها للسلطان * احمد اخي شاه شجاع ولدان صغيران * احدهما يدعى سلطان مهدي و الآخر سليمان خان * و كان سليمان في غاية الحسن و اللطافه * حاويا معاني الملاحة و الظرافة * محبّبي بالكمال * مربّي بالدلال * الفاظه رائقه * و الحاظه راشقه * و الارواح اليه

فائقه * و ارباب الالباب له عاشقه * حركاته في القلوب ساكنه *
و لفتاته للخلق فاتنه * كما قيل * شعر

نسيم عبير في غلالة ماء * و تمثال نور في اديم هواء

و عمره اذ ذاك ستة اعوام * و لكن مفتتن به الخاص و العام *
فعزم ايدكو على اتلافهما * والحاقهما باسلافهما * و لم يكتف من
تلك الدرة بانها صارت يتيمه * و لا رق لامهما التي خربت ديارها
لكونها مخدرة كريمه * ولم يكن له مدافع * ولا عنهما ممانع *
فطلب من الجلادين من يعتمد في ذلك عليه * فلم تطب نفس
احد ان تمتد يده بمكروه اليه * و مضى على ذلك مده * و الخلق
بسبب هذه القضية في ضيق و شده * حتى وجدوا عبدا اسود *
كانه للبلاء مرصد * و كان الشياطين له عبده * و العفاريت له جنود
و حفده * و ثوب ليل القهر من سد اسواده انتسج * و اصل الشجرة
التي طلعها كانه رؤس الشياطين من حبة فواده نبت فنتج *
يستثقل عند صدى صوته خوار الثيران * و يستحسن عند خيال
صورته مشاهدة الغيلان * قلت

زبانية النيران تكره وجهه * و حين تراه تستعيذ جهنم

قد نزع الله من قلبه المرحمه * و جبل فواده على المأثمه * فارغبوه
في ان يخنقهما * و يقتلهما * و كانت عين سليمان خان رمدا * و قد
سكن في حجر دايته و تهدا * فدخل عليه ذلك الظالم من ساعته *
و اغتاله و هو راقد في حجر دايته * فضربه في جنبه بخنجر *
انفذه من الجنب الاخر * فارتفع الضجيج و الولوله * و وقع العجيج
في الناس و الزلزله * و عم الماتم امه الوالهة و اهلها * و طفق
الناس يبكون عليها و لها * و الظاهر ان هذه الامور * كانت باشارة

تيمور * و عسكر ذلك الظلوم الكفّار * ما كان يخلو عن مثل هذه الشرور و الاشرار * و لو كان فاعله من غيرهم * لكن لعلة المصاحبة و المرافقة كان يسير بسيّرهم *

حكاية

لما ارتحل من الشام بجنوده الغزيرة * كان مع واحدٍ منهم اسيرة * كشفت ايدي النوائب قناعَ عصمتها و لطمتها * و على يدها بنتٌ لها رضيع فطمتها * فلما قربوا الى حماه * جعلت البنت تأنّ انين الاواه * و لما بها من المضض المبكي * تتنكّد و تبكي * و معهم جمال من بغداد * منطوٍ على الفساد * محتوٍ على النكاد * مجبول على الغلاظة و القساوة * معمول من الفظاظة و الغباوة * ممتلئ من البذا * متضلّع من الاذى * لم يخلق الله تعالى فى قلبه من الرحمة شيأ فينتزع * و لم يودع لسانه لفظا من الخير فيستمع * فاخذ تلك البنت من امها * فدار في وهمها انه انما اخذ ها ليخفّف من همها * و كانت راكبة على جمل * ثم انقطع ساعة عن التنقل * ثم وصل و يده خاليه * و قهقهته عاليه * فاستكشفت امها حالها * فقال ما لي و ما لها * فهوى عقلها و وهى * نطرحت نفسها و نحت نحوها * فاخذتها و انقلبت * و اتت بها و ركبت * فتناولها منها مرةً أخرى * على ان لا يسومها ضُرا * ثم غاب عنها و رجع * و قد صنع كما صنع * فالقت نفسها ثانيه * و عدت اليها ثانيه * و جاءت وهي عانيه * و قطوف حتوفها دانيه * فركبت و اخذتها * و وضعتها على كبدها التي منها فلذتها * فاخذها منها مرة ثالثه * بنيةٍ في الفساد عابثه * و حلف لها يميناً حانثه * انه يحملها و ينوء * ولا يمسّها بسوءٍ * فحملها ساعه * ثم خرج عن

سنة الجماعة * و رمى بها في بعض البطاح * ومثّل بها ما فعله اليهوديّ بصاحبة الاوضاح * و جاء و يده الدامغة * بالاثم ملاى و من البنت فارغة * و قد سلّبها سَلَبها * وجلب الى امها جَلَبها * فاطرّحت نفسها باكية * و رامت الرّجعى جارية * فقال لها لا تتعبي * كَفَيْتكِ همًّا فارجعي و اركبي * فبكت و صاحت * و انّت و ناحت * ووقعت في العَناء و ان كانت استراحت * والناس على دين ملوكهم * سالكون طرائق سلوكهم *

سبب دخوله الى عراق العرب * وان كان ايذاوه لايحتاج الى علة وسبب *

و لما خلص لتيمور جميع ممالك العجم * و دانت له الملوك والامم * و انتهت مراسيمُه الى حدود عِراق العرب * غضب السلطان احمد صاحب بغداد و اضطرب * فجهّز جيشا عَرَمْرَما * و جعل رئيسهم اميرا مقداما مُقدَّما * يدعى سنتائي * فتوجه الجيش نحو الجغتائي * فبلغ تيمور خَبَرُ الجيش و خُبْرُه * فسُرّ بذلك قلبه و انشرح صَدْره * فجعل ذلك سببا لمُهاوشته * و ذريعة لمُحاربة ملك العراق و مناوشته * و انفذ جيشا كرارا * بل بحرا زخّارا * فتلاقيا بصدق نيّة * على مدينة سلطانية * فصدّق كل منهما صاحبه الضرب * و سدد لنحره السنة الاسنّة و سهام الحَرْب * استمد بحر الجغتائي من افواج امواجه و اصطدم * فانسكر في فساطله قنيات جند سنتائي فانهزم * و وصل كلهم الى بغداد * و تشتتوا في البلاد * فالبس السلطان احمد سنتائي المقنعة * و اشهره في بغداد بعد ان ضربه و اوجعه * و كف تيمور عن عناده * و قفل متوجها الى بلاده *

ذكر سكون ذلك الزعزع الثائر * وهدو ذلك البحر المائر * لتطمئن منه الاطراف فيحطمها كما يريد و يدير بها الدوائر *

ثم ان تيمور خرج من سمرقند الى ضواحيها * و جعل يتنقل في جوانبها و نواحيها * و بنى حواليها قصبات * سمّاهن باسماء كبار المدن والامهات * و قد صفت له سمرقند و ولاياتها * و ممالك ما و راء النهر و جهاتها * و تركستان و ما فيها من البلاد * و نائبها من جهته يدعى خدايداد * و خوارزم التي بها فتك وسطا * و كاشغر و هى فى بحر ممالك الخطا * و بلخشان و هى على حدة * عن ممالك سمرقند متباعدة * و اقاليم خراسان * و غالب ممالك مازندران * و رستمدار و زاولستان و طبرستان * و الري و غزني و استراباد * و سلطانية و سائر تلك البلاد * و جبال الغور المنيعة * و عراق العجم و فارس الشامخة الرفيعة * و كل ذلك من غير منازع * ولا مجادل و ممانع * و له فى كل مملكة من هذه الممالك ولد * او ولد ولد او نائب معتمد *

انموذج مما كان يغور * ذلك الظلوم الكفور * من مماكرة فى بحور * و يغوص على امور * ثم يفور بشرور * و من جملة ذلك قوصه مما وراء النهر و خروجه من بلاد اللور *

ثم انه مع اتساع مملكته * و انتشار هيبته و صولته * و شيوع اراجيفه فى الاقطار * و بلوغ تخاويفه الاقاليم و الامصار * و ثقل

انتقاله * و عدم اختفاء توجهه الى جهة و انتقاله * كان يجري فى جسد العالم * مجرى الشيطان من ابن آدم * و يدبّ فى البلاد * دبيب السمّ في الاجساد * قلت شعر

يصوّب يُمْنة و يُصيب يَسْرة * و ينْوي جَبْهة و القصد نَثْرة

بينما يكون له في المشارق بيارق فيالق * اذ لمع له فى الغرب بوارق بوائق * بينما نغمات طبوله و ضربات اعواده تُقْرَع في حصار العراق و اصبهان و شيراز * و اذا برنات اوتاره و بوقات ابواقه تسمع في مخالف الروم و مقام الرهاوي و رَكْب الحجاز * فمن ذلك انه مكث في سمرقند مشغولا بانشاء البساتين و عمارة القصور * و قد آمنت منه البلاد و اطمانت الثغور * فلما انتهت اموره * و بلغ الكمال قصوره * امر بجمع جُنْده * الى سمرقنده * ثم امرهم ان يصنعوا لهم قلانس ابتدعها * على صورةٍ من التركيب و التضريب اخترعها * فيلبسونها و يسيرون * و ما بيّن الى اين يصيرون * ليكون ذلك لهم شعارا * و قد كان ارصد له في كل جهة من ممالكه خُشارا * ثم رَحَل عن سمرقند * و اشاع انه قاصد خُجَنْد * و بلاد الترك و جَنْد * ثم انه اِنْدَمَس * في د ردور عسكره و انقمص * كأنه في لجة بحرٍ انغمس * و لم يَشْعُر احد اين عطف * و لا انى قصد المختطف * و لا زال في تأويب و اسآد * و جَوْب بلاد بعد بلاد * يجري جَرْيَ المراكب * و يسير سَيْر الكواكب * و يطرح ما وقف و كلّ من نجائب الجنائب * حتى نبَغ من بلاد اللُّور * و لم يكن لاحد به شُعور * و هى بلاد عامرة * خيراتها متكاثرة * و فواكهها وافرة * اسم قلعتها بروجرد و حاكمها عزّ الدين العباسى * و قلعتها و ان كانت فى الحضيض لكن كانت تُسامي بمناعتها حصون الجبال الرواسي * وهى

مجاورة هَمَذان * و مناظرة عراق العرب كاذربيجان * فاحاط بالقلعة
و ما حواليها و حاصر مَلِكها المتولى عليها * و لما كان صاحبها بلا عدد *
و لا عدد و لا أُهْبة و لا مدد * و كان في صورة المتوكل المحتسب * و اتاه
البلاء من حيث لا يحتسب * لم يَسَعْه الا طلب الامان * و الانقياد
له و الاذعان * فنزل اليه وسلمه قيادة * فقبض عليه و ضَبط بلاده * ثم
ارسله الى سمرقند و حَبسه * و ضيّق عليه نَفَسَه و نَفَسَه * ثم بعد
ذلك بمدة حلّقه و رفع عنه ما نابه * و صالحه على جُمَل من الخيل
والبِغال و ردّه الى بلاده و استنابه * و لما استخلص ذلك الكفور *
ولايات تلك الكفور * واصل السير الى هَمَذان * في اقرب زمان *
فوصل اليها و اهلها غافلون * فجاءها الباس بياتا او هم قائلون *
فخرج اليه منها رجل شريف يقال له مُجْتَبى * و كان عند الملوك
مصطفى و لَديهم مرتضى * فشفَع فيهم فشفّعه على ان يبْذُلوا مال
الامان * و يشتروا باموالهم ما من عليهم به مَنّ الارواح و الابدان *
فامتثلوا امره و فعلوا * و وزعوا ذلك فجمعوه و الى خزائنه نقلوا *
فدعته نفسه الجانية * ان طَرَح عليهم المال مرة ثانية * فخرج
اليه ذلك الرجل الجليل * و وقف في مقام الشفاعة مقام
البائس الذليل * فقبِل شفاعته * و وهبه جماعته * ثم انه مَكَث
بمكانه و جثَم * حتى تلاحق به عسكره و التأم *

ابتداء تخريب ذلك الخرب * اذربيجان و ممالك عراق العرب

و لما بلغ السلطان احمد بن الشيخ آوَيْس * ما فعله بغنم رعايا
جيرانه اللور و همَذان ذلك الاوَيْس * علم انه لا بد له من قصد
مملكته و دياره * لانه هو باداه بالشر و طرح على شرارة طائر شرارة *

و ان عسكره وان كان كالسيل الهامر فانه لا مقاومة له ببحره و تيّاره * و انه اذا جاء نَهْر الله بطل نهر عيسى * و لا مقابلة لسَحرة فرعون مع عصا موسى * قلت شعر

السيل يَقْلَع ما يلقاه من شَجَر * بين الجبال ومنه الصَّخر ينفطرُ
حتى يوافي عُباب البحر تنظره * قد اضمحل فلا يبقى له اثر

فاستعد للبلاء قبل نزوله * و تأهب له قبل حلوله * فتشمّر للهزيمه * و علم ان ايابه سالما نصف الغنيمه * و اقتصر من بسيط فقه المقاتلة والمقابَلة الوجيز * و صمم على الخروج من ممالك بغداد و العراق و تبريز * و قال لنفسه النجاء النجاء * و جهز ما يخاف عليه صحبة ابنه السلطان طاهر الى قلعة النجاء * و ارسل الى تيمور الاشعار في الهجاء * فمن ذلك ما ترجمته و هو * شعر

لئن كانت يدي في الحَرْب شَلا * فرِجْلي في الهزيمة غير عرْجا *

ثم قصد البلاد الشامية * و ذلك في سنة خمس و تسعين و سبعمائة * في حيوة الملك الظاهر ابي سعيد برقوق رحمه الله تعالى * فوصل تيمور الى تبريز * و نهب بها الذليل و العزيز * و وجه الى قلعة النجاء العساكر * لانها كانت مَعْقل السلطان احمد و بها ولده و زوجته و الذخائر * و توجه هو الى بغداد و نهبها * و لم يخربها و لكن سلّبها سَلَبها * وكان الوالي بالنجاء رجلا شديد الباس يدعى التُّون * عند السلطان احمد مأمون و له اليه رُكُون * و معه جماعة من اهل النجده * و اولي البأس و الشدّه * نحوا من ثلثمائه رجل في العدّه * فكان ينزل بهم التون * اذا اخذ الليل في السكون * و يشنّ الغارة على تلك العساكر و المكان المسكون * فوهن امر العسكر * فابلغوا تيمور هذا الخبر * فامدهم بنحو اربعين الف

مقاتل مشهور * مع اربعة امرآء كبيرهم يدعى قتلغ تيمور * فوصلوا الى القلعة ولم يكن اذ ذاك التون فيها * وكان قد خرج الناس للغارة على من في ضواحيها * فبينما هو راجع * اذا بالنقع ساطع * فلما اطّلع طلّع الخبر * قال اين المفرّ * فقيل كلا لا وزر * فعلم انه لا ملجاء من الله الا اليه * فثبّت جاشه وحاشيته و توكل عليه * وقال ان الروس في مثل هذا المقام * انما يكونون تحت الاعلام * فاحتموا نحو قلب هؤلاء اللئام * فاما ان تبلغوا او تموتوا على ظهر الخيل و انتم كرام * انه لا ينجيكم من هذا الكرب * سوي الطعن الصادق و الضرب * قلت شعر

كريما مُتّ و الا مت لئيما * فما و الله بعد الموت موت

فتعاضدوا بهمة صادقه * و عزيمة على حصول الخلاص من الله تعالى واثقه * و قد احاطوا بهم احاطة الشَّبكة بالسَّمكه * و صاروا في وسطهم كالمغزل فى الفَلَكه * و قصدوا الراية و حامليها * و من يليها و ذويها * فساعدهم ساعد سَعْد اللّحيان بنصرته * و حل عنهم القَبْض الداخل انكيس عُقْلَته * فاسالوا على راياتهم ذات البياض من الدماء حُمْرة * وفُتحت لجماعتهم طريق الى عَتَبة النُّصْرة * فلاح لهم فلاح * و نَجِم لهم نجاح * فنجوا من الشرور * و حصل لهم السرور * بعد ان قتلوا من العسكر اميرين احدهما قتلغ تيمور * و لما وصل هذا الخبر اليه * اسودّت الدنيا فى عينيه * بل انقلب الكون و المكان عليه * ثم نهض اليها بنَفْسه * و ربض عليها بحَرَسِه * و احاط بجوانبها * و القَمَ الحرس افواه مضاربها *

صفة قلعة النجاء

و هذه القلعة امنع من العقاب * و ارفع من السحاب * يناجى

السماك سماكها * و يباهي الافلاك استمساكها * كأن الشمس في شَرَفها * تُرس من الابريز على بيض شُرَفها * وكأن الثريا في انتصابها * قنديل معلق على بابها * لا يحوم طائر الوهم عليها * فاني يصل طائش السهم اليها * ولا يتعلق بخدَم خدَمتها خَلخال خيال و افتكار * فضلا ان يُتَحلّق على معصَم عصمتها من عساكر الاساورة سوار * وكان التون قد تربى في تَرائب تُرابها * و اهل مكة اخبر بشعابها * فصار كلما سجى الليل الساجم * و ارصد لسُرّاق الشياطين عيونه الرواجم * هبط من تلك القِلال * و سَرى سَرى طيف الخيال * ودب دبيب الشحم في اللحم * و الماء في العود و النار في الفحم * من دَرْب لم تتوهمه الظُنون * بعون من لا تراه العيون * بحيث لا يشعر به الحَرَس * و لا يبصره العَسَس * و لا يزال يتلو عليهم آيات الاغفاء * و يَنفُث بطلسماته الاستخفاء * و يتقرب و يترقب * حتى يلوح له في الحيّ مَضرب * فيَقتُل و يَسلُب * و يَنهَب و يَهرُب * فيكرّ سالما * و يفِرّ غانما * فلم يزل ذلك دأبهم و دابه * حتى اعجز تيمور و اصحابه * فلم يرَ تيمور اوفق من الارتحال * لضيق المجال * و عسُر المنال * فارتحل عنها بعد ان رتّب عليها للحصار اليَزَك * و استمر الحصار مدة طويلة و القضاء يقول له اصبِر فانها لن تُعجِزَك * قيل انها مكثت في الحصار اثنتى عشر سنة * وسبب اخذه لها ان التون المذكور * كان له اخ بالفسق مشهور * فحصل بينه و بين ام السلطان طاهر * خيانة اوجبت عليهما ما يجب على العاهر * فاطلع ذلك طاهر بن السلطان احمد * فقبض عليهما و قتلهما سالكا في ذلك الرأي الاحمد * وكان اذ ذاك التون عن القلعة غائبا * قد خرج منها و قصد الغارة جانبا * فلما رجع التون اغلقوا باب القلعة عليه *

و رموا باخيه من فوق السور اليه * و اخبروه خبره * و عُجَرَه وبُجَره *
فقال جزاكم الله احسن الجزاء * و جعل حظكم من الخيرات اوفر
الاجزاء * لوكنت عالما فعله * او حاضرا قتله * لعاملته بماهو اهله *
و فعلت به ما تجب فعله * و اُحِلّ به من الزمان دواهيه *
و لاريتكم العبر فيه * و لا شهرته في خلق الله تعالى و بريته * و ناديت
عليه هذا جزاء من يخون ولي نعمته * ثم طلب الدخول *
فقطعوه عن الوصول * فقال اما اخي فانه جنى فذاق ثمرة
ما جناه * و اما انا فقلبي على الوفاء بعهدكم من الازل الى
حين و فاه * و لم ا زل موالى وليكم * و معادي عدوكم * فان
طردتموني فالى اين اذهب * و ان رددتم رغبتي فيكم ففيمن ارغب *
فقالوا ربما ادركتك الحمية * ولحقتك العصبية * فتذكرت اخاك *
و تفكرت شدتك بعد رخاك * فنقمت * و انتقمت * و اعوججت
بعد ما استقمت * و تكدّر منك ما صفا * و ناهيك قصة الاخوين
مع ذات الصفا * قلت شعر

و يمكن وصل الحبل بعد انقطاعه * و لكنه يبقى به عُقدة الربط

فانشألهم ايمانا واثقه * ان كلماته و عهوده صادقه * فقالوا له لاتطل
فما حَييت * مالك عندنا مقيل و لا مبيت * فارجع من حيث
جئت * و هذا اخر العهد منك غَضِبت ام رضِيت * فاخذ يذم
دهره * و يأكل يده ندامة و حسْرة * على انه انفذ عمْره * في
طاعة من لم يعرف قدره * ثم دنى فتدلى * و عبس و تولى *
و سيب فرسه و ماله * و فرق خيله و رجاله * ولما لم يكن له
ملجا * سوى قلعة النجاة * و قد خرجت من يده * و القت النار
في كبده * ضرب اخماسا لاسداس * فيمن يقصده من الناس *

ثم اوري برأيه الزَّنْد * ان يقصد مدينة مرَنْد * وكانت تحت حكم تيمور * و فيها اوامره تمور * فسالمها * و قصدها كمها * لابسا لبدا * و تاركا مالا و ولدا * و لما اتصل بحاكمها الخبر * احاط به الجُبْن و الخور * فاضطرب و اقشعر * و اضطرم و اعتكر * و اخذ الحذر * و رام المفَرّ * فقيل انه وحده * من غير رجال وعدة * فرجع عقله اليه * و دخل القون عليه * فاخذ في التفتيش عن اموره * ثم قطع رأسه و ارسله الي تيموره * فحرق لذلك و انتكى * وتأسف عليه و بكي * وارسل الى قاتله فعزله * ثم صادره و قتله * ثم ان السلطان طاهرا لما احدث هذا الحدَث * و تجس بهذه الخبائث و الخَبَث * لم يمكنه الاقامة فاذن بالرحيل * و أَمَّ بجماعته قبلة التحويل * اذ نشز عنه مخدرات القلعة فعجز عن احصان تحصينها * وعَنّ في افتضاض ابكارها وعونها * و قل جيشه و انغل * فسل متاعه منها و انسل * فذل لتيمور صعابها * و فتح له من غير معالجة بابها * فولي فيها من يثق به من الاعوان * و وصى به لعلة المجاورة الشيخ ابراهيم حاكم شروان * ثم ثنى عنان الفساد * الى صوب بغداد * فهرب السلطان احمد كما ذكر الى الشام في فئة * و ذلك في شوال سنة خمس و تسعين و سبعمائة * فوصل اليها حادي عشرة يوم السبت * فكبتها و من حواليها اي كَبْت *

ذكر اخبار صاحب بغداد * واسماء ابائه والاجداد وكيفية دخوله الى هذه البلاد *

و هو السلطان مُغيث الدين احمد بن الشيخ أويس بن الشيخ حَسَن بن حسين بن اقبغا بن ايدكان * صاحب بغداد و اذربيجان * و ما أضيف الى ذلك * من ولايات و ممالك * و ايدكان جده

الامل ابن القان الكبير الحجيد * شرف الدين سبط القان ارغون
بن ابي سعيد * كان والده الشيخ اويس * من اهل الديانة و الكيس *
ملكا عادلا * و اماما شجاعا فاضلا * مؤيدا منصورا * صارما مشكورا *
قليل الشر * كثير البر * صورته كسيرته حسنه * و كانت دولته تسعة
عشرة سنه * و كان محبا للفقراء * معتقدا للعلماء و الكبراء * و كان
قد ابصر في منامه * لوقت موافاة حمامه * ثم صدر هو و قبيله
عن ولاية بغداد قاصدين ديار بكر و آرزنجان فاستعد لحلول فوته *
و رصد نزول موته * و خلع من الملك يده * وولاه حسينا ولده *
و هو اكبر بنيه * و الافضل من اهله و ذويه * و نبذ ادانيه و دنياه *
و اقبل على طاعة مولاه * و استعطفه الى الرضى * و العفو عما مضى *
و لازم صلوته و صيامه * و زكوته و قيامه * و لازال يصلي و يصوم *
حتى ادركه ذلك الوقت المعلوم * فاظهر سره المصون * و تلا
اذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة و لا يستقدمون * فدرج على هذا
الطريقة الحسنه * و قد جاوز نيفا و ثلاثين سنه * و من مغرب
تبريز افل قمره * و في سنة ست و سبعين و سبعمائة وصل الى
الشام خبره * و استقر ولده جلال الدين حسين مكانه * و افاض
على رعيته فضله و احسانه * و كان كريم الشمائل * جسيم الفضائل *
وافر الشهامه * ظاهر الكرامه * اراد ان يمشي على سنن والده *
و يحيي ما دثر من رسوم آثاره و معاهده * فخذلته الاقدار *
و خالطت صفو مساعيه الاكدار * و في سنة ثلث و ثمانين
و سبعمائه * وصل من قصاده الى الشام فئه * و هم القاضي زين الدين
على بن جلال الدين عبد الله بن نجم الدين سليمان العبايقي
الشافعي * قاضي بغداد و تبريز و الصاحب شرف الدين بن

الحاج عزالدين الحسين الواسطيّ * وزيرالسلطان و غيرهما * ثم في جمادي الآخرة من هذه السنة وثب السلطان احمد على اخيه المشار اليه فقتله * وقام لينصر المُلك و الدين مكانه فخذله * فلاُجفن حيوته من الفناء سِنَه * و عمره اذ ذاك نيّفٌ و عشرون سنَه * و لما استولى السلطان احمد على ممالك العراق * مدّ يد تعديه و ضم جناح الشفَقة و الارفاق * و شرع يظِلم نفسه و رعيته * و يذهب في الجور و الفساد يومه و ليلته * ثم بالغ في الفسق و الفجور * فتجاهر بالمعاصي و تظاهر بالشرور * و اتخذ سَفْك الدما * الى سَلْب الاقراض و ثَلْم الاعراض سُلَّما * فقيل ان اهل بغداد مَجّوه * و استغاثوا بتيمورَ فاغيثوا بماء كالمُهْل يَشوي الوُجوه * فلم يَشْعُر الا و التتار قد دهمته * و عساكر الجغتائي خيلا و رَجْلا حطمته * و ذلك يوم السبت المذكور * من الشهرالمشهور* فاقتحموا بخيلهم رجله و قصدوا الاسوار * ولم يمنعهم ذلك البحر التيّار * و رماهم اهل البلد بالسِهام * و عَلِم احمد انه لاُيُنْجيه الا الانهزام * فخرج فيمن يَثِق به قاصد الشام * فتبعه من الجغتاي طائفة لئَام * فجعل يكرّ عليهم و يَرْدَعُهم * و يفرّ منهم فيَطْمَعهم * و حصل بينهم قتال شديد * و قُتِل من الطايفتين عدد عديد * حتى وصل الى الحلّه * فعبر من جَسْرها نهر دِجْله * ثم قطع الجسر * و نجا من ورطة الاَسْر * و استمرت التتار في عَقِبه * تكاد آنوفها تَدخُل في ذنبه * فوصلوا الى الجسر و جدوه مقطوعا * فترامَوا في الماء و خرجوا من الجانب الاخر و لم يزالوا تابعا و متبوعا * ففاتهم و وصل الى مشهد الامام * و بينه و بين بغداد ثلاثة ايام *

ذكر ما افتعله من الخديعة والمكر * في بلاد ارزنجان و ديار بكر *

فوصل الى ديار بكر و استخلصها * و من آيدي ولاتها خلّصها *
فعصت عليه قلعة تكريت * فسلّط عليها من عساكره كلّ عفريت *
و ذلك يوم الثلثاء رابع عشر ذي الحجه * و قد ارتجّت منه
البلاد اشد رَجّه * فحاصرها و اخذها في صفر بالامان * و نزل
اليه متوليها حسن بن بولتَمُور متدرّعَ الاكفان * و في حِضْنه
و على عاتقه اطفاله * و قد ودّعه اهلَه و مالَه * و اسلمتْه خيله
و رجاله * و ذلك بعد ان عاهده ان لا يريق دمَهَ * فارسله الى حائط
فقضّه عليه و رَدَمَه * و قتل من بها من رجال * و سبَى النساء
و اسر الاطفال * و جعل يعيث و يستأصل * و يقطع في الفساد
و يُوصل * حتى اناخ يوم الجمعة حادي عشرين صفر سنة ست
و تسعين الى الموصِل * فاخربها و كسرها * ثم اتى رأس عين
و نهبها و اسرها * ثم الى الرُّها تحوّل * و دخلها يوم الاحد عشرة
شهر ربيع الاول * فزاد عيثا و فسادا * و جارى فيما عاند ثمودا
و عادا * و خرج من تلك البلد * ثاني عشرة يوم الاحد * ثم اختار
من نسور قومه طائفة * على وِرْد الدماء حائمةً و على قتل المسلمين
عاكفه * فاخذ هم و اندغَر * و في ممالك ديار بكر انغمّر * و لم
يزالوا بها عابثين * و لاذاها قاصدين * و عليها ظالمين * و فيها
مارِدين * فقصد ها بتلك العفاريت المصاليت * و واصل السير
اليها فوصل خمسة ايام من تكريت * و مسافة ما بينهما للمُجِدّ *
اثنى عشر يوما ان لم يتردد * وكان سلطانها الملك الطاهر تحقق

انه لا يضر من التجأ اليه * وتدم في ثوب الطاعة عليه * فما وسعه الا التشبث بذيل ذممه * و الانتظام في سلك خدمه *

ذكر ماجرى لسلطان ماردين عيسى الملك الظاهر من المحنة و البلاء مع ذلك الغادر الماكر

لكنه خاف غائلته * فجمع حاشيته و صاغيته * و قال اني ذاهب الى هذا الرجل و مظهر له الانقياد * فان ردني حسبما اريد فهو المراد * و ان طالبني بالقلعة * فكونوا انتم على التابي و المنعة * و اياكم ان تسلموها اليه * او تعتمدوا في الكلام عليه * وان دار الامر بين تسليم القلعة و بين إتلافي * فاحتفظوا بالقلعة و اجعلوا التلافي في تلافي * فانكم ان تسلموها اليه خرجتم من باطنكم و ظاهركم * و اتى بالهلاك على اولكم وآخركم * و خسرتم شعاركم و دثاركم و غبنتم انفسكم و دياركم * و اذا كان كذلك فانا اجعل نفسي فداكم * و اكفيكم بروحي ما دهاكم * و بعض الشر اهون من بعض * و ها انا اجس لكم النبض * ثم قصد ذلك الكالح * المفسد الطالح * بعد ما استخلف ابن اخيه الملك الصالح * شهاب الدين احمد الملك السعيد * إسكندر بن الملك الصالح الشهيد * و نزل يوم الاربعاء خامس عشرين شهر ربيع الاول سنة ست و تسعين و سبعمائة * و اجتمع به في سلخه بمكان يسمى الهلالية فقابله بشنعه * و قبض عليه بصرعه * و طلب منه تسليم القلعة * فقال القلعة عند اربابها * و بيد اصحابها * و انا ما املك الا نفسي فقدمتها اليك * و قدمت بها عليك * فلا تحملني فوق طاقتي * و لا تكلفني غير استطاعتي * فاتى به القلعة و طلبها منهم فابوا *

فقدمه اليهم ليضرب عُنقه او يسلموها فابوا * فطلب منه في مقابلة الامان * من الدراهم الفضيّة مائة تُومان * كل تومان ستّون الفا * خارجا عما يتقرب به اليه زلفى * ثم انه شد وثاقه * وسدّ عليه ليذهب عنه ما به من قوة كل باب و طاقه * و شمّر للفساد ذيله * و جعل يريح رجله و يُسمّن خيله * و يتفوق كاسات فساده * و يُعربد على عباد الله و بلاده * و استمر على ذلك لايعي و لايُفيق * و يتردد ما بين الفردوس الى رَسْمل و نصيبين و الموصل العتيق * ثم امر عساكره في جمادى الاخرة ان يمردوا قاصدين * و يقصدوا ماردين * فسابقوا الطير * و لاحقوا السير * وجاوزوا بالنهار الانهار * و بالليل السيل فقطعوا فقار القفار * قَطْع الهندي * و عملوا في تلك الجبال و القلال بما قاله الكِنْدي * و هو *

سمَوْتُ اليها بعد ما نام اهلها * سُموّ حَباب الماء حالا على حال

فوصلوا اليها على غفله * و احتووا عليها من غير مهله * و ذلك يوم الثلثاء ثاني عشره * و قد سَل الصبح حسام فَجْره * و طار غُراب الدجى عن وَكْره * فصاروا سوار مِعْصَم تلك الاسوار * و احلوا الدمار هاتيك الديار * فعمّوها رَجْفا * و ساموها خَسْفا * و هدّوها زَحْفا * و دكّوها وَجْفا * و تعلقوا باهداب ارجائها * و تسلّقوا * بالسلالم من ارضها الى سمائها * و كان متَسلّقهم على الاسوار * من القبلة رابية اليهود و من الغرب التَلُول و من الشرق المنشار * فاخذوا المدينة عَنْوة وقهرا * و ملأوها فِسقا و كفرا * و ترفّع اهل المدينة الى القلعه * و لم يكره احد سواهم علو المنزلة و الرِفعه * و اكرهوا ملتجئين الى قوادمها و خوافيها * و ذَبّ عنهم من القلعه بالسهام و المكاحل من كان فيها * فقتلوا من ظفروا به ذَكَرا و انثى صغيرا و كبيرا * و لم

يرتضوا بما فيها نهبا و بمن فيها اسيرا * فجالد بعض الناس و اظهر لهم بعض الجلاده * و اراد بتثبّته لهم ان يضمّ الجهاد الى الشهاده * و لازالت آيات القتال عليهم تُتْلى * حتى امتلأت المدينة من الجرحى و القتلى * و استمر ذلك من قبل طلوع الشمس * الى ان صار اليوم امس * و حين التقى على وجنتي الكون عارضا الليل * واستوفى اولئك المطففون من ظلمهم و تعديهم الميزان والكيل * و بادر نون الظلام * يونس الشمس بالالتقام * طراً على تلك الحركات السكون * فتراجعوا و نزل العسكر مقابل عربون * و قد قُتل من العسكرين ما سبق العدد * و اكثرهم كان من اهل البلد * فباتوا يعدون السلاح و يتفقدونه * و ينتظرون الصباح و يستبطؤنه * الى ان شق الليلُ مكتومَ جيبه * و اظهر الظلامُ مكنونَ غيبه * و امرالكونُ وجهَ النهار ان يضرب على جنبي الافاق اطراف شيبه * بكروا بكور الغراب * و بدروا الى الحراب و الخراب * و عصروا اهل المدينة و حاصروها اشد حصر * و هدموها و اسوارها من الظهر فمحوا آثارها بعد العصر * ثم باؤا بالاثام * و قد انتشر كظلمهم الظلام *

ايضاح ما اخفاه من الحيله * وصلود زند تلك الافكار الوبيله

و لما آب ليله بالخيبه * و لم يمكنه تحصيل القلعة بالهيبه * شحذ فكرا * وحدد مكرا * و ثاب عن المقابحه * و ثاب الى المصالحه * فردع ذلك الخسيس * في نهار ذلك الخميس * و ارسل اليهم يقول * ضمن كتاب مع الرسول * نُعلم اهل قلعة ماردين * الضعفاء

والعجزة المساكين * اننا قد عفونا عنهم و اعطيناهم الامان على نفوسهم و دمائهم فليأمنوا و ليضاعفوا لنا الادعية و هذه الرسالة نقلتها كما وجدتها * فما استتبّ كيده * و لا انجح قصده * لان رصدها كانوا غير راقدين * و شياطينَ حَرَسِها كانوا كهيّ ماردين * فارتحل ذلك البلية * بكْرة السبت الى البشيريه * و ارسل الى آمدَ الجنود * مع امير يدعى سلطان محمود * فتوجه بجيش طام * و حاصرها خمسة ايام * و ارسل يستمدّه عليها * فتوجه بنفسه اليها * و احلها الهَوان * فطلبوا الامان * فامّن البوّاب * ففتح له الباب * فدخل من باب الذّلّ * و وضع السيف في الكُلّ * فاباد الجميع * العاصي منهم و المطيع * و اسروا الصّغار * و هتكوا استار الحَرَم وحُرَمَ الاستار * و اذاقوا الناس * لباس الباس * و التجى بعض الناس الى الجامع * فقتلوا منهم نحو اَلْفي ساجد و راكع * ثم حرّقوا الجامع * و رحلوا و تركوها بلاقع * فهداه ابليس * الى قلعة ارجيس * ثم بادر بالتحريك * و حط على قلعة اونيك * و فيها مُضَرّبن قرا محمد اميرُ التركمان * فحاصروها و اخذوها بالامان * و ذلك في سنة ست و تسعين و سبعمائة بعد عيد رمَضان * ثم قتل كل من كان بها من الجُنْد * و صَيَّر مُضَر الى سمرقند *

فصل

ثم استصحب الملك الطاهر بسوء نيه * و رحل سابع ذي القعدة سنة ست و تسعين و سبعمائة و حبَسه في مدينة سلطانية * و حبس عنده من آمرائه الامير ركن الدين * و عزّ الدين السليماني و استقبوغا و ضياء الدين * و ضيق عليه بان يقطع عن اهله خبره * بحيث لا يدري احد عُجَرَه و بُجَرَه * و لما اتخذه شد الوثاق *

قصد التوجه الى دشت قفجاق * فاجرى نحوها ما اقام من الفتنة على قدم و ساق * و مكث الملك الطاهر سَنَة * لا يدري احد خبره في يقظة و لا سِنَة * ثم وفدت الملكة الكبرى الى سلطانيه * و خففت عنه ما به من ضيق و بليه * و فسحت له في مراسلة جماعته * و حرضته على طلب الدخول في رضى تيمور و طاعته * زاعمة انها ناصحة له و طالبة مصلحته * و كان ذلك من مكائد تيمور و باشارته * ثم رجع تيمور من الدشت في شعبان * سنة ثمان و تسعين فمكث بسلطانية ثلاثة عشر يوما ثم توجه الى همذان * و مكث بها الى ثالث عشر شهر رمضان * ثم استدعى من سلطانية الملك الطاهر * باكرام تام و انشراح صدر و خاطر * ففكوا قيوده و قيود متعلقيه * و عظموه غاية التعظيم مع ذويه * و توجه اليه يوم الخميس خامس عشره * و دخل عليه يوم السبت سابع عشره * فتلقاه بالاحترام و اعتنقه * و اذهب عنه دهشه و قلقه * و قبله في وجهه مرارا * و اعتذر اليه مما فعله منه جهارا * و قال له انك لله ولي * و رفيع القدر كابي بكر و علي * و تحلل منه * عما صدر في حقه عنه * و ضافه ستة ايام * و خلع عليه خِلَعَ الملوك العظام * و احله محلا جميلا * و اعطاه عطاء جزيلا * من ذلك مائة فرس و عشرة بغال * و ستون الف دينار كبكية و ستة جمال * و خِلَعاً مزركشة مكلله * و انعامات وافرة مكمله * و لواء لخفق على رأسه منصورا * و ستة و خمسين منشورا * كل منشور بتولية بلد * و ان لا ينازعه فيه احد * اول ذلك الرها الى آخر ديار بكر * الى حدود اذربيجان و ارمينية و كل ذلك من الدهاء و المكر * و ان جميع حكام تلك البلاد يكون تحت طاعته * معدودين في جملة خدمه و جماعته * يحملون اليه

الخراجَ و الخِدَم * و لا ينقّلون الا عن امره قدماً عن قدم * بحيث يكون شخص كل من مجاوريه بما افاء الله لظلّه فيئاً * ويعفى هو فلا يحمل الى تيمور و لا الى غيره شيئاً * و هذا و ان كان فى الظاهر كالاكرام * فانه فيما يؤل ليه وبال عليه و انتقام * و فيه كما ترى ما فيه * و إلقاء العداوة بينه و بين مجاوريه * و ينجرّ ذلك الى ان يلتجي اليه * و يعوّل في كل اموره عليه * و يدخل لكثرة الاعداء تحت ضِبنه * فيَصِل اذ ذاك منه الى حِضنه * ثم انه شرط عليه * انه كلما طلبه جاء اليه * ثم عانقه و ودّعه * و امر آمراءه بتشييعه فخرج من الضيق الى السعة * ثالث عشرين شهر رمضان ليلة الجُمعه * سَنَة ثمان و تسعين و سبعمائة فوصل الى سلطانيه * فى عيشة رضيّه * وحالة هنيّة * ثم عزم على تبريز * في جحفل نفيس عزيز * و اجتمع بامیران شاه * فزاد فى اكرامه و عطاياه * و شيّعه في احسن هيئة و ايمن طَوْر * فجاء على وسطان و بدليس و ارزن الى الصور * و وصل خبره الى قبائله و العشائر * فابتهج الناس و دُقّت البشائر * فوصل يومَ الجُمُعة حادي عشرين شوّال * و خرج اهل المدينة و الاكابر للاستقبال * و سبق الناسَ وليُّ عهده الملكُ الصالح * فدخل المدينة بفال سعيد وامر ناجح * و توجه الى مدرسة حُسام الدين * وزار والده وامواته الماضين * و عزم على ترك التخت المُنيف * و التوجه الى الحجار الشريف * فلم يتركه الناس خاصة وعامة * و ترامَوا عليه و قبّلوا اقدامه * فصعد الى محل كَرامته * و استقر فى كرسي مملكته * و سياتي لهذا الشان * مزيد بيان * و ماجرى من الامور * عند قدوم تيمور * و حلول عسكره اللئام * ماردين بعد خرابهم ممالك الشام * قيل لما استقر الملك الظاهر فى مملكته *

اجتمع عنده جماعة من ادباء ندماء حضرته * فاقترح عليهم ان يقولوا في ذلك شيأ فقال اولا بدر الدين حسن بن طيفور * شعر

طغى تمر و استأصل الناس ظلمه * و شاعت له في الخافقين الكبائر
لقد زاد بغيا فافرحوا بزواله * لان على الباغي تدور الدوائر

فقال ركن الدين حسين بن الاصغر احد الموقعين ثانيا * شعر

كن من رجال اذا ما الخطب نابهم * ردوا الامور الى الرحمن و اغتنموا
فسلموا الامر لما ان رأوا خطرا * لذي الجلال فلما سلموا سلموا

فقال القاضي صدر الدين بن ظهير الدين الحنفي السمرقندي ثالثا * شعر

طويل حيوة المرء كاليوم في غد * فخيرته ان لا يزيد على الحد
و لا بد من نقص لكل زيادة * و ان شديد البطش يقتص للعبد

ثم قال علاء الدين بن زين الدين الحصني احد الموقعين رابعا

د و بيت

لا تحزن فالذي قضى الله يكون * و الامر موكل الى كن فيكون
ما بين تحرك بلحظ و سكون * الحالة تنقضي و ذا الامر يهون

فاعجبه ذلك و اجازه خمسة آلاف درهم * و صرفه و الله اعلم *

ذكر رجوعه من ديار بكر و العراق * و توجهه الى مهامه قفجاق * و وصف ملوكها و ممالكها * و بيان ضياعها و مسالكها

ثم انه رجع من عراقي العرب و العجم * و قد ثبتت له في ممالكها اية قدم * و ذلك بعد ان قدم عليه الشيخ ابراهيم * و سلمه مقاليد ما بيده من اقاليم * فتقلد طوق عبوديته * و وقف في مواقف

خدمته * و انتظم في سلك عُبَيدة * واحله محل ولده * و سنذكر كيف تغرّب عليه * و من اي طريق تقرّب اليه * فقصد دشت قفجاق * و جدّ في الوخد و الاعناق * و هو مُلْك فسيح * يحتوي على مهامه فيح * و سلطانها توقتاميش * و هو الذي كان في حرب تيمور امام السلاطين المخالفين كالجاليش * اذ هو اول من بالعداوة بارزه * و في بلاد تركستان واقفه و ناجزه * و انجدَه في ذلك كما مر للسيد بركه * و بلاد الدشت تدعى بلاد قفجاق و دشت بركه * و الدشت باللغة الفارسية اسم للبرّيه * و بركة المضاف اليه هو اول سلطان اسلم و نشر بها رايات الملة الاسلاميه * و انما كانوا عُبّاد اوثان * و اهل شرك لا يعرفون الاسلام و الايمان * و منهم بقية يعبدون الاصنام الى هذا الاوان * فتوجه الى ذلك الاقليم * من طريق الدَرْبَنْد الجاري تحت حكم الشيخ ابراهيم * و هو سلطان ممالك شِرْوان * و نَسَبه متصل بالملك كسرى انوشروان * و له قاض يدعى ابا يزيد * يفضل على جميع اركان دولته بالقرب اليه و يزيد * هو دستور مملكته * و قطب فلك سلطنته * فاستشاره في امور تيمور و ما يفعله * ايُطيعه ام يتحصّن منه ام يَفرّ ام يُقاتله * فقال له الفِرار في رأيي اَصوَب * و التحصّن في الجبال الشواهق ارفق عندي و انسب * فقال ليس هذا برأي مُصيب * انجوانا و اترك رعيتي ليوم عصيب * و ما ذا اُجيبُ يوم القيامة رب البريه * اذا رعيّت امورهم و اضعت الرعيّه * و لا عزمت ان اُقاتله * بالحرب و الضرب اُقابله * و لكني اتوجه اليه سريعا * و اتمثل بين يديه سامعا لامره مطيعا * فان ردني الى مكانتي * و قررني في ولايتي * فهو قصدي و غايتي * و ان آذاني

او عزلني * او حبسني او قتلني * فتكفي الرعية مؤنة القتل و النهب و الاسار * فيولي اذ ذاك عليهم و على البلاد من يختار * ثم امر بالاقامات فجمعت * و اذن للجيوش فتفرقت و تمنعت * و بمدن الولايات ان تتزين و تتزوق * و بسكانها برا و بحرا ان تأمن فتعامل و تتأنق * و بالخطب ان تقرأ فوق المنابر باسمه * و بالدنانير و الدراهم ان تضرب بوشمه و رسمه * ثم حمل التقادم و الخدم * و توجه اليه باطيب جاش و اثبت قدم * و لما وفد عليه * وتمثل بين يديه * قدم الهدايا و التحف * و انواع الغرائب و الطرف * و عادة الجغتاي في تقديمهم الخدم ان يقدموا من كل جنس تسعه * لينالوا بذلك عند المهدى اليه الكرامة و الرفعه * فقدم الشيخ ابراهيم من كل جنس من اصناف ما قدمه تسعه * و من المماليك ثمانيه * فقال له المتسلمون كذلك و اين تاسع المماليك فقال التاسع نفسي العانيه * فاعجب تيمور هذا الكلام * و وقع من قلبه بمكان و مقام * و قال له بل انت ولدي * و خليفتي في هذه البلاد و معتمدي * و خلع عليه خلعة سنيه * و رده الى مملكته مستبشرا ببلوغ الامنيه * ثم فرقت تلك الاقامات * و توزعت الفواكه و الطعامات * ففضل منها امثال الجبال * عن ذلك العسكر الذي هو كا الحصا و الرمال * ثم تركه و سار * الى بلاد الشمال و التتار * و سبب آخر لقصده تلك الممالك * و ان كان لايحتاج الى ذلك * ان الامير آيدكو كان عند توقتاميش احد رؤس امراء الميسرة * و الاعيان المتخذين في النائبات لدفعها و ارباب الرأي و المشورة * و قبيلته تدعى قونكومات * و قبائل الترك كقبائل العرب و اللغات كاللغات * و كان ايدكو قد احس من مخدومه

تغيّر خاطر خاف منه على نفسه * و كان توقتاميش شديد البأس فخشي منه حلول بأسه * فلم يزل منه متحرّزا * و للفرار اذا رأى منه ما يقتضي ذلك مستوفزا * و جعل يراقبه و يُراقبه * و يداريه و يداريه * ففي بعض ليالي السرور * و نجوم الكاسات في افلاك الطّرب تدور * و سلطان الخَمرة * قد انفذ في اسير العقل امرة * طفق توقتاميش الى ان قال لايدكو * و نور البصيرة يخبو و يذكو * ان لي و لك يوما * يسومك الخسف سوما * و يُوليك عن موائد الحيوة صوما * و يملأ عين بقائك من سِنة الفناء نوما * فغالطه ايدكو و باسطه * و قال أعيذ مولانا الخاقان * ان يحقد على عبد ما خان * و ان يذوي غراسا هو انشاه * او يهوّي اساسا هو بناه * ثم اظهر التذلّل و الخشوع * و التمسكن و الخنوع * و تحقق ما كان ظنّه * و اعمل في وجه الخلاص ذِهنه * و استعمل في ذلك الذكاء و الفطنه * و علم انه ان اهمل امره او امهله انه * فمكث قليلا و اشتغل السلطان * ثم انسلت من بين الحواشي و الاعوان * و خرج في لجاجه * كأنه يريد قضاء حاجة * و اتى اصطبل توقتاميش بجاش يجيش و لا يطيش * و عمد الى فرس مسرّجة * منجية مُنجبة * أقيمت معدّة * لكل شدة * و قال لبعض حاشيته * المؤتمن على سره من فاشيته * من اراد ان يوافيني * فعند تيمور يلاقيني * و لا تُفش هذه الاسرار * الا بعد ان تحقق اني قطعت القفار * ثم تركه و سار * فلم يشعر به الا و قد سبق * و ركب طبقا عن طبق * و قطع على انوال السير اطول الشقق * فلم يدركوا منه الاثار * و لا لحقوا منه و لا الغبار * فوصل الى تيمور و قبل يديه * و عرض حكاياته و اخباره كما جرت عليه * و قال انت تطلب البلاد الشاحطة

و الاماكن الوعرة الساقطه * و تركب في ذلك الاخطار * و تقطع قفار
القفار * و تتلو اسفار الاسفار * و هذا المغنم البارد نصب عينك *
تدركه هنيأ مريأ يهيئك و لينك * ففيم التواني و التناعس * و علام
التقاعد و التقاعس * فانهض بعزم صميم * فانالك به زعيم * فلا قلعة
تمنعك * و لا منعة تقلعك * و لا قاطع يدفعك * و لا دافع يقطعك *
و لا مقابل يقابلك * و لا مقاتل يقاتلك * فما هولاء اوشاب و اوباش *
و اموال تساق و خزائن بارجلها مواش * و لازال يحرضه على ذلك
و يطالب * و يفتل منه في الذروة و الغارب * كما فعل معه عثمان
قرايلوك حين جاء الى تبريز بوسواسه * و حرضه على دخوله الشام
بعد قتله السلطان برهان الدين احمد و محاصرة سيواسه * كما يذكر *
فتهيأ تيمور باوفى حركه * الى استخلاص دشت بركه * و كانت بلادا
بالتتار خاصه * و بانواع المواشي و قبائل الترك غاصه * محفوظة
الاطراف * معمورة الاكناف * فسيحة الارجاء * صحيحة الماء و الهواء *
حشمها رجاله * و جنودها نباله * افصح الاتراك لهجه * و ازكاهم
مهجه * و اجملهم جبهه * و اكملهم بهجه * نساؤهم شموس — و رجالهم
بدور * و ملوكهم روس — واغنيأوهم صدور * لا زور فيهم و لا تدليس *
و لا مكر بينهم و لا تلبيس * دابهم الترحال على العجل * مع امان
لايدانيه وجل * مدنها قليله * و مراحلها طويله * وحد بلاد الدشت
من القبلة بحر قلزم الظلوم الغشوم * و بحر مضر المنقلب اليهم
من بلاد الروم * و هذان البحران * كادا يلتقيان * لو لا ان جبل
الجركس بينهما برزخ لا يبغيان * و من الشرق تخوم مماليك خوارزم
و اترار و سغناق * الى غير ذلك من البلاد و الافاق * آخذا الى
تركستان و بلاد الجتا * متوغلا الى حدود الصين من ممالك

المغول و الخطا * ومن الشمال * مواضع و برار و قفار و رمال كالجبال * وكم في ذلك من تيه * تحير الطير و الوحش فيه * و هو كرضى اكابر الزمان غاية لا تدرك * و نهاية لا تسلك * و من الغرب تخوم بلاد الروس و البلغار * و ممالك النصارى و الاشرار * و يتصل بتلك التخوم * ما هو جار تحت حكم ابن عثمان من ممالك الروم * و كانت القوافل تخرج من خوارزم وتسير بالعجل * و هم آمنون من غير ريب ولا وجل * و الى قريم طولا و مسيرة ذلك نحو من ثلاثة اشهر * واما عرضا فهو بحر من الرمل امده سبعة ابحر * لا يهتدي فيه الخريت * و لا يقربه من الدعاميص كل عفريت * فكانت القافلة لا تحمل زادا و لا عليقا * ولا يصحبون معهم رفيقا * و ذلك لكثرة الامم * و وفور الامن و المآكل و المشرب من الحشم * فلا يصدرون الا عن قبيله * ولا ينزلون الا عند من يكرم نزيله * و كانه قيل فيهم * شعر

متكنفي جنبي عكاظ كليهما * يدعو وليدهم بها عرعار

و اما اليوم فليس بتلك الاماكن * من خوارزم الى قريم من تلك الامم و الحشم متحرك و لا ساكن * و ليس فيها من انيس * الا اليعافير و الا العيس * و تحت الدشت سراي وهي مدينة اسلامية البنيان * بديعة الاركان * و ياتي وصفها * و كان السلطان بركة رحمه الله لما اسلم بناها * و اتخذها دارا للملك و اصطفاها * و حمل امم الدشت على الدخول في حمي الاسلام و رعاها * فلذلك كانت محل كل خير و بركه * واضيفت بعد اضافتها الى قفجاق و الى بركه * انشدني لنفسه مولانا و سيدنا الخواجه عصام الدين بن المرحوم مولانا وسيدنا الخواجه عبد الملك و هو من

اولاد الشيخ الجليل برهان الدين المرغيناني رحمه الله في حاجي ترخان من بلاد الدشت بعد مرجعه من الحجاز الشريف سنة اربع عشرة و ثمانمائة و في يومنا هذا اعني سنة اربعين و ثمانمائة انتهت اليه الرياسة في سمرقند و قد قاسى في
درب الدشت انواع النكال قوله * شعر

قدكنت اسمع ان الخير يوجد في * صحراء تعزى الى سلطانها بركه
بركت ناقة ترحالي بجانبها * فما رأيت بها في واحد بركه

و انشدني ايضا لنفسه معرضا بمولانا و سيدنا و شيخنا حافظ الدين محمد بن ناصر الدين محمد الكردي البزازي تغمده الله تعالى
برحمته في الزمان و المكان المذكورين * شعر

متى تحفظ الناس في بلدة * مصالحها في يدي حافظ
فحافظها صار سلطانها * و سلطانها ليس بالحافظ

و لما تشرف بركة خان بخلعة الاسلام و رفع في اطراف الدشت للدين الحنفي الاعلام * استدعى العلماء من الاطراف * و المشايخ من الافاق و الاكناف * ليوقفوا الناس على معالم دينهم * و يبصروهم طرائق توحيدهم و يقينهم * و بذل في ذلك الرغبات * و افاض على الوافدين منهم بحار الهبات * و اقام حرمة العلم و العلماء * و عظم شعائر الله تعالى و شرائع الانبياء * و كان عنده في ذلك الزمان * و عند آوزبيك بعده و جاني بيك خان * مولانا قطب الدين العلامة الرازي * و الشيخ سعد الدين التفتازاني * و السيد جلال الدين شارح الحاجبية * و غيرهم من فضلاء الحنفية و الشافعية * ثم من بعدهم مولانا حافظ الدين البزازي * و مولانا احمد الخجندي * رحمهم الله - فصارت سراي بواسطة هولاء السادات *

مجمعَ العلم و معدنَ السعادات * و اجتمع فيها من العلماء و الفضلاء * و الادباء و الظرفاء * و من كل صاحب فضيلة * و خصلة نبيلة جميلة * في مدة قليلة * ما لم يجتمع في سواها * و لا في جامع مصرَ و لا قراها * و بينَ بنيان سراي و خراب ما بها من الامكنة * ثلاث و ستون سنة * و كانت من اعظم المُدُن وضعا * و اكثرها للخلق جمعا * حكي ان رجلا من اعيانها * هرب له رقيق * سكن في مكان مُتَنَحّى عن الطريق * و فتح له حانوتا * يتسبّب فيه و يحصّل له قوتا * و استمر ذلك المَهين * نحوا من عشر سنين * لم يصادفه فيه مولاه * و لا اجتمع به و لا رآه * و ذلك لعظمها * و كثرة اممها * و هي على شط نهر منشعب من نهر آتل * الذي اجمع السياحون و المؤرخون و قطاع المناهل * انه لم يكن في الانهر الجارية * و المياه العذبة النامية * اكبر منه و هو ياتي من بلاد الروس * و ليس له فائدة سوى اغتيال النفوس * و يصُبّ في بحر القُلْزُم * و كذلك جَيْحونُ و سائرُ انهار العَجَم * مع ان بحر القُلْزُم محصور * و عليه بعض ممالك العَجَم تدور * مثلُ كيلان و ما زندران * و استراباد و شروان * و اسم نهر سراي سَنْكلا و لا يقطع ايضا الا بالمراكب * و لا يثبُت عليه قدمٌ لراجل و لا راكب * و كم فِرَقٍ تتفرّقُ من ذلك البحر العريض الطويل * و كلُّ فِرْقٍ اعظم من الفُراة و النيل *

ذكر وصول ذلك الطوفان * و جعفه امم الدشت بعد كسرة توقتاميش خان

فوصل تيمور الى تلك الدارة * بالعساكر الجرارة * بل بالبحار

الزخاره * ذوي السهام الطياره * و السيوف البتاره * و الرماح الخطاره * وا لاسود الهصاره * و النمور الكرّاره * من كل شانّ الغاره * مدركٍ فى العدو ثاره * حامٍ حقيقته و جاره * و عرينه و وجاره * و فريسته و نجاره * والجٍ من بحر الحرب غماره * مقاومٍ امواجه و تياره * فارسل توقتاميش الى زغماء حشمه * و عظماء آممه * وسُكّان احقافه * و قُطّان اطرافه * و روُس آسْرَتِه * و ضُروس ميمنته و ميسرته * فاستدعاهم * و الى المقابلة و المقاتلة دعاهم * فاتوا في ثوب طاعته يرفلون * و هم من كل حدَب ينسلون * واجتمعوا شعوبا و قبائل * مابين فارس و راجل * و ضارب نابل * ومقبل و قابل * و مقاتل و قاتل * بمُرْهَف و ذابل * و هم قوم نُبّالٌ النِبال * و نُضّال النضال * لايطيشون سهما * و هم من بني ثُعَلٍ ارمى * اذا عقدوا الاوتار * اصابوا الاوتار * و ان قصدوا الاوطار * وجدوا المقصد جنّم او طار * ثم نهض للمصادمه * و استعد للمقاحمة و المقاومه * بعساكر كالرمال كثره * و كالجبال قرِّة *

ذكر ما وقع من الخلاف * فى عسكر توقتاميش وقت المصاف

و حين تواقف الصّفان * و تناقف الزحفان * برز من عسكر توقتاميش احد روُس الميمنة * له دم على احد الامراء فطلبه منه و فى قتله استأذنه * فقال له لينعم بالك * و ليُجَبْ سُوالك * قلت شعر

لكن ترى ما قد طرى * على الورى و ما جرى

فامهِلنا حتى اذا انفصلنا * و على المراد حصلنا * اعطيتك غريمك * و ناولتك خصيمك * فادرك منه ثارك * و اقض

اوطارك * قال لا و لكن الساعة * و الا فلا سمع لك و لا طاعة * فقال نحن في كرب مهمّ * هو من مرامك اهم * و خطب مدلهمّ * هو من مصابك اغم * فاصبر و لاتعجل * و اطمئنّ و لا توجل * فما يذهب لاحد حق * و لا يضيع مستحق * فلا تلجي الاعمى الى الجرف * و لا تكن ممن يعبد الله على حرف * فكأنك بليل الشدة و قد ادبر * و بصباح الفلاح و قد اسفر * فالزم مكانك * و نازل اقرانك * وتقدم و لاتتأخر * و اصدع بما تؤمر * فانجرّ ذلك الامير * بجمع كثير * و اتبعه كل باغ و غاو * و قبيلته كلها و اسمها اقتاو * فانطلق يروم * ممالك الروم * فوصل هو و حشمه الى ضواحي آدرنه * واستوطن تلك الامكنه * فاختل لذلك عسكر توقتاميش * و صارت سهام مرامه عن مراميه تطيش * و لم يربداً من اللقاء * و صدق الملتقى * فثبت جاشه و جيشه * و هزم وقاره و طيشه * و قدم من اطلابه الابطال * و رتّب الخيالة و الرجال * و قوّي القلب و الجناح * و سدد النبل و الصفاح *

فصل

و اما جيش تيمور * فانه مستغن عن هذه الامور * لانّ امرّه معلوم * و وصفه مفهوم * و سطر النصر والتمكين على جبين راياته مرقوم * ثم تدانى الجيشان و اصطدما * و اصطليا بنار الحرب و اصطلما * و التفت الاقران بالاقران * و امتدت الاعناق للضراب و شرعت النحور للطعان * و اكفهرّت الوجوه و اغبرّت * و كشرت ذئاب الضراب و اهرّت * و تهارشت نمور الشرور و اسبطرّت * و تعانشت اسود الجنود و ازبأرت * واكتست بريش النبال الجلود فاقشعرت * و هوت جباه الجباه و رؤس الروس في محراب الحرب للسجود

فخرت * و ثار الغبار و قام القتام * و خاض بحار الدماء كل خاصّ و عام * و صارت نجوم السهام * في ظلام القتام * لشياطين الاساطين رجوما رواشق * و لوامع السيوف في سحاب التراب على الملوك و السلاطين بروقا و صواعق * و لا زالت سلاهب المنايا تجوب و تجول * و ضراغم السرايا تصوب و تصول * و نفع السنابك الى الجو راقيا * و نجيع السوافك على الدّو جاريا * حتى غدت الارض ستا و السموات كالبحار ثمانيا * و استمر هذا اللدد و الخصام * نحوا من ثلثة ايام * ثم انجلى الغبار * عن انهزام جيش توقتاميش و ولّى الادبار * و فرّت عساكره و انذعرت * و انتشرت جنود تيمور في ممالك الدشت و استعرّت * و استولى على قبائلها * و اتى على ضبط اواخرها و اوائلها * و احتوى على الناطق نمازه * و على الصامت خزائنه * و جمّع الغنائم * و فرق المغانم * و اباح النهب و الاسر * و اذاع القهر و القسر * و اطفأ فتائلهم * و اكفأ مقاولهم * و غيّر الاوضاع * و حمل ما استطاع * من الاموال و الاسرى و المتاع * و وصلت طراشته الى اراق * و هدم سراى و سرايجوق و حاجي ترخان و تلك الافاق * و عظمت منزلة ايدكو عنده * ثم انتقل قاصدا سمرقنده * و صحب ايدكو معه * و رام منه ان يتبعه *

ذكر ايدكو و ما صنعه * و كيف خلب تيمور و خدعه *

فارسل ايدكو قاصدا الى اقاربه و جيرانه * و قبائل الميسرة كلهم من اصحابه و اخدانه * من غير ان يكون لتيمور * بذلك شعور *

ان يرحلوا عن مكانهم * و يتشمّروا عن اوطانهم * و ان يقصدوا جهةً عيّنها * و اماكن بيّنها * صَعْبةَ المسالک * كثيرةَ المهالک * و ان امكنهم ان لا يقيموا في منزل واحد يومين فليفعلوا ذلک * فانه ان ظفر بهم تيمور بدّدَ شملهم * و اباد هم كلّهم * فامتثلوا ما رسم به ايدكو * و ارتحلوا و لم يلووا * و لما علم ايدكو ان جماعته فوّزوا و حشمَهُ لتيمور اعجزوا * قال له يا مولانا الامير * ان لي من الاقارب و الحشم الجمّ الغفير * و انهم عضدی و جناحي * و بصلاح معايشهم صلاحي * و لا آمن عليهم ان يلقوا بعدي * من توقتاميش الجورَ و التعدي * بل لا اشُکّ انه يفنيهم * و يُبيدُهم عن بكرة ابيهم * وحيث يمتنع عليه بجاه جنابک جانبي * ينتقم لسوء طويته من حشمي و اقاربي * لان سدا هذه الملاحم انا ألحمتهُ * و في مضائق البلاء و مآزق الانكسار انا اقحمته * و على كل حال فلا يطيب على قلبي ان يساكنوه * و كيف يهنا لي العيش و اصدقائي مجاوروه * فان اقتضت الاراء المنيرة * ارسال قاصد الى تلک الاماكن و القبائل الكثيرة * صُحبة مرسوم شريف * و امرٍ عال مُنيف * باستمالة خواطرهم * و تطييب قلوب قبائلهم و عشائرهم * و الامر بترحالهم * و ترفيه حالهم * فنكون جميعا تحت الظل الشريف * في روض عيش و ريق و ريف * و نتخلص من هذا الدشت * الخَلِق الدَّشْت * و نقتضي ما مضى من الاعمار * و نقضي الباقي في جنات تجري من تحتها الانهار * فالرأی الشريف اعلى * و اتباع ما يبديه بالمماليک اولى * فقال له تيمور انت عُذيقها المرَجَّب و جُذيلها المحكّک * و مع وجودک انت من يسلُکُ هذا المسلک * فقال كل الانام

عبيدك * و تابعَ مرادك و مريدُك * و من تراه لشيء اهلا * كان كل حَزْنٍ عليه سهلا * فقال بل انت اولى بهذا الامر فكن ضمينه * اذ لايُفتى و مالكٌ في المدينه * فقال اضف إليّ واحدا من الامراء * ليكون لي عليهم وزرا * مع مَراسيم شريفه * بما تقتضيه الاراء المُنيفه * فاجابه و قضى مرادَه * و اضاف اليه من اراده * فقضيا مآربهما و نجَّزا * و نحو مطلبهما تجهَّزا * و لما فصل ايدكو عن تيمور * استدرك فارطه * و علم ان ايدكو خَلَبَه عقلَه و غالطه * فانفذ اليه قاصدا * ان يكون اليه عائدا * لامر قد سنح * و رأى قد جنح * فلما قدِم القاصدُ عليه * و بلّغ ما ارسل به اليه * قال له و للامير الذي معه * و قد نهى كلا منهما ان يتبعه * اقضيا مآربكما * و آلحقا صاحبكما * و قبّلا يديه و ابلغاه * ان امد اجتماعنا هذا منتهاه * و اني برئ منه اني اخاف الله و لم يمكنهما مخاشنتُه * و لا وسِعَهما في تلك المضايقة الشديدة إلاّ ملاينتَهُ * فودعاه و انصرفا * و انحرفا و ما وقفا * و لما بلغ تيمور ذلك تضرّرَ و تضرّم * و تبرّح و تبرّم * و حرّق عليه الأُرّم و تندمٌ * و لات حين مُتَنَدَم * و كاد يقتُلُ نفسَهُ حَنَقاً عليه * و تجرّع كاسات و يوم يعضُّ الظالمُ على يديه * و لم يمكنه التقيد به فلم يتحرك له بحركه * و توجه الى ممالكه ثم الى سمرقند و تركه * فكان هذا آخرَ امره من دشت بَرَكه * قيل انه لم يخدع تيمورَ و يَدْهيه * و يخلِبُه قولا و فعلا و يُطغيه * سوى ايدكو المارِّ ذكره * اقول و سوى قاضي القضاة ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون المالكي الاتي حكايته و امرهُ *

تتمة ماجرى في نواحي الشمال * بين توقتاميش وايدكو من الجدال و القتال * الى ان تغير امركل منهما و حال *

و لما انفصل تيمور بما حصل * و استقر في مملكته بعد ما وصل * اتصل ايدكو بحاشيته * و ابتهج بعصاغيته و غاشيته * فاخذ في التفتيش * عن امور توقتاميش * و تحفظ منه وتحرز * و لمناواته انتصب و تجهز * اذ لم يمكنه رتق ما فتقه * و لا رقع ما خرقه * و ايضاً ما امكنه الاستقلال بادعاء السلطنة * اذ لو امكن ذلك * لادعاه تيمور الذي ملك الممالك * فنصب من جهته سلطانا * و شيد في دار الملك خانا * و دعا رؤس الميسرة و وجوه قبائلها اليه * فلبوا دعوته و اقبلوا عليه * اذ كانوا اقوى من غيرهم* آمنين من ضرر الجغتاي و غيرهم * فقوي بذلك سلطانه * و عمر بقفول الجنود خانه * و ثبت في دار الملك اساسه و علت اركانه * و اما توقتاميش فبعد ان تراجع وهله * و استقر في دماغه عقله * و رحل عدوه * وحصل هدوه * جمع عساكره * و استنجد قومه و ناصره * فلا زالت ضروب الضراب لحراب الحروب بينه وبين ايدكو قائمه * و عيون السكون كجفون الزمان المتعامي عن صلحهما نائمه * الى ان بلغ مصافهم خمس عشرة مرة * يدال هذا على ذاك تارة و ذاك على هذا كرة * فاخذ امر قبائل الدشت في التناقص و الشتات * و بواسطة قلة المعاقل و الحصون وقعوا في الانبثاث و الانبتات * لاسيما وقد تناوشها آسدان* و اظل عليها نكدان * و قد كان جلهم ذهب مع تيمور * و امسى و هو في اسره محصور * و في حصرة مأسور * فانقلذت

منهم طائفة لا تحصى و لا تحصر * و لا يمكن ضبطها بديوان و لا دفتر * و انحازت الى الروم و الروس * و ذلك لحظّهم المشوُم و جدهم المعكوس * فصاروا بين مشركين نصارى * و مسلمين آسارى * كما فعله جبلة ببني غسّان * و اسم هذه الطائفة قرا بوغدان * فبواسطة هذه الاسباب * آل عامر الدشت الى الخلا و الخراب * و التفرق و التباب * و الانقلات و الانقلاب * و صارت بحيث لو سلكها احد * من غير دليل و رصد * فانه يهلك على الحقيقه * لاضاعته في المجاز طريقه * اما صيفاً فلانّ الرياح للرمال تسفى * فتخفى الطريق على المارّة و تعفى * و اما شتاءً فلأن الثلج النازل فيها * يتراكم عليها فيغطيها * اذ كل ارضها مجاهل * و مسارلها مذاهل * و مراحلها مهامه و مناهل * فعلى كل تقدير * سلوكها مهلك عسير * فكانت الوقعة الخامس عشرة على ايدكو فتشتت و تشرد * و تبذر و تبدد * و غرق هو و نحو من خمس مائة رجل من اخصائه في بحر الرمل فلم يشعر به احد * و استبد توقتاميش بالمملكه * و صفا له دشت بركه * و كان مع هذا متشوقا لاخبار ايدكو و احواله * متشوقا لمعرفة كيفية هلاكه في رماله * و مرّ على ذلك نحو من نصف سنه * و انقطع اثره عن الاعين و خبره عن الالسنه * و ايدكو كان دعيميص تلك الاعقاص و الاحقاف و ممن قطع بسير اقدامه اديم تلك النعال و الاخفاف * فصار يتربص و يتبصر * و يتفكر معنى ما قلته و يتدبر * و هو *

ارقب الامر و انتظر فرجا * و انتهز وقتها اذا ما جآ

و امزج الصبر بالتحري فبه * ورق التوت صار ديباجا

فلما تيقن ان توقتاميش ايسه * و تحقق ان ليث المنايا افترسه *

شرع يتجسس اخباره - و يتتبع * و يستشرف آثاره - و يتطلع *
الى ان تحقق من الخبر* انه في متنزه منفرد من العسكر * فامتطى
جناح الخيل * و ارتدى جنوح الليل * و وصل السير بالسرى *
و استبدل السهر بالكرى * قارعا الى الهضاب * فروع الحباب * مقرعا
من الربى * افراع الندى حتى وصل اليه تيمور و هو لا يعلم *
و انقض عليه كالقضاء المبرم * فلم يفق الا و البلايا احتوشته *
و أسود المنايا انتوشته * و دمابين الرماح و افاعي السهام نهشته *
فحاولهم قليلا * و جاولهم طويلا * ثم انجدل قتيلا * و كانت هذه
المرة من الواقعات السادسة عشر خاتمة التلاق * و حكمة الفراق *
فاستقر امر الدشت على متولى آيدكو * و صار القاصي و الداني
و الكبير و الصغير الى مراسيمه يصغو * و تفرقت اولاد توقتاميش
في الآفاق * جلال الدين و كريم بردي في الروس و كوبال و باقي
اخوته في سغناق * و استمر امر الناس على مراسيم آيدكو يولي
السلطنة من شاء * و يعزله منها اذ اشاء * و يأمر فلا يخالفه
احد * و يحد فلا يجاوز ذلك الحد * فممن ولاه قوبليغ تمور خان
و اخوه رشادي بيك خان * ثم فولاد خان بن قوبليغ تيمور
ثم اخوه تيمور خان * و في ايامه تخبطت الامور * فلم يسلم لأيدكو
زمامه * و قال لا عزله و لا كرامه * انا الكبش المطاع فأني اكون
مطيعا * و الثور المتبوع فكيف اصير تبيعا * فالتحم بينهما الشقاق *
و نجم من ذوي الضغينة مخبو النفاق * و جرت شرور و محن *
و حروب و إحن * و بينا ظلمات الفتن احتبكت * و نجوم الشرور
في دياجي الدشت بين الفريقين اشتبكت * اذا ببدر الدولة
الجلالية * من مشارق السلالة التوقتاميشية * بزغ مهللا *

و فرغ من بلاد الروس مقبلا * و كانت هذه القضية * في شهور
سنة اربع عشرة و ثمانمائة * فتعاظمت الامور * و تفاقمت الشرور *
و ضعف حال آيدكو و قتله تيمور * و استمر النفاق و الشقاق *
بين ملوك ممالك قفجاق * الى ان مات آيدكو غريقا جريحا *
و آخرجوه من نهر سيحون بسرا بحوق و القوه طريحا * رحمه الله
تعالى * و له حكايات عجيبه * و اخبار و نوادر غريبه * و سهام
ذواه في اعدائه مصيبه * و آفكار مكائد * و واقعات مصائد *
و له في أصول فقه السياسة نقود و ردود * البحث فيها يخرج
عن محصول المقصود * و كان اسمر هديد السمرة ربعه * مستمسك
البدن شجاعا مهابا ذا رفعه * جوادا حسن الابتسامه * ذا رأي
مصيب و شهامه * محبا للعلماء و الفضلاء * مقربا للصلحاء و
الفقراء * يداعبهم بالطف عباره * و اظرف اشاره * و كان صواما *
و بالليل قواما * متعلقا باذيال الشريعه * قد جعل الكتاب و السنة
و اقوال العلماء بينه و بين الله تعالى ذريعه * له نحو من عشرين
ولدا كل منهم ملك مطاع * و له ولايات على حدة و جنود و اتباع *
وكان في جماعات الدشت إماما * نحوا من عشرين عاما * و ايامه
في جبين الدهر غره * و ليالي دولته على وجه العصر طره *

رجعنا الى ما كنا فيه * من امور تيمور و دواهيه

و لما وصل تيمور الى اذربيجان * و انبث عسكره في ممالك سلطانية
و همذان * و استدعى الملك الطاهر سلطان ماردين و اطلقه *
و انعم عليه كما ذكر و استوثقه * و ولاه مابين الشام و العراق *
و احكم تلك الممالك بما وسعه من المكر و النفاق * و لم يمكنه
الاقامة بممالك العجم * لما معه من الدشت من آمم * وجه عنان

قصده * الى ممالك سمرقنده * فنفض فيها وطابه * و فرغ مما كان ملأ به من الدشت جرابه * ثم خرج من غير توان * و قطع جيحون بالطوفان * و وصل الى خراسان * وواصل السير الى اذربيجان * و توجه اليه طهرتن حاكم اذربيجان * متلقيا طوق مراسيمه بجيد الاطاعة و الاذعان * و اهمل امر ماردين و تناساها * و لم يتعرض الى مايتعلق بها من مدنها و قراها *

ابتداء ثوران ذلك القتام * فيما يتعلق بممالك الشام

ثم انه قصد الرها * و رام نهبها * فخرج اليه شخص من اعيانها * و رؤساء قطانها * يقال له الحاج عثمان بن الشكشك فصالحه و اشتراها * بجمل من الاموال و حملها اليه و اداها * فعند ذلك ارسل الى القاضي برهان الدين ابي العباس * احمد الحاكم بقيصرية و توقات و سيواس * من الرسل عدة * و من الكتب شدة * يبرق فيها و يرعد * و يرغي في بحرها و يزبد * و يقيم بفحاويها و يقعد * و من جملة فحواه * و مضمون ذلك و ما حواه * ان يخطبوا باسم محمود خان * او سيور غاتمش خان و باسمه * و يضربوا السكة على طرز ذلك و رسمه * كما هو دابه * و يتحمله رسوله و كتابه * فلم يؤمن له السلطان برسول و لا بكتاب * و لا تقيد له بجواب عن خطاب * بل قطع رؤس الرؤس من قصاده * و علقها في اعناق الباقين و اشهرهم في بلاده * ثم جعلهم شطرين * و قسمهم نصفين * و ارسلهم الى جهتين * للسلطان الملك الطاهر ابي سعيد برقوق منهم جزؤ مقسوم * و الجزء الاخر الى السلطان ابي يزيد بن مراد بن اورخان بن عثمان حاكم ممالك الروم * و اخبرهما بالقضيه * عن جليه * و ما ورد عليه من خطاب

تيمور المقوت * و انه جعل في ذلك جوابه السكوت * و قتل قاصديه نكايه * و لم يَزِدْه على هذه الحكايه * و انما فعل ذلك برسله و قُصّاده * استهوانا به و استعظاما لما فعله بعباد الله تعالى و بلاده * ثم قال القاضي اعلموا أنّي جاركما * و دياري دياركما * و انا ذرة من غباركما * و قطرة من بحاركما * و ما فعلت معه هذا مع ضَعْف حالي * و قلة مالي و رجالي * و ضيق دائرتي و بلادي * و رقة حاشية طريفي و تِلادي * الا اعتمادا على مُظاهرتكما * و اتّكالا على مناصرتكما * و اقامة لاعلام حرمة دولتكما * و نشرا لرايات هيبة صولتكما * فاني جُنّة ثَغْركما * و وقاية نحركما * و شاوش جُنودكما * و جاليش بُنودكما * و ربيئة طلائعكما * و طليعة وقائعكما * و الا فمن اين لي مقاومته * و انى تيسرلي مصادمته * و قد سمعتم احواله * و عرفتم مشاهدته و افعاله * فكم من جيش كَسَر * و قَبِيل اسر * و مُلك مَلَك * و مَلِكٍ اَهْلَك * و سِترٍ هَتَك * و نفسٍ سفك * و حِصْن فَتَح * و فَتْح مَنَح * و مال نهب * و عِزّ سلب * و صَعْب اَذَلّ * و خَطْبٍ اَحَلّ * و عقل ازل * و فهم اخلّ * و خيل هزم * و أسٍّ هدم * و سُؤل قطع * و قصد منع * و طَوْدٍ ثلع * و طفل فجع * و رأس شدخ * و ظهر فضخ * و عقد فسخ * و نار اَشَبّ * و ريح اهبّ * و ماء آغار * و رهج اثار * و قلب شَوى * و كبِد كَوى * و جيد قَصَم * و طرف اعمى و سمع اصم * و انى لي ملاطمة سيل العرم * و مصادمة الفيل المُغتلم * فان انجدتماني وجدتماني * و ان خذلتماني بذلتماني * و يكفيكما هيبة و شُهره * و ناهيكما اُبّهةً و نَصْره * انّ من خُدّامكما قُدّامكما * مَن كفاكما ما دَها

كما * و ان اصابني و العياذ بالله منه ضرر * او تطاير الى مملكتي من جمرات شره شرر * ربما تعدى ذلك الفعل بواسطة الحوادث * الى مفعول به و ثان و ثالث * قلت شعر

و الشر كالنار يبدو حين تقدحه * شرارة فاذا بادرته خمدا
و ان توانيت عن اطفائه كسلا * اورى فتائل تشوي القلب والكبدا
فلو تجمع اهل الارض كلهم * لما افادوك في إطفائها ابدا

و انما اهملت خطابه * و امهلت جوابه * لتوسما فاقتفي * و تأمرا فاكتفي * و توسسا فابتني عليه * و تجاوبا فيصل ذلك كذلك مني اليه *

ذكر ما اجاب به السلطان * ابو يزيد بن عثمان للقاضي برهان الدين ابي العباس * سلطان ممالك سيواس

فاما السلطان ابو يزيد بن عثمان فان هذا الفعل اعجبه * و نغم هذا القول اطربه * و استحسن هذا الحكم من القاضي و استصوبه * و ارسل اليه يقول ان ارتدع تيمور عنه و انتهى * و الا فلنأتينه بجنود لا قبل له بها * فليقابله بعين قريرة * و ليثبت له بحسن البصيرة * و اخلاص السريرة * و لا يجزع من جنوده الغزيرة * فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة * و ان اقتضت آراؤه السديدة * و احكامه السعيدة * توجه بنفسه اليه * و قدم بالغزاة و المجاهدين عليه * ليرفع اعلامه * و ينفذ احكامه * و يكون لسيفه يدا * و لجناحه عضدا * ثم ارسل كتابه * و انتظر جوابه * و اما الملك الظاهر فما رأيت له كتابا * و لا حققت منه له جوابا * و الظاهر ان جواب الملك الظاهر ابي سعيد * كان شقيق جواب السلطان الغازي

ابي يزيد * اذ افعالهما و اقوالهما في الباطن و الظاهر * كانت من باب توارد الخاطر * ثم اني رأيت كتابا * يتضمن خطابا و جوابا * وذكر ان الخطاب من ذلك الغادر * و الجواب من الملك الظاهر * و كلاهما سوي آيَ الكتاب غير زاه و لا زاهر * اما صورة الخطاب * فهو قل اللهم فاطر السموات و الارض عالم الغيب و الشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون * اعلموا انا جُند الله مخلوقون من سخطه * مسلّطون على من يحلّ عليه غضبه * لا نرقّ لشاك * ولانرحم عبرة باك * قد نزع الله الرحمة من قلوبنا * فالويل كل الويل لمن لم يتمثل امورنا * فانا قد خرّبنا البلاد * و اهلكنا العباد * و اظهرنا في الارض الفساد * قلوبنا كالجبال * وعددنا كالرمال * خيولنا سوابق * و رماحنا خوارق * ملكنا لا يرام * و جارنا لا يضام * فان انتم قبلتم شرطنا * و اصلحتم امرنا * كان لكم مالنا * و عليكم ما علينا * و ان انتم خالفتم و ابيتم * و على بغيكم تماديتم * فلا تلومنّ الا انفسكم * فالحصون منا لا تمنع * و العساكر لدينا لا ترد و لا تدفع * و دعاؤكم علينا لايستجاب و لا يسمع * لانكم اكلتم الحرام و ضيّعتم الجمع * فابشروا بالذلة و الجزع * فاليوم تجزون عذاب الهون و قد زعمتم انا كفرة * فقد ثبت عندنا انكم فجرة * قد سلّطنا عليكم من بيده امور مقدرة * واحكام مدبرة * كثيركم عندنا قليل * و عزيزكم عندنا ذليل * قد ملكنا الارض شرقا و غربا * و اخذنا منها كل سفينة غصبا * و ارسلنا اليكم هذا الكتاب * فاسرعوا في رد الجواب * قبل ان ينكشف الغطاء * و لم يبق لكم باقية فينادي عليكم منادي الفناء * هل تحسّ منهم من احد او تسمع لهم ركزا *

و قد انصفناكم اذ راسلناكم* و نثرنا جواهر هذا الكلام عليكم * و السلام*
و هذه صورة الجواب * و قيل هو انشاء القاضي علاء الدين بن
فضل الله و ما اظنّ لذلك صحة * و هو

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء * و تَنْزِع الملك
ممن تشاء * و تعز من تشاء و تذل من تشاء * بيدك الخير انك
على كل شيءٍ قدير * حصل الوقوف على كتاب مجهّز من الحضرة
الايلخانيه * و السُدّة العظيمة الكبيرة السلطانية * قولكم إنا مخلوقون
من سَخَطه * مسلّطون على من يَحُلّ عليه غضبه * لانَرِقّ لشاك *
و لا نرحم عَبْرة باك * قد نزع الله الرحمة من قلوبكم * فهذا من
اكبر عيوبكم * وهذا من اقبح ما وصفتم به انفسكم * و يكفيكم
بهذه الشهادة واعظا اذا اتّعَظْتم قل يا ايها الكافرون* لا اعبد ما تعبدون*
ففي كل كتاب ذُكرتم * و بكل قبيحٍ وُصِفْتم * و زعمتم انكم كافرون *
الا لعنة الله على الكافرين * من تشبه بالاصول لا يبالي بالفروع فنحن
المؤمنون حقا لا يصُدّنا عيب * ولا يداخِلُنا ريب * القرآن
علينا نزل * و هو رحيم بنا لم يزل * و قد عمنا ببركة تاويله * و قد
خصنا بفضل تحريمه و تحليله * انما النار لكم خُلِقت *
و لجلودكم اُضْرِمت * اذا السماء انفطرت * و من العجب العُجّاب
تهديد اللّيوث بالليوث و السّباع بالضباع * و الكُماة بالكُراع * نحن
خيولنا عربية * و هِمَمُنا عَلَيّة * ولنا قناة شديدة المضارب * ذكرها
في المشارق و المغارب * ان قتلناكم فنعم البضاعة * و ان قتلتمونا
فبيننا و بين الجنة ساعة * و لا تحسبنّ الذين قُتِلوا في سبيل الله
امواتا بل احياء عند ربهم يُرْزَقون * و قولكم قلوبنا كالجبال * وعددنا

كالرمال * فالجزّار لايبالى بكثرة الغنم * و كثير من الحطب يكفيه قليل من الضّرم * فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله و الله مع الصابرين * الفرار لا من الرزايا * فنحن من المنيه * في غاية الامنيه * ان عِشنا عِشنا سُعَداء * و ان مُتنا مُتنا شُهَداء * الا ان حزب الله هم الغالبون * ابعد امير المؤمنين * و خليفة رب العالمين * تطلبون منا طاعه * لا سمع لكم و لا طاعه * و طلبتم ان نُوضح لكم امرنا فهذا الكلام فى نظمه تركيك * و في سلكه تفكيك * لو كشف لبان * قبل التبيان * آ كفرٌ بعد ايمان * ام اتخذتم ربّاً ثان * لقد جئتم شيأ اِدّا * تكاد السموات يتفطرن منه و تنشق الارض و تخر الجبال هَدّا * قل لكاتبك الذي رصّع رسالته * و وصف مقالته * حصل الوقوف على كتاب * كصرير باب * او طنين ذباب * و سنكتب ما يقول و نمد له من العذاب مدّاً * و مالكم عندنا الا السيف بقوة الله تعالى * ثم انّي وجدت في نسخة محا مرّ الدهور بتقادمه مدادها * و بيّض كرّ العصور على وجه الزمان من شيبها سوادها * صورة هذا الكتاب * و هيئة هذ الخطاب * من انشاء نصير الدين الطوسي على لسان هلاكو التتري مرسلاً ذلك الى سلطان مصر * و صورة الجواب بعينه انشاء من كان في ذلك العصر *

فصل

و لما بلغ تيمور ما فعله السلطان برهان الدين بقصاده حنق * و رنّق بجناحي الغضب و فار دمّ قلبه و رنق * و غصّ غضبا فكاد من الغيظ ان يَختنق * و لكن علم ان فى الزوايا خَبايا * وللاسلام جنودا و سرَايا * و فى عرين الدين من لُيوث المسلمين بقايا * و ان امامه

اسوّدا هواصِر * وجوارِح كَواسِر * فتصبّر للزمان و رجع القهقرى وتربص بهم الدوائر *

ذكر توجه العساكر الشامية * لدفع تلك الداهيه

بلغ ان مَلِك الامراء بالشام هو تَنِم * خرج بالعساكر الى ارزَنْجان و رجع وهو مغتنم * ولم يروا فى ذلك ضَيْرا * و رد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا * و عاد من جيش الاسلام كل اسد هَصُور * وقد اصطاد من كراكي ما ضاهى صورته وجاء نور على نور *

ذكر رجوع ذلك الكنود * وقصده استخلاص بلاد الهنود

ثم ان تيمور بلغه ان سلطان الهند فيروز شاه * انتَقل من زحمة الدنيا الى رحمة الله * ولم يكن له ولد يكون له خليفه * فسعى تيمور لان يتولى بحكم الوفاة و الشغور تلك الوظيفه * ولما فاض صاحب الهند صارت الناس فَوْضى * ومرج بَحْر امر الهند و ماج فجعل كل يخوض خوَضا * فعزّ بعض الناس و بعضهم ذلوا * ثم اتفقوا على تولية وزير اسمه مَلُّو * فراب من امر الناس ما انصَدَع * ورفع من استحق الرفع و خفّض من بغير استحقاق ارتفع * فعصى عليه اخوه سارنك (سارنك) خان * متولى مدينة مُلْتان * ووقع بينهم التَخالُف * و افترق ملاء الهنود فِرَقا وطوائف * فكان اختلافهم لتيمور احسن مُساعد * و اقوى عضد و ساعد * قلت شعر

و تشتّت الاعداء في آرائهم * سبب لجمع خواطر الاحباب

وحين وصل تيمور الى ملتان * عصى عليه سارنك خان * فاقام يحاصرها * وقعد يضاجرها * و كانت عساكرها جَمّة * و لياليي كتائبها السُود مُدْلَهِمّة * حتى قيل ان من جملة عسكرها

الثقيل * كان ثمانمائة فيل * مع ان كل اميرمن اطراف الهند *
و رئيس من اكناف السند * كان قد لَفْلَف آذياله * و لملم
رِجاله و رجاله * و ضبط لجوانحه اثقاله * و ربط لحوانجه افياله *
و استمر ذلك اللدد و الخصام * نحوا من ثلثي عام * الى ان
استخلصها * و من يده خلّصها *

فصل

و لما استولى ملّو و استقر امر الهند عليه * و بلغه توجه تيمور اليه *
جدّ و اجتهد * و اعدّ العُدَد و العَدَد * و استمد الامداد و المَدَد *
و اهلك مالاً لُبَد * و حَسِب ان لن يَقْدِر عليه احد * و فرق
الاموال * و جمع الخيول و الرجال * و احضر ما في مملكته من
الافيال * ثم حصّن مدائنه * و مكّن كمائنه * و شيد على الافيال
للمقابلة ابْراجا * و احكم في تحرير المناضلة طريقة فقه فيها ذَهَب
و منها جا * و جدّ تيمور في السير * حتى كاد يَسْبِق الطير * اذ
لم يكن له في ذلك الارث من يحجبه * و لا في عساكر سلطان
الهند من يَقْرُبه * فلما بلغ الهنود بالجنود * برزت اليه بالجنود
الهنود * و قدّموا الفيول * لتنفير الخُيُول * و قد بنوا على كل
فيل من الاتراس بُرْجا * و عبّوا فى كل برُج من المقاتلين من
يُخشى في المضائق و يُرْجى * بعد ما جعلوها من اكبر
بَرْكستوانات في حصار * و علقوا عليها من القَلاقل و الاجراس الهائلة
ما يدعو العفاريت الى الفِرار * و شدّوا فى خراطمها سُيوفا يَصلح
ان يقال انها سيوف الهند * تدعو الرُؤس شعلة لهيبها فتخرّ لها
ساجدةً فيحق ان يقال لها نار السِند * و هذا خارج عما لتلك
الافيلة من الانياب * التي هي فى الحُروب كالحِراب * اذ هي في

اداء ما وجب عليها نصاب كامل * و سهامها التي هي مصيبة في
نحور من يقابلها تقصم كل نابلٍ و ذابل * فكانت تلك الافيال *
في صف القتال * كأنها غيلٌ بأُسُودها ماشيه * او صَياص بجنودها
جاريه * او اطواد بذمورها عاديه * او بحار بافواج امواجها رائحة
جائيه * او ظُلَل من الغَمام بصواعقها هاميه * او ليالي الفراق
بذوائبها السود ساربه * و خَلفها من الهنود * فوارس الحَرب * و ابطال
الطعن و الضرب * سُودَ الأُسُود * و طُلّس الذئاب و نُمّش الفهود *
بالذابل الخطّي * و الصارم الهندي * و النبل الخلنجي * مع قلب
ذكيّ و جنان جري * و عزم قوي و صبر رضي *

ذكر ما فعله ذلك المحتال * من الخديعة في اجفال الافيال

و حين اطلع تيمور على هذه الحال * و تحقق ان شُقّة عساكر
الهند نُسِجَت * على هذا المنوال * اعمل المكيده * في قلع هذه
المصيده * و مزّق لهم بمَرقة قِدرٍ طبخها اخترمن المصيده * فبدأ
اولا في الاحتيال * بدفع مكيدة الافيال * فاستعمل الفكر الحديد *
في اصطناع شوكاتٍ من حديد * مثلثة الاطراف * مستيدعة الاوصاف *
كأنها في شكلها الخبيث * طُرُقُ القائلين بالتثليث * او وضع
اصحاب الارفاق * اعدادهم المنسوبة الى الوفاق * فصنعوا له من
ذلك الالوف * ثم عمد الى مجال الفيول في الصفوف * فنشر
ذلك لها ليلا * و جلب لاهلها حربا و ويلا * و رقم لذلك حدّا *
و رَسَم ان فعل ذلك الحدّ لا يُعَدّى * ثم ركب اطلابه و ابطاله * و
رتّب آسوده و اَشباله * و هذّب خيله و شذّب رجاله * و ارصد شمالا
و يمينا * من عسكره للعدو كمينا * و حين بَثّ سلطان السيارة
في جوانب الافاق خيله * و ضمّ جيش الظلام رجّالة انجمه و شمّر

للهزيمة ذيله * مشى عسكره الى ذلك الحد رويدا حتى وصل اليه * و لما ترا آى الجمعان نكص على عقبيه * ثم نكّب بالخيول* على طريق الفيول * فتصوروا ان خيوله اجفلت * و شمس نصرته انكسفت * و كواكب جيشه آفلت * فاقلعوا قلاع الفيول * فانهزمت انهزام السيول * وساقوها خلف عساكره سوقا * على ذلك الشوك الملقى * و اتبع الفياله * من الهنود الرجالة و الخياله * فلما وصلت سيول الفيول من مطارح الشوك الى المقاسم * و اخذ ذلك الشوك في تقبيل ايديها و ارجلها و تشبث بتلك المناسم * واحست قوائمها بشوكها * رجعت القهقرى بل ولت الادبار لعدم عقلها * فنهنهوها و نهوها عن التولي فلم يفدها النهي و النهنهه * و صارت في التقدم الى جهة العدو كفيل ابرهه * ثم لم يسعها لما اضرها الشوك في تلك الحرار * الا التولي من الزحف و الفرار * فحطمت الفيول * الرجال و الخيول * و صارت القتلى كالجبال و الدماء في اوديتها سيول * و خرج عليهم الكمين * من ذات الشمال و ذات اليمين * فبادروا سائرهم * و الحقوا باولهم آخرهم * وقيل ان بلاد الهند ليس فيها اباعر * و ان منظرها يجفل الفيل فيصير ابعد نافر * فامر تيمور ان يهيأ خمس مأية بعير جفول * وتعبأ رواحلها و الحمول * قصبا حشوا بفتائل وقطن بالدهن مبلول * و ان تساق امام الركبان * الى ان يتراآي الجمعان * فلما تصافوا و لم يبق الا القتال * امر ان تطلق النيران في تلك الحشايا و الاحمال * و تساق الى جهة مواجهة الافيال * فلما احس البعران * بحرارة النيران * رغت و رقصت * و نحو الفيول شخصت * و صارت كما قيل *

كانك من جمال بني اُقَيْش * يُقَعْقَعُ بين رِجلَيْها بشَنّ

فلما رأت الفِيلة النيران * وسَمِعت رُغاء البُعْران * و نظرت الى الابل كيف خُلقت * و شاهدتها و قد غَنَّت و رَقَصت * و باخفافها صفّقت * اَلوَتْ على عقبِها ناكصة * لسائقها واهصة * و لراكبها واقصة * فحطمت الخيالة * و هشمت الرجّالة * و تلا الكافرون آية النَّصْر على اصحاب الفيل * و ارسلوا عليهم من السهام طيرا ابابيل * فلم ينتفِعوا بالافيال * بل اَفْنت الافيال غالب الخيل و الرجال * ثم تراجَعَت عساكر الهنود * و ابطال الخيّالة من الجنود * و كَتَّبُوا الكتائب و بَدَّدوا البُنُود * ثم ترامّوا و تَصافّوا * و تضامّوا و تحافّوا * و هم ما بين مَجُوسيّ و مسلم * و مبارز منتسب و منادٍ بالشعار مُعْلِم * و كل في سَواد اللون من الحديد كقِطَع الليل المظلم * ثم تدانوا مع التقار و تزاحَفوا * و بعد المراشَقَة بالسهام بالرماح تذافغوا * ثم بالسيوف تضارَبوا * ثم تلاتبوا و تواثبوا * ثم ترامَوا عن ظهور الخيل * و اعتكر في ذلك القتام النهار بالليل * و لا زالت تختلف بينهم الضربات * و تصول فيهم الحملات * و تُحمَدَ منهم الصَولات * حتى تلا لسان القضاء و القدر ان في اختلاف الليل و النهار لَآيات * ثم تناهى الاقتحام * و انفرج الازدِحام * و اسفرت القضية عن ان برد حامى الهند فانهزم جيش حام * و حل بالهنود الويل * و محا الله آية الليل * و لما تفرقت الهنود و مُلّوا * و انتهى عقدُ عَمَلهم في المحاربة فحلوا * و قُتِلت سرواتهم و هرب سلطانهم مَلّو * ثَبّت تيمور و حكمه في هنده * الى الان كما ثَبَّت اوتاده في سمرقنده * فجمع اقيالها * و ربط افيالها * و ضبط احوالها * و ما غفل عن ضبطه ما عليها و ما لها *

و سلم افيالها فيئاً لها * ثم توجه نحو تختها وهي مدينة دهلي * مصر عظيم جمع فنون الفضل و ارباب الفخر الجلي * معقل التجار * و معدن الجواهر و البهار * فتمذمت عليه بالحصار * فاحاط بذلك السواد الاعظم * من عساكره السواد الاعظم * و من معه من الخلائق و الامم * فقيل ان هذه العساكر و الخلائق مع عظمها و كثرتها * لم يقدر و ان يكتنفوها لسعة دائرتها * و انه اخذها من احد جوانبها بالمحاصرة * و تم الجانب الاخر ثلاثة ايام في المجاذبة و المشاجرة * ولم يدر من في الجانب المحاصر * لبعد المدى وكثرة الامم ما فعل بالجانب الاخر *

ذكر وصول الخبر الى ذلك المعقوق * بوفاة الملكين ابى العباس احمد و الملك الظاهر برقوق *

و بينما هو قد استولى على كرسى الهند و امصاره * و احتوى على ممالكه و اقطاره * و بلغت مراسيمه اعماق انجاده و اغواره * و انبث جيشه في ولاياتها سهلا و وعرا * و ظهر فسادهم في رعاياها براً و بحرا * اذ وفد عليه المبشر من جانب الشام * ان القاضي برهان الدين احمد السيواسي و الملك الظاهر ابا سعيد برقوق انتقلا الى دار السلام * فسر بذلك صدره و انشرح * و كاد ان يطير الى جهة الشام من الفرح * فنجز بسرعة امور الهند * و نقل الى مملكته من فيها من العساكر و الجند * بما اخذه من الاثقال * و نفائس الاموال * و وزع ذلك الجمهور * من ذلك الجند المأسور * على اطراف ماوراء النهر من الحدود و الثغور * و اقام في الهند نائبا من غير وجل * ثم جد عن سمرقند قاصدا الى الشام على عجل * و معه من الهند روس اجنادها و وجوه اعيانها * و سلطان افيالها و اقيال سلطانها * ثم انه

صار قرير العين بتلك الطوائف الطاغية * في اوائل سنة اثنين و ثمانمائة * و انصبّ بذلك الطوفان * من جيحون الى خراسان * و كان قد قرر ولده لصُلبه اميران شاه بمملكة تبريز و تلك الديار * والسلطان احمد قد رجع الى بَغداد و هو مستوفز للفرار * و سبب حركته الى بلاد الشام * ما فعله القاضي برهان الدين حاكم سيواس بقُصّاده الاغتام * لكنه اراد ان يَعَمِّه مَقصِده و يُغَطِّي عن الناس مصدره و مورده * قلت بديها * شعر

و أنّي يَختفي للشمس ضَوءُ * عن الابصار في صَحْوِ النهار
و كيف يُستَّرُ ذَفر المِسك يَحشو * خياشيم الورى في يوم حار
و أنى يختفي للطبْل صَوت * عن الاسماع في وقت النقّار

فان قصده كان بعيد المَدَد * طويل الاَمَد * محتاجا الى اعداد اَهْبة السُلوك * و يَخشى ان تُضاهِي غَزْوة تَبوك * و اظهر سببا ابطن فيه * ما رامه من مكره و دواهيه * و اشاع ذلك و اذاع * فامتلأت منه القلوب و الاسماع *

ذكر معنى كتاب وفد وهو في الهند عليه * زعموا ان ولده اميران شاه ارسله اليه

و ذلك ان ابنه اميران شاه المذكور راسله * و أنهى اليه يقول على ما قيل في بعض ما قاوله و حاوله * انك قد عجزت لكبرِ سِنّك * و شمول الضعف ببدنك و وهنك * عن اقامة شعائر الرياسه * والقيام باعباء الايالة و السياسه * و الاولى بحالك ان كنت من المتقين * ان تَقْعُد في زاوية مسجد و تعبُد ربك حتى يأتيك اليقين * و قد تم في اولادك و احفادك * من يكفيك امر رعيتك و اجنادك * و يقوم بحفظ مملكتك

و بلادک * و أُتي لک بلاد و ممالک * و انت عن قريب هالک * فان کان لک عين باصرة * و بصيرة في نقد الاشياء ماهرة * فاترک الدنيا و اشتغل بعمل الأخرة * و لو مُلّکت مُلْک شداد * و رجع اليک اقتدار العمالقة و عاد * و ساعدک النصر و العوْن * حتی تَبْلُغ مقام هامان وفرعون * و رُفع اليک خراج الربع المسکون * حتی تَفُوق في جمع المال قارون * و صرت في خراب البلاد کبُخْتَنَصّر * الذي طَوّل الله تعالی له فقَصّر * و بالجملة ملو باغ سلطانک الاقطار * و قضيت من دنياک غاية الاوطار * و صار عمرک فيها اطول الاعمار * و خدامک فيها ملوکها الاغمار * فقصر جندک قيصر * و کسر کسري فانکسر * و تبعک تُبّعٌ و النجاشي * و اوساط الملوک و الاقيال غدوا لک خداما و حواشي * و فغر لک فغفور بالثناء فاه * و انحنيت علی الخان و خاقان فوجه کل في رقعة دسنک شاه * و اذعن لک فرعون مصر و سلطانها * وجبی لک طی يد خير الدين ايرانّ الدنيا و تورانّها * و آل امرک الی ان کان لک سکان الاقاليم و قطانها * اليس قصاري تطاول قصورک الی القصور * و نهاية کمالک النقص و حيوتک الموت و سکناک القبور قلت * شعر

فعش ما شئت في الدنيا و ادرک * بها ما رُمْتَ من صيت و صَوْت
فخيط العيش موصول بقطع * و حبل العمر معقود بموت

وقيل شعر

قميص من القُطْن من حُلّة * و شَرْبَة ماءٍ قراحٍ و قُوْت
ينال به المرء ما يرتجي * و هذا کثير طی من يموت

فاين انت من نوح و طول عمرة * و نياحته علی قومه و حصن

عبوديته و شكره * و لقمانَ و وعظه ولده * و تربيته لطول الحيٰوة
لُبَدَه * و داؤدَ في ملكه الفسيح * مع قيامه باوامر الله تعالى
و كثرة الذكر و التسبيح * و سليمانَ بعدَه و حكمه على الانس و الجن
و الطير و الوحش و الريح * و ذي القرنين الذي ملك المشرقين *
و بلغ المغربين و بنَى السدَّ بين الصدفين * و داخ البلاد *
و ملك العباد * و اين مَحَلُّك من سيد الانبياء * و خاتم الرسل
و صفوة الاصفياء * المرسل رحمة للعالمين * الكائن نبيا و آدم
بين الماء و الطين * محمد المصطفى * و احمد المجتبى *
الذي زُوِيَت له مشارق الارض و مغاربها * و تمثل بين يديه شاهدها
وغائبها * و فُتِحت له خزائنها * و عُرِض عليه ظاهرها و كامنها *
و كانت جنوده الملائكة الكرام * و آمن به الانس و الجن و الطير
و الوحش و الهوام * و ايده الله الكريم المتعال * بان ارسل لطاعته
ملك الجبال * و كان حامل رايات نصره نسيم الصبا باليمين
و الشمال * فملك الجبابرة بالهيبة و القهر * وكانت الاكاسرة والقياصرة
تهابه من مسيرة شهر * و ايده بنصره و بالمؤمنين من المهاجرين
والانصار * و تولى نصره اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما
في الغار * و ان الله سبحانه به اسرى * في بعض ليلة من المسجد
الحرام الى المسجد الاقصى * و كان مركوبه الشريف البراق * ثم
عرج به الى السبع الطباق * و قرن اسمه الكريم مع اسمه * و تعبد
عباده بما شرعه الى يوم القيامة من غير تغير لحده و رسمه * و خلق
لاجله الكائنات * و انار بوجهه الموجودات * و لم يخلق في الكون
اشرف منه و لا افخر * و غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر *
و اظهر من معجزاته ان اشبع الجم الغفير * من قرص الشعير * وسقى

الكثير من الرجال * مما نبع من بين اصابعه من الماء الزلال * و انشق له القمر * و سعى اليه الشجر * و آمن به الضبّ و سلم عليه الحجر * و هل تحصى معجزاته * وتحصر كراماته * و ناهيك بمعجزته المؤيدة * و كرامته المؤبدة المخلدة * على مر الزمان * الباقية ما دار الحدثان * الساكنة ما تحرك الملوان * و هو القرآن المجيد * الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد * و هذه منازله في الدنيا * غير ما ادخر له في العقبى * و بشره بقوله و الاخرة خير لك من الاولى * و لسوف يعطيك ربك فترضى * مع ان الله تعالى اخذ ميثاق النبيين بالايمان به و بنصره فلو ادركوه لم يسعهم الا اتباعه و امتثال امره * فهو دعوة ابراهيم الخليل * و متوسَّل موسى و علماء بني اسرائيل * و المبشَّر بقدومه على لسان عيسى في الانجيل * و حامل لواء حمد ربه يوم لقائه * فآدمُ و مَن دونهَ تحت لوائه * و هو صاحب الحوض المورود * و المخاطب من ربه في موقف الشفاعة و المقام المحمود * بمعنى ما قلت مفوقاً مقتبسا * شعر

قل تسمع اشفع تشفع سل تنله تجدْ * تفويفَ خلعة عزٍّ واقتبس نِعَمى

فانظر لي هؤلاء السادة * معادن الخير و مفاتيح السعادة * هل رغبوا في الدنيا و اعتمدوا عليها * او نظروا الا بعين الاحتقار و الاعتبار اليها * او هل كان نظرهم غير التعظيم لامر الله * والشفقة على خلق الله * و ناهيك بالخلفاء الراشدين * و اعظِم بالعُمَرَين * الذين كانا في هذه الامة بمنزلة القمرين * وهلم جرا بالخلفاء العادلين * و الملوك الكاملين و السلاطين الفاضلين * الذين تولوا فَرَعوا حقوق الله تعالى في عباده * رحموا عباد الله عن الظلم في

بلاده * واسّسوا قواعد الخير * و ساروا في نهج العدل و الانصاف احسن سير * فمضوا على ذلك و بقيت آثارهم * و احييت بعد موتهم ايامهم اخبارهم * فمضي علي ذلك مثل الاولين * و بقي لهم لسان صدق في الاخرين * اذ صنعوا * بموجب ماسمعوا * شعر

فكن حديثا حسنا ذكره * فانما الناس احاديث

و انت و ان كنت تسلطت على الخلق * فقد عدلت ايضا و لكن عن الحق * و رعيت و لكن اموالهم و زروعهم * و حميت و لكن بالنار قلوبهم و ضلوعهم * و اسّست و لكن قواعد الفتن * و سرت و لكن على سير اماتة السنن * و مع هذا فلو عرجت الي السبع الشداد * ما بلغت منزلة فرعون و شداد * و لو رفعت قصورك على شوامخ الاطواد * ما ضاهت ارم ذات العماد التي لم تُخلق مثلها في البلاد * فانظر لمن نهي و امر * ثم مضي و غبر * ولا تكن ممن طغي و فجر * و تولي و كفر * و اقنع بهذا الخطاب * عن الجواب * و أعط القوس باريها * و اترك الدار لبانيها * و تولي الله و رسوله و الذين آمنوا و الا فانت اذاً ممن تولي في الارض ليفسد فيها * فاني اذ ذاك امشي عليك * و اضرب علي يديك * و امنعك من السعي في الفساد بان اسوّي بين رجليك * مع قلة آداب جرائمها كثيرة * وعبارات ذنوبها كبيرة * فلما وقف تيمور على هذا الكتاب * وجه الى تبريز عنان الركاب * و كان عنده اميران شاه من المعتدين * جماعة سعوا في الارض مفسدين * منهم قطب الموصلي أعجوبة الزمان الدوّار * و استاذ علم الموسيقا و الادوار * اذا استنطق اليراعة * اسكت اهل البراعة * و اذا رضع الناي بفيه * سحق عود اسحق و ابيه * و ان اخذ في

الاغاني * اعنى عن الغواني * تقول النفس لنفسه الرخيم خفف عني انيني * فتشير براعته بالاصبع و تقول على عيني * ثم ينفخ فيها الروح * فيشفي كل قلب مجروح * و يداوي كل فؤاد مقروح * فان اقامت قامتها الرشيقة راقصة في سماعها * يحنى الجنك ظهره خاضعاً لطيب استماعها * و ان فتحت فاها لتقرئ اسماع القلوب الحانه * يميل العود عنقه مصغيا اليها عاركا بانامل الادب آذانه * قيل انه كان يؤدي جميع الانغام الفروع والمركبات والشعب والاصول * من كل ثقب من انقب الماصول * و له مصنفات في ادوار المقامات * و جرى بينه و بين الاستاذ عبدالقادر المراغي مباحثات * و كان اميران شاه به مغرما * يعد صحبته والعشرة معه مغنما * و كان تيمور لا يعجبه العجب * ولا يستهويه اللهو و الطرب * فقال ان القطب افسد عقل اميران شاه * كما افسد عبد القادر احمد بن الشيخ اويس و اطغاه * فوصل ذلك الطاغ * سابع عشر شهر ربيع الاول سنه اثنين و ثمانمائة الى قراباغ * فاناخ بها ركابه * و اراح بها دوابه * و ضبط ممالك اذربيجان * و قتل اولئك المفسدين و اهل العدوان * و لم يتعرض لاميران شاه * لانه ولده وهو انشاه * و بينهما امور متشابهات لا يعلم تأويلها الا الله * ثم توجه بذلك الخميس * ثاني جمادي الاخرة يوم الخميس * و اخذ مدينة تفليس * و قصد بلاد الكرج * و هدم ما استولى عليه من قلعة و برج * و قلعهم الى الصياصي * و القلاع العواصي * و قتل من ظفر به من طائع و عاصي * و جزهم ما بين رؤس و نواصي * ثم ثنى عنان الفساد * و حرش البغاة على بغداد * فهرب السلطان احمد من ذلك اللجب * الى قرا يوسف في ثامن عشرين شهر

رجب * فسكن تيمور زعازعه * وطمن بذلك مراقبه و منازعه *
و تمهل فى السير * و استعمل في نحوه مع مناظريه مباحث سوى
و غير * و صار يتجاوز و يتجاول * و ينشد و هو يتغافل * شعر *

أُمّوِهُ عن سُعْدى بِعَلْوى و انتم * مرادي فلا سُعْدى أريد و لاعَلْوى

فتراجع السلطان احمد و قرا يوسف يوما الى مدينة السلام *
متصورين انه لم يبرح من بلاد الكرج اللّئام * فلما تحققا منه
الخروج * و كان حققا انه اذا عرّج على شئ فما يَعُوج * طار طائرهما
نحو الروم * و تركا ديارهما ينعق فيها الغراب و البوم * فتوجه
ذلك القشعمان * الى مصيف التركمان * فاغمد السيف * و كف
عن الحيف * و صرّم الصيف *

ذكر ما وقع * من الفتن والجدع * وما سل للشرور من حسام * بعد موت سلطان سيواس والشام *

و كان اذ ذاك قد تخبط امر الناس * و وقع الاضطراب ببلاد مصر
و الشام الى سيواس * اما مصر و الشام فلموت سلطانهما * و اما
سيواس فلقتل برهانها * و كان موتهما متقارب الزمان * كموت قرا
يوسف و الملك المؤيد الشيخ ابي الفتح غياث الدين محمد
بن عثمان * فانّ مدى ما بين موت هؤلاء الملوك العظام * كان
نحوا من نصف عام * و كذا كان ما بين * موت ذينك السلطانين *

ذكر نبذة من امور القاضي * وكيفية استيلائه على سيواس و تلك الاراضي *

و سبب قتل القاضي برهان الدين * مخالفة وقعت بينه و بين
عثمان قرايلوك رأس المعتدين * و سيزداد بيانها * اذا اتى مكانها *

و هذا السلطان ابوه كان قاضيا عند السلطان ارتنا حاكم قيصرية و بعض ممالك قرمان * و كان بين الامراء والوزراء ذا مكانة و امكان * و كان ابنه برهان الدين احمد المذكور في عنفوان شبابه * من طلبة العلم الشريف و اصحابه * المجتهدين في تحصيله و اكتسابه * فتوجه الى مصر لاقتناء العلوم * و ضبطها من طريقي المنطوق والمفهوم * و كان ذا فطنة وقاده * و قريحة نقاده * و مقلة غير رقاده * فحصل من العلوم عدّة * في ادنى مدّه * فبينا هو في مصر يسير * اذ هو بفقير جالس على الطريق كسير * فناوله شيأ يسد به خلّته * و يجبر به فقره و كسرته * فكاشفه ذلك الفقير بلفظ معلوم * وكشف له عن السر المكتوم * و قال لا تقعد في هذه الديار فانك سلطان الروم * فصدع بهذا الكلام قلبه * فاخذ في اعداد الاهبه * و قطع اعلاق * و دخل الطرق صحبة الرفاق * و لما وصل الى سيواس * ابتهج به والده و اعيان الناس * و شيد له بين الخلق اعلى بنيان و اشد اساس * و شرع في القاء الدروس * و مصاحبة الاعيان و الروس * و كان ذا همة ابيّه * و راحة سخيّة * و نفس زكيه * و خصائل رضيه * و شمائل مرضيه * و تحرير شاف * و تقرير واف * يحقق كلام العلماء * و يدقق النظر في مقالات الفضلاء * و له مصنفات في المعقول * و لطائف في المنقول * ينظم الشعر الرقيق * و يعطي عليه العطاء الجليل * و يحبه اللفظ الدقيق * و يثيب عليه الثواب الجزيل * و هو في ذلك يتزيا بزي الاجناد * و يسلك طريقة الامراء من الركوب والاصطياد * و يلازم ابواب السلطان * و يتخذ الخدم و الاعوان * فمات السلطان عن ولد صغير * فاجلسوه على السرير * و كان عنده من اعيان الامراء * و روس الوزراء * أناس

منهم غضنفر بن مظفر و فريدون و ابن المؤيد و حاجي كلدي و حاجي ابراهيم و غيرهم و من اكبرهم ابوالقاضي برهان الدين فصار هؤلاء الامراء * و الروس من الوزراء والكبراء * يدبرون مصالح الرعيه * ولايفصلون الا بالاتفاق ما يقع من قضيه * فمات ابوالقاضي برهان الدين و تولى ولده مكانه * و فاق بالعلم و حسن السياسة اباه و اقرانه * ففرق ولايات ذلك الاقليم * على ابن المؤيد و حاجي كلدي و حاجي ابراهيم * فبقى حوالى السلطان محمد * فريدون و غضنفر و برهان الدين احمد * ثم توفي السلطان محمد * عن غير ولد * فبقيت الولاية بين الثلاثه * على سبيل الاشتراك وراثه * و قلما اتفق ضرتان على زوج واحد و اتفقا * و لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا * و مائة فقير * يلتفون في حصير * و ملكان لا يسعهما اقاليم كبير * فاراد برهان الدين الاستبداد بالملك و الاستقلال * فنصب لشريكيه اشراك الاحتيال * اذ الملك عقيم * فرصد لذلك الطالع المستقيم * و نظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم * فرأى شريكاه ان العيادة عباده * فطلبا بعيادته الحسنى و رام هو الزيادة * فعاداه وقد عاداهما * و ما راعاه و لكن راعهما و ما راعا هما * فدخلا عليه وقد ارصد لهما رصدا * و اعد لهما من الرجال المعدة عددا * و قتلهما و قد حصلا في قبضة الاشراك * و خلص توحيد السلطنة الاحمدية عن الاشراك * فقوي بالتوحيد سلطانه * و اضاء به للدين حجته و برهانه * و لكن فاراه انداده * و عصى عليه من الذوائب اكفاؤه و اضداده * و اظهر كامن العداوة اعداؤه و حساده * و قالوا هذه مرتبة لم يخلها آباؤه و لا اجداده * و نحن كلنا سيواسية اذ انتمينا * فانى يكون له الملك علينا * و حسد الرياسة هو الغل القمل *

وللحاسد الاكفاء جُرح لا يندمل * فمنهم شيخ نجيب صاحب توقات القاسية * و منهم حاجي كلدي و كان نائب اماسيه * فلما استقل بالملك تلقب بالسلطان * و كان قد استولى اذ ذاك السلطان علاء الدين على ممالك قرمان * فقال السلطان برهان الدين ان رُواة التواريخ حدثتنا و اسمعتنا * و كُتُب السير انبأتنا و اخبرتنا * ان ما حوالينا من الممالك متعلق بنا * من سلطاننا و إرثنا * ثم شرع في استخلاص ما كان متعلقا بسلطانه * و جعل يشن الغارات على من يتمادى في عصيانه * فقلع قلعة توقات من الشيخ نجيب قسرا * و استصحبه معه طيبة و قهرا * و انحازت تتار الروم اليه وهم الجم الغفير * و عثمان الملقب بقرا يلوك قال له انا تحت اوامرك امشي و في قيد طاعتك اسير * فكان قرايلوك من جملة خدمه * و في حساب تراكمته و حشمه * فكان يترحل هو و من معه من الناس * شتاء و صيفا بضواحي سيواس *

ذكر محو قرايلوك عثمان آثار انوار برهان الدين السلطان * بسبب ما اظهره من العدوان * وضمره حالة العصيان * وقبض عليه لما غدر به الدهر و خان *

ثم انه وقع بين قرايلوك و بين السلطان منافرة * ادت الى المشاجرة * و انتهت الى المراجحة و المناقرة * فنقض العهود و الذمم * و امتنع من حمل التقادم و الخدم * و تمنع في الاماكن العاصية بمن معه من التراكمة و الحشم * فلم يكترث به السلطان * لانه كان اقل الاعوان * و جعل يتوجه تارة الى

اماسية و اُخرى الى ارزنجان * و كان بالقرب من سيواس مصيف * منظره ظريف * و ترابه نظيف * و ماؤه خفيف * و هواؤه لطيف * كأنّ الخلد خاع على اكتاف رياضه سُنْدُسَه الاخضر * و الفردوس فجّر فى خلال اشجاره من نهره الكوثر * على حدائقه من روضات الجنات شبه * و فى رَبْوَة جبهته للابصار دهشات وللبصائر نُزَه * قلت شعر

عليه شقيق قد زها فكأنه * صُحُون عقيق اُترعت بالعنابر

فقصده قرا يلوك * و رام فى طريقه السلوك * فمرّ على سيواس * و بها القاضى ابو العباس * فجاز بركابه * و لم يعبأ به * فالتهب تموز قيظه * و كاد يتميز من غيظه * و قال بلغ من هذا العوّاد ان يلج برج الاسد * و يقدّم قدم اقدامه و انا حلّ بهذا البلد * ثم امر جماعته بالركوب * و قصد عليه الوثوب * و استفزّه الغضب و الطيش * ان ركب و سبق الجيش * فقال له بعض من معه من الجماعه * لو يلبث مولانا السلطان ساعه * حتى يتلاحق العسكر * كان احزم و اوفق و اجدر * و ان كان حرمة مولانا السلطان فيها كفاية و لها آيد * لكن قرا يلوك تركماني ذو دهاء و كيد * فلم يلتفت السلطان الى هذا الكلام * و لم يزل هاجما وراءه حتى هجم الظلام * فكرّ عليه قرا يلوك بجماعته * فقبض عليه باليد من ساعته * و لم يدر بحاله العسكر * و تفرق امراؤه و جنده شذر مذر *

ذكر ما كان فواه قرا يلوك من الرأى المصيب * ورجوعه عنه لسوء طويته بشين نجيب *

ثم ان قرا يلوك عزم ان يجدد معه العهد و الميثاق * و يقلع غراس

الخلاف و يُؤسِّس بنيان الصداقة و الوفاق * و يَرُدّه الى مكانه * و يصير كما كان اولا من انصاره و اعوانه * و يَعلَمَ بذلك السلطان انه له ناصح * فلا يسمع فيه كلام واش و كاشح * و اذا بشيخ نجيب الذي كان متولي قلعة توُقات * و حاصره السلطان و ضيق عليه مسالك الطُّرُقات * ثم قهره و غلبه * و اخذ قلاعه * و بالكراهة استصحبه * وجد فرصة فانتهزها * و كان في قلبه كمائن سخيمة فابرزها * فجاء الى قرا يلوك * و وقف في خدمته كالمملوك * و قال أعيذ عالمَ عقلك ان يَزِلّ * و دليل فهمك ان يَضِلّ * و مصيبَ رأيك ان يُصاب * و جميل فكرك ان يُعاب * قد امكن الله من العدو * و انّي لك مع هذا سكون و هُدُوّ * قلت شعر

ما الدهر الا ساعة و تَنَقَّضي * و المرء فيها حازم او نادم

فلئن ابقيت عليه لا يُبقي عليك * و لكن نظرت اليه بعين الرحمة فالله لاينظر اليك * فانه رجل غَبي * و بانواع المكر و اصناف الخديعة عُبّي * عِصرّ القياد و ابيك لا ينجع فيه الخير و ابي * و هَبْكَ و العياذ بالله مكانه منك * اكان يرقّ لك او يصفح عنك * هيهات هذا و الله مُحال * فقد وقع لك مَجال * فما كل اوان * يسمح بالمراد الزمان * و الدهر فُرَص * و اكثره غُصَص * فاياك ان تَفوت الفرصة * فتقع في الغصة و اي غصة * و لاينفعك القدم * اذا زلّت بك القدم * و تفكر فيما اقول * و استنبط دليل هذه المسئلة من المعقول * و استَبْق شرفك الرفيع باراقة دمه * و حسّن أستار حرمك بابتذال حَرَمه * و تذكر يا امير آمور قابوس وشمكير * و لا زال ذلك الشيطان * يُحسّن له الرأي في قتل السلطان * و يقول هذا الرأي انفع لك و

عليك أَعْوَدُ * كما فعل بسطامُ اميرُ الكُرد بقرا يوسف لما قبض على السلطان احمد * فرجع قرا يلوك عن رأيه لما خدعه و دهاه * فقتل السلطان من غير امهال و لا توقف رحمه الله * و كان قتل قرا يوسف السلطان احمد بن الشيخ آويس في عاشر شهر رجب سنة ثلاث عشرة و ثمانمائة و القصة مشهورة * و كان السلطان رحمه الله كما ذُكر اولا * عالما فاضلا كريما متفضلا * محققا في التقرير * مدققا في التحرير * قريبا من الناس * مع كونه شديد الباس * رقيق الحاشية اديبا * شاعرا ظريفا لبيبا اريبا * جوادا مقداما * قَرْمًا هُماما * نَهاب الدنيا وَهّابها * يهب الالوف و لن يهابها * يُحب العلماء و يجالسهم * و يدني الفقراء و يكايسهم * قد جعل يوم الاثنين و الخميس و الجمعة للعلماء و حفاظ القرآن خاصّة * لا يدخُل عليه معهم غيرهم من تلك الامم الغاصّة * و كان قد اقلع قبل وفاته عن جميع ما كان عليه * و تاب الى الله تعالى و رجع اليه * و له مصنفات منها الترجيح * على التلويح * و كان عنده نديم للفضل حريز * بغدادي الاصل يدعى عبد العزيز * و كان أُعْجوبة الزمان * و في لطائف النثر و النظم فارسيا و عربيا أُطْرُوفة الدوران * سرقه من بغداد من السلطان احمد بن الشيخ آويس * فكان عنده رأس ندمائه و عين اهل الفضل و الكيس * و القاضي كان يُربي الفضلاء * متطلبا من كل جهة الادباء و الشعراء * و كان اهل الفضل و الادب يفدون عليه من كل فج * حتى صار مقامه كعبة الحاج لا كعبة الحج * و صورة سرقته له انه لما سمع باوصافه احبه فاراد قربه فالتمسه من مخدومه * فلم تسمح نفس السلطان احمد بمفارقة نديمه * ثم احتشى من القاضي

رُعبه * وخاف لشدة دهيه هربه * فوصّي به وحرّج عليه *
و اقام له مُعَقّبات يحفظونه من خلفه و من بين يديه * فارسل
القاضي اليه رسولا ذكيا * فناداه نداء خفيّا * و اجزلَ له العطيه *
و وعده مواعيد سَنيه * و فرّق ما بين السلطانين من الحسن و القبح *
كفرق ما بين البحرين العَذب و الملح * و الملوين المساء و الصبح *
فلبّى دعوته بالقبول * و واعد للخروج بعض القفول * ثم خرج
و لهيب الحر قد وقد * و السلطان احمد عند الحريم قد رقد *
و وضع ثيابه على ساحل دجله * و وجّهُ الى داخل النهر في الطين
رجله * ثم غاص في الماء و مخر * وخرج من مكان آخر *
ولحق برفقائه * و اختفى بينهم اختفاء اليربوع في نافقائه *
فطلبه السلطان احمد * ففتّشوا عليه فلم يُوجَد * فبالغوا في
طلابه * الى ان وقفوا على ثيابه * و رأوا آثار رجليه في الطين *
فلم يشكوا ان الموج اختطفه فكان من المغرقين * فكفوا قدم السعي
عن طلبه * و لم يضيقوا على احد بسببه * ثم بعد ايام يسيره *
اخرج غريق بغداد رأسه بسيواس عند القاضي برهان الدين
من تحت الحصيره * فغرّقه في أبحُر نواله * و اسبغ عليه ذيل
كرمه و افضاله * فصار عنده مقدما * و لديه مبجلا معظما *
الف له تاريخا بديعا * سلك فيه مَهْيَعا رفيعا * و انتهج منهجا
منيعا * ذكر فيه من بدوّ امره الى قرب وفاته * مع مواقفه و وقائعه
و مصافّاته * و وشحه بظريف كناياته * و لطيف استعاراته *
و فصيح لغاته و بليغ كلماته * و رشيق اشاراته و دقيق عباراته *
مدّ فيه عنان اللسان * و هو موجود في ممالك قرمان * في اربع
مجلدات ذكر ذلك لي من غاص بحره * و استخرج دُرّه * و

وقف على تاريخ العُتبي في اليمين * السلطان محمود بن سَبُكْتكين *
(سبكتكين) * و ان هذا احسنُ من ذلك أسلوبا * و اغزرُ يعبوبا *
و اعذبُ مشروبا * مع أني لم آقِف عليهما * و لا وصلت لقصر الباع
اليهما * ثم ان الشيخ عبد العزيز هذا بعد لهيب هذه النائرة * انتقل
الى القاهرة * و لم يبرح على الأبراح * و معاقرة راح الاتراح *
حتى خامرته نشأة الوجد فصاح * و تردّى من سطح عالٍ فطاح *
و مات منكسرا ميتة صاحب الصحاح * و الله اعلم *

ذكر ما وقع من الفساد في الدنيا و الدين * بعد قتل قرايلوك السلطان برهان الدين *

و لما قُتل السلطان برهان الدين لم يكن في اولاده من يَصلُح
للرياسة * و ينفذ احكام السلطنة و السياسه * فرجع قرا يلوك
الى سيواس * و دعا الى نفسه الناس * فلم يجيبوه * و لعنوه
و سبّوه * فاخذ يُحاصِرهم و يُناكدهم * و يُضيّق عليهم و يُعاندهم *
فاستمدوا عليه التتار فامدوهم * و اتت طائفة منهم فنجدوهم *
فكسرهم قرا يلوك ففرّوا * و استنجدوا طوائفهم و كرّوا * و اقبلوا
بالقضّ و القضيض * و ملاؤا البقاع و الحضيض * فلم يكن
لقرا يلوك طاقة بقتالهم طرق * فدخل عليهم من تحت و جاء هم
من فوق * و توجه الى تيمور * و كان بحر جيشه في اذربيجان
يمور * و قبّل يديه * و انتمى اليه * و جعل ينادبه الى هذه البلاد
و يدعو * كما فعل معه الامير ايدكو * فحكّ له في الدبرة * فاجابه
اجابة برصيصا اباصرة *

ذكر مشاورة الناس * من اهل سيواس * الي يسلكون * ومن يملكون *

ثم ان اهل سيواس * و الاعيان من رؤسائها و الاكياس * تشاوروا فيمن يملكون قيادهم * و الى من يسلّمون بلادهم * لسلطان مصر ام لابن قرمان * ام للسلطان الغازي بايزيد بن عثمان * ثم اتفق رأيهم السديد * على المرحوم يلدرم بايزيد * فارسلوا اليه قاصدا * و استنهضوه اليهم وافدا * و انشدوه * و قد استنجدوه * شعر

و كم ابصرتُ من حسنٍ و لكن * عليك من الورى وقع اختياري

فتوجه من ساعته اليهم * و قدم بالعساكر و الجنود عليهم * و مهد القواعد و الاركان * و ولى عليهم اكبر اولاده امير سليمان * و اضاف اليه خمسة انفار * من امرائه الكبار * يعقوب بن اورانبس و حمزة بن لبجار و قوج على و مصطفى و دوادار * و استمال خواطر الاعيان * و توجه الى ارزنجان * فهرب منها طهرتن المذكور * و قصد في انهزامه تيمور * فاستولى ابن عثمان * على مدينة ارزنجان * و اخذ اموال طهرتن و ذخائره و حرمه * و مكن منهن سُوّاسه و غلمانه و خدمه * و رجع بالاموال و الحمول * و اشتغل بمحاصرة استنبول *

فصل

فنبهٌ قرايلوک و طهرتن * من تيمور نائم الفتن * و ان كان المتحرک منه في الفساد ما سكن * حتى توجه الى هذه البلاد * و عمّ فسادهٗ البلاد و العباد * فوصلوا الى ارزنجان واردين * ثم ارتحلوا و نزلوا مفسدين ماردين * فعصى عليه الملک الطاهر * لما كان قاساه اولا من طاعة ذلک الغادر * فندم على اطلاقه اول مرةٌ * كما سيتقدمٌ

يوم القيٰمة و لم تنفعه الندامة و الحسرة * و كان ذلك في سنة اثنين و ثمانمائة * و الخُلف قد وقع بين العساكر الشامية و المصرية و انحاز الى كل فئة * و تفرقت آراؤهم ايادي سبا * و مال هواء كل منهم الى دبور و شمال و صبا * و اهملوا امور الرعايا * و غفلوا عن حلول الرزايا * قلت شعر

من يهمل الاعدا و يأمن كيدهم * مثلَ النؤوم و راءه مستيقظ

قلت شعر

و اللص ليس له دليل سائر * نحو الذي يبغي كنوم الحارس

ثم قتل هو تَنِم ملك الامراء بالشام المحروس * اعيان الامرآء والاعلام الرؤس * في شهر رَمضان من العام المذكور * و بيان هذه الامور في كتب التواريخ مسطور * قلت شعر

و اذا العرين تصرّعت آسادُهُ * عوّت التعالب فيه آمنة الردى

ذكر قصد ذلك الغدار * سيواس و ما يليها من هذه الديار

ثم ان تيمور وجه عنان الباس * نحو مدينة سيواس * و بها كما ذكر امير سليمان * بن بايزيد بن مراد بن اورخان بن عثمان * فارسل يخبر اباه بهذا الامر المهول * و يستنجده و هو اذ ذاك محاصر استنبول * فلم يطق ان يَمُدَّ اليه يدا * لاحتياجه الى المدد و لبُعد المدى * فاستحضر من جنده اهل المنعة * وحصّن المدينة والقلعة * و استعد للقتال و استمد للحصار * و فرق رؤس امرائه على ابدان الاسوار * وجهّز تيمور من جيشه العيون * ليتحقق ما هو عنده مظنون * و لما كشفت جيوشه لامير سليمان زينها * فرلّما ان رأى عينها * فعزم على التوجه الى ابيه * و اشترط مع امرآئه و ذويه *

أنهم يحفظون له البلد * ريثما يجهز لهم العُدد و العَدد * فلم يسعهم
الا الموافقه * و التخلّف و عدمُ المرافقه * فرام لنفسه الخلاص *
و افلت و له حُصاص * فوصل اليها تيمور بتلك السّيول الهاميه *
سابع عشر ذي الحجة سنة اثنين و ثمانمائه * و لما احل بسيواس
رجلَه الشومي * قال انا فاتح هذه المدينة في ثمانية عشر يوما *
ثم اقام في محاصرتها علامات الحشر * و فتحها في اليوم الثامن
عشر * بعد ما عثى فيها وعاث * و ذلك يوم الخميس خامس المحرم
سنة ثلاث (٨٠٣) * و بعد ان حلّف للمقاتله ان لا يريق دمهم *
و أنه يرعى ذممهم و يحفظ حُرَمهم وحَرَمهم * و لما فرغت المقاتلَه *
و استمكن من المقاتِله * ربطهم في الوثاق ثَرْبا * و حفر لهم في
الارض سَرَبا * و القاهم احياءا في تلك الاخاديد * كما القى في
قليب بدر الصناديد * و عدد من القى في تلك الحفر * كان ثلاثة
آلاف نفر * ثم اطلق عِنان الذهاب * راتبع النهب الاسر و الخراب *
و كانت هذه المدينة من اظرف الامصار * في احسن الاقطار *
ذات عمائرَ مكينه * و اماكن حصينه * و مآثر مشهوده * و مشاهد
للخير معهوده * ماؤُها رائق * و هواؤُها للامزجة موافق * و سكانها
من احشم الخلائق يتعانون التوقير و الاحتشام * و يتعاطون اسباب
التكلف و الاحترام * و هي متاخمة ثلاث تخوم * الشام و آذربيجان
و الروم * و اما الان فقد حلت بها الغيَر * و تفرق اهلها شَذَر مذَر *
و انمحت مراسم نقوشها * فهي خاوية على عروشها *

ذكر انسجام صواعق ذلك البلاء الطام * من غمام الغرام على فرق ممالك الشام *

و لما استنقى سيواس لعما و نقيا * و استوفاها حصدا و رعيا *

فوق سهام الانتقام الى نحو ممالك الشام * بجنود ان قيل كالجَراد المنتشر - فالجراد كان من اعوانها * او كالسيل المنهمر - فسيل الدماء جار من فِرِنْدِها و خِرْصانها * او كالفَراش المبثوث فالفراش يَحترِق عند تطايُر سهامها * او كالقَطْر الهامي فالدِّيَم تضمحِلُّ عند انعقاد قَتامها * رجال توران * و ابطال ايران * و نُمور تركستان * و بُبُور بلخشان * و صُقور الدشت و الخطا * و نسور المُغول وكواسر الجتا * و افاعي خُجَنْدَ و ثعابين آيْدَكان * و هوامُّ خوارزم و جوارح جُرجان * و عِقْبان صغانيان * و ضواري حصار شادمان * و فوارس فارس و أُسُود خراسان * و ضِباعُ الجيل و لُيُوث مازِنْدَران * و سِباع الجبال و تماسيح رُسْتَمْدارَ و طالقان * و أَصَل قبائل خوز و كرمان * و طُلس ارباب طيالسة اصبَهان * و ذئاب الرَّيّ و غزني و هَمَذان * و افيال الهند و السند و مُلْتان * و كِباش ولايات اللُّور * و ثيران شواهق الغور * و عقارب شهر زُور * و جَرارات عسكر مكرم و جُنْدَي سابور * شعر

قوم اذا الشر ابدى ناجذيه لهم * طاروا اليه زُرافاتٍ و حِدآنا

مع ما اضيف اليهم من اعيار الخدم * و فراعل التراكمة و الاوباش و الحشم * و كِلاب النِّهاب من رعاع العرب و هَمَج العجم * و حُفالة عُبّاد الاوثان و انجاس مجوس الامم * ما لا يكتنفه ديوان * و لا يُحيط به دفتر حُسْبان * و بالجملة فانه الدَّجالُ و معه ياجوج و ماجوج * و الرياح العقيمة الهوج * فتوجه و النصر قائده * و السعد رائده * و القضاء مُوافقه و القدر مساعده * و مشيئة الله تعالى سائقته * و ارادة الله عز و جل في تدبير العباد و البلاد سابقته * فبلغ خبرة البلاد الشاميه * و اتصل ذلك بالديار

المصريه * فورد مرسومٌ شريفٌ الى نائب الشام * و سائر النوّاب و الحكام * و غُزاة الدين و كُماة الاسلام * ان يتوجهوا الى حَلَب * و يقيموا عليه الجَلَب * و يجتهدوا في دفعه * و يتعاونوا على منعه * فتجهّز نائب الشام سيدى سُوْدُون مع النواب و العسكر * و رحلوا الى حَلَبَ سنة ثلث و ثمانمائة في شهر صفر * و وصل تيمور الى بَهْسَنا * فنهب ضواحيها و لم يبق بها سنا * و حاصر قلعتها ثلاثة و عشرين ليله * فاخذها ولكن كُفّ عنها للطيفة ربّانية تُبُوره و ويله * ثم وطّأ مدينة ملَطْيَة فاباده‍ا * ودك اطواد ها * ثم حل كعبه المَشوم * بقلعة الروم * و كان نائبها الناصري * محمد بن موسى بن شهري * و سنذكر ماجرى له معه مُشبَعا * و كيف اجتهد في مجاهدته و سعى * فاقام بها يوما * فلم ينْتَج له رَوْما * و لم يحتفل لها بحصار و هياج * و قال هي اَهْون عليّ من قبالة على الحَجّاج * و ذلك انه لما رآها من بعيد * قال فيها ما قاله من لم يَصِل الى العناقيد * و الحقّ انه لما رآها * قال ان الله لما بناها * ادخرها لنفسه و اصطفاها * ثم انجاب ذلك السحاب * الى عين تاب * وكان نائبها اركماس * رجلا شديد الباس * فحصّنها و استعد * و باشر القتال بنفسه و استبد * ثم خرج فهرب الى حلب * فلم يُرسل وراءه الطلب *

ذكر ما ارسل من كتاب و شنيع خطاب * الى النواب بحلب وهو في عين تاب *

ثم ارسل الى النواب * قاصده وهو في عين تاب * و صحبته موسوم * بانواع التفخيم موسوم * و باصناف التهويل مرقوم * و من جملته ان يطيعوا اوامره * و يكفّوا عن القتال و المشاجرة * و يخطبوا

باسم محمود خان * و باسم الامير الكبير تيمور كوركان * و يُرسلوا اليه اطلاميش الذي كان عنده فخان * و اقتبضه التُّركمان * و ارسله الى مصر لحضرة السلطان * و اطلاميش هذا زوج بنت اخت تيمور * و كان جاء الى الشام قبل وقوع هذه الشرور * و فيما بين ذلك امور * كان لها بُطُون فصار لها ظهور * و كان اولا فى مصرَ محبوسا * و نال ضُرًّا و بوسا * ثم صار معززا مكرما * معظما مقدّما * و كان تيمور عليه مغضبا * وجعل ذلك حجة للمعاداة و سببا * ثم شرع يقول * و هو يجول * في ميدان هذه الرسالة و يصول * انه هو اولى بسياسة الانام * و ان من نصبه هو الخليفة و الامام * و انه ينبغي ان يكون هو المتبوع و المطاع * و ما سواه من ملوك الارض له خدام و اتباع * و انى لغيره دُرْبة الرياسه * و كيف تعرِف الجَراكِسة طُرُق السياسه * مع كثير من التهويل و الحشو و التطويل * و كان يعلم ان اجابتهم سؤاله محال * و انه طلب منهم ما لا ينال * و لكن قصد بذلك قَرْع باب الجدال * و تركيب الحجة عليهم في فتح حجرات القتال * فلم يجيبوه بالمقال * و لكنهم قضوا مراده بالفعال * و لم يلتفت سيدى سُودُون لما يقول * و ضرب على رؤس الاشهاد عُنُقَ الرسول * و استعدوا للمبارزه * و استمدوا للمناجزه *

ذكر ما تشاور عليه النواب * وهم فى حلب وتيمور فى عين تاب *

ثم ان النواب و الامراء * و رؤس الاجناد و الكبراء * تشاوروا كيف يُكافحونه * و في ايّ ميدان يُناطحونه * فقال بعضهم عندي الرأي الاسدّ * ان نُحَصِّن البلد * و نكون على اسوارها

بالرصد * نَحْرُس بُروج افلاكها * حِراسة السماء بأملاكها *
فان رأينا حواليها من شياطين العدو احدا * ارسلنا عليه من رجوم
السهام و نجوم المكاحل شهابا رصدا * و قال آخر هذا عين القَصْر *
و علامة العَجْز و الكسر * بل نُحلِّق حواليها * و نمنع العدو ان يصل
اليها * و يكون ذلك افسح للمجال * و اشرح للجدال * ثم ذكر كل
من اولئك * ما عنَّ له في ذلك * و خلطوا غثّ القول بسمينه *
و ساقوا هجان الرأي مع هجينه * فقال الملك المؤيد * شيخ
الخاصكي و كان ذا رأي مسدد * و هو اذ ذاك نائب طَرابُلُس
يا معشر الاصحاب * و اسود الحرب و فوارس الضراب * اعلموا ان
امركم خطِر * و عدوكم داعر عسِر * داهية دهياء * معضلة عضلاء *
جنده ثقيل * و فكره وبيل * و مصابه عريض طويل * فخذوا حِذْركم *
و اعملوا في دفعه بحسن الحيلة فكركم * فان صائب الافكار * يفعل
ما لا يفعله الصارم البتار * و مشاورة الاذكياء ــ مقدمة الفِكَر *
و مباحثة العلماء ــ مقدِمة النظر * ان هذا البحر ما يحمله بر *
وجيشه عددا كالقطر و الذر * و هو و ان كان كالوابل الصبيب *
لكنه اعمى لانه في بلادنا غريب * فعندي الرأي الصائب * ان
نحصّن المدينة من كل جانب * و نكون خارجها مجتمعين في
جانب واحد * و كلنا له مراقب مراصد * ثم نحفر حولنا خنادق *
و نجعل اسوارها البيادق و البوارق * و نُطيِّر الى الافاق اجنحة
البطائق * الى الاعراب و الاكراد * و التراكمة و معاشر البلاد * فيتسلَّطون
عليه من الجوانب * و يثِب عليه كل راجل و راكب * و يصير
ما بين قاتل و ناهب * و خاطف و سالب * فان اقام و انى له
ذلك ففي شر مقام * و ان تقدم الينا صافحناه بسواعد الاسنّة

واكُفّ الدرَق و انامل السهام * و ان رجع و هو المرام رجع بخيبة *
و اقيمت لنا عند سلطاننا الحرمة و الهيبة * و ان كان بسلطانه علينا
عَرَج * قلنا بحمد الله سلطان و في سلطاننا فَرَج * و اقلّ الاشياء
ان تُمادّه و نتحرّز من جنده * فعسى الله ان يأتي بالفتح او امر
من عنده * و هذا الرأي الاسد * بعينه كان رأي شاه منصور الاسد *
فقال تمرداش و هو نائب المدينه * ما هذه الاراء مكينة و لا هذه
الافكار رصينه * بل المناضلة خير من المطاوله * و المناجزة في
هذه المواطن قبل المحاجزه * و مقام المنازله * لا تجدي فيه
المغازله * و لكل مقام مقال * و لكل مجال جدال * و هذا
طير في قفص * و صيد مقتنص * فاغتنموا فيه الفُرص *
و ناوشوه بالحَرْب * و سابقوه بالطعن و الضرب * لئلا يتوهم
فينا الخَوَر * و يستنشق من رُكود ريحنا عرْف الظفر * فاجمِعوا
امركم و اعجلوا * و لا تنازعوا فتفشَلوا * و انهضوا و ثابروا * و اصبروا
و صابروا * فانتم بحمد الله اهل النَّجده * و اولوا الباس و
الشدّه * و كل منكم في فقه المناضلة مُغْنٍ و مختار * و علمه في
افاضة دماء الاعداء مَنار * و له في ذلك كفايه * و هداية و نهايه *
و غيره له بدايه * و هو لجمع الاسلام كنزٌ وافٍ و جامعٌ كافٍ و
وقايه * تنحو ألسِنة سيوفكم الى تكليم الرؤس فهي في لفظها
كافية شافيه * و تصرف اسنانُ اسنتكم في مضاعفة كل ذي
فعل معتلٍّ فهي في تصريف عللها شافية كافيه * فان كسرناه
فُزنا بالمنال * و كفى اللهُ المؤمنين القتال * و تلك من الله
معونه * و قد كفينا عساكر المصريين المؤنه * و كان ذلك اعلى
لحرمتنا * و اقوى في ورود النصر لشوكتنا * و اذكى لريح نصرنا

و اركي * و ابكي لعينه السخينة و انكي * و ان كانت و العياذ بالله الاخرى * فلا علينا اذا بذلنا مجهودا و اقمنا عذرا * و مخدومنا يدرك ثارنا * و يحيي آثارنا * فتوكلوا على الله العزيز الجبار * و استعدوا لملاقاة هؤلاء الاشرار * و اذا لقيتموهم زحفا فلا تولوهم الادبار * و لا زال تمرداش * يحسن لهم هذا الرأي اللاش * حتى اجمعوا عليه * و اتفقوا على الخروج اليه * لانه كان صاحب البلد * و على كلامه المعول و المعتمد * و كان تمرداش قد خالف الجمهور * و وافق في الباطن تيمور * و هذه كانت عادته * و على المراوغة جبلت طينته * فانه كان كالشاة العائرة * و المرأة العاهرة الغائرة * اذا التقى عسكران فلا يكاد يثبت في احدهما جبنا منه و مكرا * بل يعير الى هذا مرة و الى هذا آخرى * مع انه كان صورة بلا معنى * و لفظا بلا فحوى * فاعتمد تيمور عليه * و فوض الامور اليه * وكذلك عساكر الشام * و جنود الاسلام * ثم حصنوا المدينة و اوصدوا ابوابها * و ضيقوا شوارعها و رحابها * و وكلوا بكل حارة و محلة اصحابها * و فتحوا الابواب التي تقابل ملتقاه * و هي باب النصر و باب الفرج و باب القناة *

ذكر ما صبه من صواعق البيض واليلب * على العساكر الشامية عند وصوله الى حلب *

ثم ان تيمور نقل الركاب * فوصل في سبعة ايام الى حلب من عين تاب * فحل بذلك الخميس * تاسع شهر الربيع الاول يوم الخميس * و برز من ذلك العسكر * طائفة نحوا من الفى نفر * فتقدم لهم من الاسود الشامية * نحو من ثلثمائة * ففلوهم بالصفاح * و شلوهم بالرماح * فبددوهم و طردوهم * و حذروهم و شردوهم * ثم اصبحوا

يوم الجمعة فبرز من عسكره نحو من خمسة آلاف * الى مصاف الثقاف * فتقدم اليهم طائفة أخرى * أرسالا و تترى * فالتحم بينهم النطاح * و اشتبكت بين الطائفتين انامل الرماح * فازدحموا واقتحمو * و اشتدوا و التحموا * و لا زالت اقلام الخط * فى الواح الصدور تَخُطّ * و القُضبان الصوارم لروس تلك الاقلام و الاعلام تَقُطّ * و مشاريط النبال لدماميل الدمال تبُطّ * و الارض من اثقال اجبال التقال تَاِطّ * حتى سجى ليلا الظلام و القتام و اغطشا * فتراجعوا و قد اعطى الله النصر لمن يشا * وجرى من دماء العدو مع فَرَق نَهران * و فُقِد من العساكر الاسلامية نفَران * ثم اصبحوا يوم السبت حادي عشره و قد تعبت الجنود الشامية * و العساكر الاسلاميه السلطانيه * بالعُدّة البالغه * و الاهبة السابغة * و الخيول المسومه * و الرماح المقومه * و الاعلام المعلمّة * ولم يعْوِز اوليك الصناديد * سوي شَمّة من النصر و التأييد * فنحوا قصده * و قصدوا رده و صده * و اقبلت عساكره و السعد الميمون طائره * و القضاء موازره و القدر مظاهره * بالجنود المذكوره * و الجيوش المعهودة المنصوره * تؤمهم الاقيال * وافيال القتال * و اذا به قد اضمرلهم الويل * وعبى عساكره تحت جنح الليل * و بثهم فيهم و ارسل عليهم و قابلهم بمقدمتهم و شغلهم باوائلهم * و احاط الباقون بهم فاتوهم من بين ايديهم و من خلفهم و عن ايمانهم و عن شمائلهم * فمشى عليهم مشى الموسى على الشعر * وسعى سعي الدبا على الزّرع الاخضر * و كان هذا الجولان * على قرية حيلان * و لما اهتمش امر الناس و هاش * و جاشت الهوشة و الاستحاش * و تهارشت الاسود

و انقطعت الكباش * فَرَّت الميمنة و كان رأسها تمرداش * فانكسر العسكر و طاش * و اخذ الابطال من الدهشة الارتعاش * و غلبتهم الحيرة و الانبهار * فلم يلبثوا و لا ساعة من نهار * ثم ولّوا الدُّبر * و صارت لاقلام رماحه ظهورهم الزبر * و استمروا امامهم يتواثبون *

و عسكره وراءهم يتخاطبون * بمعنى ما قلت شعر

جعلنا ظهورالقوم في الحرب اوجُها * رقمنا بها ثغر و عينا و حاجبا

فقصدوا المدينة من الباب المفتوح * و هم ما بين مهشوم و مجروح * و السيوف تشقهم * و الرماح تدقهم * و قد سالت بدمائهم الاباطح * و فترمن سائر لحمهم كل كاسر و جارح * فوصلوا الى باب المدينة و انكسروا * و هجموا فيه يدا واحدة و تكردسوا * و لا زال يدوس بعضهم بعضا * حتى صارت العتبة العليا من الباب ارضا * فانسدت الابواب بالقتلى * و لم يمكن الدخول منها اصلا * فتشتتوا في البلاد * و تغرقوا في المهامه و الاطواد * و كسر باب انطاكية المماليك الاغتام * و خرجوا منه قاصدين بلاد الشام * فوصل كلهم الى دمشق في ابشع صورة * و حكوا في كيفية هذه الوقعة اشنع سيرة * و صعد النواب الى قلعة حلب و تحصنوا * فضاقت عليهم الارض بما رحبت فاستأمنوا * و نزلوا بواسطة تمرداش اليه * و قد غسل كل منهم من الحيوة يديه * ثم انه مشى على هينته * مع وقاره و رزانته و سكينته * و دخل حلب * و نال منها ما طلب * و فاز بالروح و السلب * و لما نزل الذواب اليه * قبض على سيدي سودون و شيخ على الخاصكي كليه * و اما تمرداش فخلع عليه * و قبض على التونبغا العثماني نائب صفد * و على عمر بن الطحان نائب غزة و جعل الكل في صفد * و شرع في استخلاص الاموال * و ضبط الانقال والانفال*

و قد ملأتِ القلوبَ هواجسُ هيبتِه * و انتشر في الافاق شرار صولته * ثم انه لم يكتفِ بما ارهقه من النفوس * حتى بنى المياذين من الروُس * و سبب ذلک ان ذا قرابَةِ البريدِ الذي ارسله الى حلب * و ضرب نائبُ الشام عُنُقه و سلبه السَّلَب * ذكر تيمور بقصته * و اراد القَوَد من اهل حلب لذي قرابته * فاجاب سوآله فمكنه * فيمن يختار منهم ان يفعَل فيه ما استحسَنه * فقتل طائفة منهم و بنى من روُسهم كذا و كذا ميذنه *

زيادة ايضاح لهذه المحنة * مما نقلته من تاريخ ابن الشحنة *

قال اخبرني الحافظ الخوارزمي ان مَن كَتَبَ في الديوان من عساكر تيمور ثمانمائة الف نفس و منه ان تيمور قصد قلعه المسلمين و كان نائبها الناصري محمد بن موسى بن شهري و انه عصى عليه و كان يَخرُج للغارات ثم قال ما نصّه بحروفه و كان قد ابدع بجمائع تمرلنک (تمرلنک) و طَرّاشَه مدة اقامته على بهسنا و قتل منهم جماعةً و ارسل روُسَهم الى حلب و كسر تومانا كان جهزه اليه اقبح كسرة حتى رمى غالب جماعته بانفسهم في الفُرات و جهز تمرلنک كتابه الى المشار اليه و نصه يقول فيه اني خرجت من اقصى بلاد سمرقند و لم يقِف احد امامي و سائر ملوک البلاد حضروا اليَّ و انت سلّطت على جمائعي من يُشوّش عليهم و يقتُل من ظفِر به منهم و الأن فقد مشّينا عليک بعساكرنا فان اشفقت على نفسک و رعيتک فاحضر الينا لترى من الرحمة و الشفقة ما لا مزيد عليه و الا نزلنا عليک و خرّبنا بلدک و قد قال الله تعالى إنّ الملوکَ إذا دخَلُوا قريةً افسدوها و جعلوا أَعِزّةَ اهلِها

أذِلَّةً و كذلك يفعلون فاستعدَّ لما يُحيطُ بك ان ابيتَ الحضور فامسكَ المشار اليه الرسولَ و حبسه و لم يلتفت الى كلام تمرلنك فمشى اليه اوائلَ عسكره فبرز اليوم المشار اليه و قاتلَهم و كسرَهم و في اليوم الثاني حضر تمرلنك على قلعة المسلمين و برز اليه المشار اليه و قاتله قتالا شديدا و كانت وقعة عظيمة رأى فيها منه تمرلنك شدة حَزْم و رجع عن محاربته و اخذ في مخادعته و ملاطفته و طلب منه الصلح و ان يُرسِلَ اليه خيلا و مالا لاجل حرمته فلم ينخدع منه و تنازل معه الى ان طلب منه جانبا فلم يُعْطِه و عاد خائبا و اخذ المشار اليه في اواخره قتلا و نهبا و اسرا كل ذلك و باب قلعته مفتوح لم يغلقه يوما واحدا وانشد فيه لسان الحال* شعر
هذا الاميرالذي صحّت مناقبُه * ليث الوغى عمّت الدنيا مفاخرُه
ولّي تمرلنك مكسورا اوائله * منه مرارا و مذعورا اواخره
وكان حصول تلك السعادة للمشار اليه دون غيره من الملوك و اصحاب الحصون لما كان فيه من العلم والديانة و الاخلاص و الصيانة و لكونه من السلالة الطاهرة العُمريّة رضي الله عنها * و لما كان يومَ الخميس تاسع ربيع الاول نازل تمرلنك حلب و كان نائبها المقر السيفي تمَرداش وقد حضرت اليه عساكر البلاد الشامية و عسكر دِمشقَ مع نائبها سيدي سُودُون و عسكرُ طَرابُلُسَ مَعَ نائبها المَقَرّ السيفيّ شيخ الخاصكيّ و عسكرُ حماةَ مع نائبها المقر السيفي دَقماق و عسكرُ صفَدَ و غيرها فاختلفت اراؤُهم فمن قائل أدخلوا المدينة و قاتلوا من الاسوار و قائل اُخرُجوا ظاهر البلد تلقاء العدو و بالخيام فلما رأى المقرُّ السيفيُّ اختلافهم اذن لاهل حلب في اخلائها و التوجه حيث شاؤا و كان نعم الرأيَ فلم يوافقوا علي ذلك

و ضربوا خيامهم ظاهر البلد تلقاءَ العدو و حضر قاصد تمرلنك
فقتله نائب دمشق قبل ان يسمع كلامه و يوم الجمعة حصل
بين الاطراف تناوش يسيرٌ فلما كان يوم السبت حادي عشر
شهر الربيع الاول زحف تمرلنك بجيوشه و قبيلته فولّى المسلمون
نحو المدينة و ازدحموا في الابواب و مات منهم خلق عظيم و
العدو وراءهم يقتل و يأسر و اخذ تمرلنك حلب عنوة بالسيف
و صعد نوّاب المملكة و خواص الناس الى القلعة و كان اهل حلب
قد جعلوا غالب اموالهم فيها و في يوم الثلثاء رابع عشر شهر
ربيع الاول اخذ القلعة بالامان و الايمان التي ليس معها ايمان
و في ثاني يوم صعد اليها و آخر النهار طلب علماءها و قضاتها
فحضرنا اليه ثم اوقفنا ساعة ثم امر بجلوسنا و طلب من معه
من اهل العلم فقال لاميرهم عنده و هو المولى عبد الجبار
بن العلامة نعمان الدين الحنفي والده من العلماء المشهورين
بسمرقند قل لهم اني سائلهم عن مسئلة سألت عنها علماء
سمرقند و بخارا و هراة و سائر البلاد التي افتتحتها فلم يفصحوا عن
جواب فلا تكونوا مثلهم و لا يجاوبني الا اعلمكم وافضلكم و ليعرف
ما يتكلم فانني خالطت العلماء ولي بهم اختصاص و الفة و لي في
العلم طلب قديم و كان بلغنا عنه انه يتعنت العلماء في الاسئلة و
يجعل ذلك سببا لقتلهم او تعذيبهم فقال القاضي شرف الدين
موسى الانصاري الشافعي عني هذا شيخنا و مدرس هذه البلاد
و مفتيها سلوه و اللهُ المستعان فقال لي عبدالجبار سلطاننا يقول
انه بالامس قتل منا و منكم فمن الشهيد قتيلنا ام قتيلكم فوجم
الجميع و قلنا في انفسنا هذا الذي بلغنا عنه من التعنت و

سكت القوم ففتح الله عليّ بجواب سريع بديع و قلت هذا سؤال سئل عنه سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم و اجاب عنه و انا مجيب بما اجاب به سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لي صاحبي القاضي شرف الدين موسى الانصاري بعد ان انقضت الحادثة و الله العظيم لمّا قلتَ هذا سؤال سئل عنه رسول الله صلى الله عليه و سلم و اجاب عنه و انا محدث زماني قلت هذا عالمنا قد اختلّ عقله و هو معذور فان هذا سؤال لا يُمكن الجواب عنه في هذا المقام و وقع في نفس عبدالجبار مثل ذلك و القى تمرلنك اليّ سمعَه و بصرَه و قال لعبدالجبار يسخر من كلامي كيف سئل رسول الله صلى الله عليه و سلم عن هذا و كيف اجاب قلت جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال يا رسول الله ان الرجل يقاتل حميّة و يقاتل شجاعة و يقاتل ليرى مكانه فاينا في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو الشهيد ثم قال تمرلنك خوب خوب و قال عبد الجبار ما احسن ما قلت و انفتح باب المؤانسة و قال اني رجل نصف آدمي و قد اخذت بلادا كذا و كذا وعدّد سائر ممالك العجم و العراق و الهند و سائر بلاد التتار فقلت اجعل شكر هذه النعمة عفوك عن هذه الامة و لا تقتل احدا فقال و الله اني لا اقتل احدا قصدا و انما انتم قتلتم انفسكم في الابواب و الله لا اقتُل احدا منكم و انتم آمنون على انفسكم و اموالكم و تكررت الاسئلة منه و الاجوبة منا فطمع كل من الفقهاء الحاضرين و جعل يُبادر الى الجواب و يظن انه في المدرسة و القاضي شرف الدين يَنهاهم و يقول لهم بالله اسكتوا ليجاوب

هذا الرجل فانه يعرف ما يقول و كان آخر ما سأل عنه ما تقولون في عليّ و معاوية و يزيد فاسرّ اليّ القاضي شرف الدين و كان الى جانبي ان اعرف كيف تجاوبه فانه شيعيّ فلم افرغ من سماع كلامه الا و قد قال القاضي علم الدين القَفصِي المالكي كلاما معناه ان الكل مجتهدون فغضب لذلك غضبا شديدا و قال عليّ علي الحق و معاوية ظالم و يزيد فاسق و انتم حلبيون تبع لاهل دمشق و هم يزيديون قتلوا الحسين فاخذت في ملاطفته و الاعتذار عن المالكي بانه اجاب بشيء وجده في كتاب لا يعرف معناه فعاد اليّ دون ما كان عليه من البَسْط و اخذ عبدالجبار يسأل مني و من القاضي شرف الدين فقال عني هذا عالم مليح و عن شرف الدين و هذا رجل فصيح فسألني تمرلنك عن عُمري فقلت مولدي سنة تسع و اربعين و سبع مائة و قد بلغت الان اربعا و خمسين سنة فقال للقاضي شرف الدين و انت كم عُمرك فقال انا اكبر منه بسنة فقال تمرلنك انتم في عمر اولادي انا عمري اليوم بلغ خمسا و سبعين سنة و حضرت صلوة المغرب و اقيمت الصلوة و امّنا عبدالجبار و صلى تمرلنك الى جانبي قائما يركع و يسجد * ثم تفرقنا و في اليوم الثاني غدر بكل من في القلعة و اخذ جميع ما كان فيها من الاموال و الاقمشة و الامتعة ما لا يحصى * اخبرني بعض كتابه انه لم يكن اخذ من مدينة قط ما اخذ من هذه القلعة و عُوقب غالب المسلمين بانواع من العقوبة و حُبِسوا بالقلعة ما بين مقيد و مزنجر و مسجون و مُرَسّم عليه و نزل تمرلنك من القلعة و اقام بدار النيابة و صنع وليمة على زيّ المغل و وقف سائر الملوك و النوابين

في خدمته و ادار عليهم كؤوس الخمر و المسلمون في عقاب و عذاب و سَبْي و قتل و آسر و جوامعهم و مدارسهم و بيوتهم في هدم و حرق و تخريب و نبش الى آخر شهر الربيع الاول * ثم طلبني و رفيقي القاضي شرف الدين و اعاد السؤال عن عليٍّ و معاوية فقلت له لا شك ان الحق كان مع عليٍّ و ليس معاوية من الخلفاء فانه صح عن رسول الله صلى الله عليه و سلم انه قال الخلافة بعدي ثلاثون سنة و قد تمت بعليٍّ فقال تمرلنك قل عليٌّ على الحق و معاوية ظالم قلت قال صاحب الهداية يجوز تقليد القضاء من ولاة الجور فان كثيرا من الصحابة و التابعين تقلدوا القضاء من معاوية و كان الحق مع عليٍّ في نوبته فانسر لذلك و طلب الامراء الذين عيّنهم للاقامة بحلب و قال ان هذين الرجلين نزول عندكم بحلب فاحسنوا اليهما و الى الزامهما و اصحابهما و من ينضمّ اليهما و لا تمكنوا احدا من اذيتهما و رتّبوا لهما علوفة و لا تدعوهما في القلعة بل اجعلوا اقامتهما في المدرسة يعني السلطانية التي تجاه القلعة ففعلوا ما اوصاهم به الا انهم لم يُنزِلونا من القلعة و قال لنا الذي ولي الحكم منهم بحلب و كان يدعي الامير موسى بن حاجي طغاى اني اخاف عليكما و الذي فهمته من سياق كلام تمرلنك انه اذا امر بسوء فعل بسرعة و لا يحيد عنه و اذا امر بخير فالامر فيه لمن وليه * و في اول يوم من الربيع الاخر برز الى ظاهر البلد متوجها نحو دمشق و ثاني يوم ارسل يطلب علماء البلد فرحنا اليه و المسلمون في امر مريج و قطع رؤس فقلنا ما الخبر فقيل ان تمرلنك ارسل يطلب من عسكره رؤسا من المسلمين على عادته التي كان يفعلها في البلاد

التي اخذها فلما وصلنا اليه جاءنا شخص من علمائه يقال له المولى عمر فسألناه عن طلبنا فقال يريد يستفتيكم في قتل نائب دمشق الذي قتل رسوله فقلت هذه رؤس المسلمين تُقطَع و تُحضَر اليه بغير استفتاء و هو حلف ان لا يقتل منا احدا قصدا فعاد اليه و نحن ننظره و بين يديه لحم سليق في طبق ياكل منه فتكلم معه يسيرا ثم جاء الينا شخص بشيء من ذلك اللحم فلم نفرغ من اكله الا و زعجة قائمة و تمرلنك صوته عال و ساق شخص هكذا و آخر هكذا و جاءنا امير يعتذر و يقول ان سلطاننا لم يأمر باحضار رؤس المسلمين و انما امر بقطع رؤس القتلى و ان يُجعَل منها قبة اقامة لحرمته على جاري عادته ففهموا منه غير ما اراد و انه قد اطلقكم وامضوا حيث شئتم * و ركب تمرلنك من ساعته و توجه نحو دمشق فعدنا الى القلعة و رأينا المصلحة في الاقامة بها و اخذ الامير موسى احسن الله اليه في الاحسان الينا وقبول شفاعتنا و تفقّد احوالنا مدة اقامته بحلب و قلعتها و تجيئنا الاخبار ان سلطان المسلمين الملك الناصر فرج قد نزل الى دمشق و انه كسر تمرلنك و مرة تجيء بالعكس الى ان انجلت القضية عن توجه السلطان الى مصر بعد ان قاتل مع تمرلنك قتالا عظيما اشرف تمرلنك منه على الكسر و الهزيمة و انما حصل من بعض امرائه خيانة كان ذلك سبب توجهه آخذا بالحزم و دخل تمرلنك الى دمشق و نهبها و احرقها و فعل فيها فوق ما فعل بحلب و لم يدخل طرابلس بل أحضر له منها مال و لا جاوز فلسطين و عاد نحو حلب راجعا طالبا بلاده * و لما كان سابع عشر شعبان من السنة المذكورة وصل تمرلنك عائدا

من الشام الى الجَبُّول شرقي حلب و لم يدخلها بل امر المقيمين بها من جهته بتخريبها و احراق المدينة ففعلوا و طلبني الامير عزالدين و كان من اكبر امرآئه وقال ان الامير رسم باطلاقك واطلاق من معك فاطلب من شئت و كثّر لا روح معكم الى مشهد الحسين و اقيم عندكم حتى لا يبقى من عسكرنا احد و كان القاضي شرف الدين لا يفارقني فطلبنا باقي القضاة و اجتمع معنا نحو من الفي مسلم و توجهنا الى مشهد الحسين صحبة المشار اليه و اقمنا ننظر الى الدار و هي تُضرَم في ارجائها و بعد ثلاثة ايام لم يبق بها احد فنزلنا اليها فلم نر بها احدا فاستوحشنا و ما قدرنا على الاقامة بها من النَّتن و الوحشة و لم نقدر على السلوك في الطرقات من ذلك * شعر

كان لم يكن بين الحَجُون الى الصفا * انيسٌ و لم يسمُرْ بمكةَ سامر

و كانت نواب بلاد الشام معه مأسورين و انفلتوا اولا باول و مات سودون بالبطن معه في قبة يلبغا و استقر في نيابة دمشق تَنْكَري وِردي و الله اعلم * هذا ما نقلته من كلام ابن الشحنة كما وجدته *

ذكر ورود هذا الخبر النبي اقلق * ووصول استنبوغا الدوادار * وعبد القصار الى جلق *

فورد من حلب استنبوغا الدوادار * والفتح الماهر المدعو بعبد القصار * وقالا معاشر المسلمين * الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين * من يقتدر على هذا * فليطلب لنفسه طريق النجا * و من اطاق ان يُشمِّر ذيله * فلا يبيتن في دمشق ليله * و لا يغالط نفسه بالمداهنه * فليس الخبر كالمعاينه * فتفرقت الاراء * و اختلفت الاهواء * و ماج امر الناس موجا * و تفرقوا كما هو دأبهم

فوجا فوجا * فبعض الناس انتصح * و جهز امره و انتزح *
و بعضهم كاسر و آصرّ * و كشّر اندابه لاستنبوغا و عبد القصار و اهرّ *
و ارادوا رجّم هذين الناصحين * و ان يسقوهما كاس حين * و قالوا
انما اردتما بذلك تبديد الناس و تشريدهم * و اجلاءهم عن
اوطانهم و تجريدهم * و تفريق كلمتهم و تمزيق جلدتهم * و الا فالامن
حاصل * و السلطان بحمد الله واصل * و النواب في حلب كانوا
شرذمة قليله * و لم يتّم لهم معه الفكر و الحيله * مع انه حصل
من بعضهم مخامره * و لم يوجد من الباقين مناصحة و مظاهره *
و لم يكن لهم راس * فلا تأخذوا في هذه المسئلة بالقياس * و اما
عساكر مصر فانهم كاملوا العِدّه * وسابغوا العُدّه * و فيهم للمسلمين
فرج بعد الشِدّه * فقالا نحن و بعد اللتيّا و التى من شره سَلمْنا *
و ما شهدنا الا بما علمنا * وكل منا افصح عما آدى اليه اجتهاده
و ابان * و والله انه في نصيحته المسلمين النذير العرفان * و قد
نصحناكم ان كنتم مفلحين * ولكن لا تحبون الناصحين * و استمر
امر الناس في الترديد والتشاغب * و التفرّق و التبديد و التشاغب *
فبعضهم توجه نحو الاماكن القدسيه * و توجه بعض الى الديار
المصريه * و بعض تشبث باذيال الجروف العاصيه * و تحصّن
آخرون بالاماكن الغامضة القاصيه *

ذكر خروج السلطان الملك الناصر * من القاهرة بجنود الاسلام و العساكر *

ثم ان السلطان * خرج من غير توان * و توجه بالعساكر و الاستعداد
التام * الى جهة بلاد الشام * فلما بلغ الناس ذلك سكن جاشُهم *
و زال استيحاشهم * و ردّ غالب من كان برح منهم * و انفرج الكربُ

و الضيق عنهم * و اما اولوا العزم * و ذوو الرأي السديد و الحزم * فلم يلتفتوا الى قدوم السلطان * بل طلبوا لنفسهم الامان * و انتظروا ما يتولد من حادثات الزمان * و كأن انامل الدهر الدائر * كتبت لهم على مرآة الخاطر ما انشده الشاعر * شعر

الا انما الايام ابناء واحد * و هذى الليالي كلها اخوات
فلا تطلبن من عند يوم و ليلة * خلاف الذي مرت به السنوات

و قلت شعر

ان اختفى ما في الزمان الاتى * فقس على الماضي من الاوقات

فصل

و لما نجز تيمور امر حلب * ضبط اثقالها و ما اخذ منها من مال و سلب * و وضعه في القلعة * و وكل به بعض امرائه من ذوى الشجاعة و المنعة * و هو الامير موسى بن حاجي طغاي * و كان ذا عزم شديد و رأي * و توجه بذلك البحر الطام * غرّة شهر الربيع الاخر الى جهة الشام * فوصل الى حماة * و نهب ما حوت يداه * و لم يحتفل بامر نهب و اسير * و لا باسراع في مسير * بل سار رويدا * و هو يكيد كيدا وهم يكيدون كيدا *

حكاية

رأيت حين توجهت الى بلاد الروم في اوائل شهر الربيع الاول سنة تسع و ثلاثين و ثمانمائة عند وصولنا الى حماة بالجامع النوري بها من الجانب الشرقي على حائطه القِبليّ نقشا على رُخامة بالفارسي ما ترجمته * و سبب تصوير * هذا التسطير * هو ان الله تعالى يسرّلنا فتح البلاد * حتى انتهى استخلاصنا الممالك الى العراق و بغداد * فجارنا سلطان مصر ثم راسلناه و بعثنا اليه

قُصّادنا بانواع التُّحَف و الهدايا فقتل قصادنا من غير موجب لذلك و كان قصدنا بذلك ان تنعَقِد المودّةُ بين الجانبين * و تأكد الصداقة من الطرفين * ثم بعد ذلك بمدة قبض بعض التراكمة على آناس من جهتنا و ارسلهم الى سلطان مصر برقوق فسجنهم وضيق عليهم فلزم من هذا انا توجهنا لاستخلاص متعلقينا من ايدي مخالفينا و اتفق لذلك نزولنا بحماه فى العشرين من شهر الربيع الاخرسنة ثلاث و ثمانمائة *

فصل

ثم وصل الى حِمْصَ فلم يتعرض بها لتشتيت و تبديد * و وهبها لسيدي خالد بن الوليد * قلت بديها شعر

الا لا تُجاور سوى الخيّر * ين حيّا و كن جارهم فى القبور
الم تَرَ حِمْصَ و سُكّانها * نجوا من بحار بلايا تمور
لانهـــم جاوروا خالـــدا * و من جاور الاتقيا لا يبور

و خرج اليه شخص من احاد الناس * يدعى عمربن الروّاس * فاستجلب خاطره * وكأنه قدم اليه تَقْدِمة فاخره * فولاه امور البلد * و ركن اليه و اعتمد * و وليّ قضاء تلك البلاد * رئيسا يسمى شمس الدين بن الحداد * و نادى بالامان * للقاصي و الدان * و تبايعوا بها وتشاروا * وفي استفادة ربح الامن لم يتماروا * ثم ان نائب الشام ضعف معه و مات على قبة يلبغا * و نائب طرابلس هرب منه و للخلاص ابتغى * فوصل الى مدينته * و إستقرفي ولايته * فاضطرم غضبا * و استشاظ لهبا * و اشتعل قيظاً غيظه * و قتل كل من وكّله بحفظه * و اسعربهم سقر * و كانوا ستة عشر* و اما تمرداش فانه داراه و ماراه * و هرب منه

في قارا * و استمر علاء الدين الثونبغا العثماني نائب صفد * و زين الدين نائب غزّة و غيرهما معه في صفد * ثم سار و ما ارتبك * حتى نزل على بعلبك * فخرج اهلها و دخلوا عليه * و ترامو طالبين الصلح بين يديه * فلم يلتفت الى هذا المقال * و ارسل فيهم جوارح النهب و الاستيصال * ثم ارتحل مُجْرِيا ذلك البحر الزخار * و السيل التيار * و الطوفان الثرثار * حتى أشرف على دمشق من قبة سيّار * و وصلت العساكر المصرية * و الجنود الاسلاميه * و قد ملاوا الفضاء * و اشرق الكون منهم و اضاء * فيالق سهامها لحَبِّ قلب من نوي الخلاف فالقه * و صواعق سيوفها في عقاص كل عُقُص صاعقه * و اسنة رماحها لرتق سماء الارواح عن ارض الاشباح فاتقه * وقد طلبوا الاطلاب * و حزبوا الاحزاب * و عبوا الميمنة و الميسرة * و رتبوا المقدمة و المؤخرة * و سوّوا القلب و الجناح * و ملأوا البطاح و البراح * و ساروا بالمقانب المكتّبه * و الكتائب المقنّبه * و الكواكب المكوكبه * و المراكب الموكّبه * و المراتب المقربه * و المقربات المرتبه * و السلاهب المجنبه * و النجائب التي هى على اكل اللُّجُم مستلهبه * و في كل كتيبة من الأُسُود الضراغم * و من النسور القشاعم * قلت شعر

و رب ذي لجَبٍ كالطود ذي حنق * كانه البحر في اثناء غاباتُ
بحران في كل موج منهما اسد * يُلاعب الموت في كفيه حيّات
كل يرى العين معناه و صورته * عند النِّزال و ان ينزل فشظّفات
ان يَسْرتَلِق السما في الارض دائرة * او ساء تعقد ارضا منه غَبْرات
و قد تنكبوا حنايا المنايا و تقلدوا سيوف الحتوف و اعتقلوا

الذوابل الذواهل * و ثبتوا حيث نبتوا و كانهم خُلقوا من كواهل
الصواهل * قلت شعر

كان الجوّ ثوب لازوردي * يُزركش نسجه قصب الرماح
فان عقد القتام عليه ليلا * ارتك صفاحه لمع الصباح
كانّ نجومه النُشّاب ترمي * شياطين الكفاح لدي النِطاح

و لازالت افواج هذه الامواج * على هذا المنهاج متلاطمه * و اثباج
هذا البحر العجاج تحت العَجاج متصادمه * و كل يذادى بطريق
المفهوم * و ما منا الا له مقام معلوم * فوصلت غيلان الوغى *
الى قبة يلبغا * يوم الاحد العاشر * من شهر الربيع الاخر *
عام ثلاثة و ثمانمائة من الهجرة * فنزل كل من العساكر يمنة و
يسرة * و استقرت العساكر و الامراء الاسلاميه - في البيوت و المساكن *
و نزلت الجنود التتاريه - غربي دمشق من داريا و الخولة و
ما يلي تلك الاماكن * و دخل بعض اثقال السلطان الى
البلد * و تحصّنت القلعة و المدينة بالسلاح و العَدد * ثم اخذ كل
من الجيشين حذْره * و نجّز للمقابلة و المقاتلة امره * و حفروا
الخنادق * و سَدّ كل على الاخر افواه المضائق * و شرعوا في
المهاوشة و المناوشه * و المهارشة و المعانشه * ثم امر السلطان
العساكر * بالبروز من المدينة الى الظاهر * و جعل يخرج من
المدينة رؤساء اعيانها * و تنحاز في المقاتلة الى سلطانها * و
الاطفال الصغار و الرجال * يجارون الى الجبال * و ينادون بحرْقه *
كل ليلة في الازقّه * يا الله يا رحمٰن * انصر مولانا السلطان * و
الناس في اضطراب و حركات * يستنزلون النصر و البركات * و
يستغيثون الليل و النهار * يا مجاهدون الاسوار * و استشهد من

رؤساء البلد في تلك الايام * قاضي القضاة برهان الدين الشاذلي المالكي الحاكم بالشام * و شُلّت يد قاضي القضاة شرف الدين عيسى المالكي بضربة حُسام * و جعلوا يأتون بمن يظفرون به من العدو فيقتلونه * و بما غنموا منهم من ناطق و صامت فيشهرونه *

ذكر واقعة وقعت * و معركة صدمت * لو انها نفعت *

ثم في بعض الايام * تقدم من اولئك الاغتام * نحو من عشرة آلاف * و زحفوا الى ميدان المصاف * فنهض لهم من العساكر الشامية * نحو من خمس مائة * ثم اتبعهم الامير استنبغاي في نحو من ثلاث مائة * شعر

اسود اذا لاقوا ظباء اذا عطوا * جبال اذا ارسوا بحار اذا سروا
شموس اذا لاحوا بدور اذا انجلوا * رياح اذا هَبّوا غمام اذا هموا
صقور اذا انقضّوا نمور اذا سموا * رعود اذا صاحوا صواعق ان رموا

مع كل منهم خطار تسجد قدود الملاح لخطراته * و بتار يتعلم سَفْك الدماء من لحظاته * و حنية تضاهي حاجبه * و سهام في تشبهها باجفانه صائبه * و ترس ليّن اللمس * اذا تغطّى به رأيت البدر على شمس * و عليه خوذة * كأنها من لمعان وجنته مأخوذة * او من بوارق طلعته مفلوذة * اذا نظر الطرف اليها يأخذه الانبهار * يكاد سنا برقها يذهب بالابصار * و لبوس اشبه لابسه * و صار ملابسه * ظاهره حرير ناعم كبشرته * و باطنه حديد كقلبه في قسوته * و قد امتطوا الفحول * من نجائب الخيول * فكأن بدور تلك الجموع * مع الرماح الملتهبة الاسنة

عروس تُجْلى تحت الشموع * و توجهوا الى حَوْمة الوغى * و تلاقوا في وادٍ خَلْف قبة يلبغا *

فصل

و لما رأت هذه الأُسُود تلك الذئاب والكلاب * كانوا كالمؤمنين و قد رأوا الاحزاب * فبان منهم صحيح الضرب و عليله * و قالوا هذا ماوعدنا الله و رسوله * فاحاط اولئك بهؤلاء لكثرة الغلبه * و اداروا لَقْرضهم على هذه البحور الدائرة المجتلبه * و حين صاروا في خَبْن هذه الدائرة كالعروض * اشتغلوا بالضرب و تقطيع الدائرة بالحرب العضوض * فاولا ما اضمروا لهم في ذلك الزحف * قطف الرأس و خبل العقل و قطع الكف * فصلموا بالرمح الطويل عقلهم * و ثلموا بالرشق المديد شكلهم * و بتروا بالعضب البسيط وافرهم * و شتروا بالسهم السريع كاملهم * فحذَّوهم و قصموهم * و خزموهم و شعثوهم و ثرموهم * و هتموهم و وقصوهم و عصبوهم * و عقصوهم و خزلوهم و نقصوهم * فردوا صدورهم على الاعجاز * و سدوا على حقيقة الخلاص منهم المجاز * فانكشفوا عنهم و هم مابين مشطور و مقطوع و محذوف * و مجزو و منهوك و موقوف * و رجع استنبای المشار اليه و قد اقتضب بحربه المتدارك حسيفهم * و اجتث بضربه المتقارب المتماسك ثقيلهم و خفيفهم * و تسبيغ سوابغهم بالنصر مرفل * و بالتمكين التام مذيل * و بيت دائرتهم المتفقة آمن من الخلل * و عروضه و ضربه سالم من الزحاف و العلل *

ذكر ما إفتعله سلطان حسين * ابن اخت تيمور من المكر و المين *

ثم ان سلطان حسين وهو ابن اخت تيمور * اظهر انه خالف

على خاله وجاء الى السلطان وفي باطنه امور * وكان شابا ذا شجاعه * وعنده طيش ورقاعه * واظهروا بقدومه الفرح * واستشعروا النصر والمرح * وكان في رأسه جُمّة شَعَرٍ فازالوه * وخلعوا عليه [illegible] *

فصل

ثم ان تيمور اشاع انه خار وتتعتع * فرحل قليلا ورجع القهقرى وتكعكع * كل ذلك من مكائده * وحبائل مصائده * وبيان ذلك انه بلغه ان الخلاف واقع بين العساكر المصرية وانهم سيفرّون * فيفوتونه اذ ذاك فاظهر الخون * وشيّع انه راحل ليثبتهم * وعن الفرار يثبطهم * فلما عزموا على الفرار * لم يبن لهم ثبات ولا قرار *

ذكر ما نجم من النفاق * بين العساكر الاسلامية وعدم الاتفاق *

وكان اتابك العساكر * وكافل الملك الناصر * الامير الكبير باش بيك وتحت يده الاكابر والاصاغر * والجند وان كان مدده كثيرا * والجيش وان ترا آى عدده غزيرا * لكن كان كل منهم اميرا * ولم يكن شيء منهم سوي الرأس صغيرا * فتشتت آراؤهم * وتصارمت اهواؤهم * وانتقلت اشعار شعارهم من الدائرة المؤتلفه * الى الدائرة المختلفه * ونقل كل منهم عن وزن بيته الى اعاريض * واخذ في عرض صاحبه بالتقاريض * وظهرت تلك الساعة آيات الرحمن * في اختلاف الالسنة والالوان * وصاروا في رعاية الرعية كالذئب والضبع * وسلطوا على مرعى هزيلها النمر الغضوب والسبع * ولَحِق في سند هذا الحديث الاصاغر

بالاكابر * و الاسافل بالاعالي و الاوائل بالاواخر * و صاروا كما قال الشاعر * شعر

تفرّقت غنمي يوما فقلت لها * يا رب سلّط عليها الذئب و الضّبُعا

و توجه منهم روُس الى القاهرة * تاركا كل منهم قوته و ناصره * و صدقوا تيمور في نفيه عنهم معرفة السياسه * و الدّربة في سلوك طرائق الرياسة *

فصل

و لما علِم الغابرون * ما فعله السائرون * لم يسعهم غير تشمير الذيل * و اتباعهم تحت جِنْحِ الليل * ومَنْ تخلف عن قوم * او اخذته سنة او نوم * وقع فى الشّرك * و هوى الى اسفل الدرك * وكان الناس في الليل و النهار * ملازمين الاقامة على الاسوار * و كل قد فَرِح و ابتهج * و تيقن انه حصل له من سلطانه فرج * ففي بعض الليالى * صَعِد الناس الى مكان عالى * و اذا باماكن مخيم السلطان * قد مُلِئت من النّيران * و لم يعرِف احد ما الخبر * غير ان الدنيا ملئت بالشر و الشرر * و اصبحوا وقد خَلَت الديار * ولم يبق في قبة يلبغا نافخ نار * فخَشَعت اصواتهم * و سكنت حركاتهم * فجعلوا يتهافتون * و فيما بينهم يتخافتون * و ماج الشر و اضطرب * و قال الناس السلطان هرب * فانقصم ظَهر الناس * و ايقنوا حلول الباس * و تفاقمت الهموم * و تعاظمت الغموم * و تقطّعت بهم الاسباب * و شَمَل الخلائقَ انواعُ العذاب * و ضاقت الحِيَل كالصدور * و تخبطت الاوامر و الامور *

فصل

ثم ان تيمور حمد ربه * و رحل من مكانه و نزل القبه * و القى عصاه * و نام مستريحا على قفاه * و نادى بمعنى ما قلت * شعر

الحمد لله نلنا ما نؤمّله * و الضد ادبر و المأمول قد حصلا

و حفر الخنادق حوله * و بث في الاطراف رَجْله و خيله * وارسل الطلب * وراء من هرب * و صار كلما أتي باحد من اجناد الرجال * امر بالقائه بين يدي تلك الافيال * فتفعل معه الافيال تلك الفلا * ما تفعله المواشي يوم القيامة في مانع الزكوة *

فصل

و اما السلطان فانه لم يُصِبْه من احد ضَيْم * لانه نشز نشوز الغَيْم * و انسابَ انسياب الايم * و توجه علي وادي التيم * فانتشرت شياطين تيمور في الارض * و ملات الطول و العرض * و وصلت طُرَّاشتهم الى اطراف البلاد و ضواحيها * و عامة القرى و نواحيها * وجعلوا من كل حَدَبٍ ينسلون في مشارق الارض و مغاربها التي بارك الله فيها * و تقدموا الى المدينة * وكانت كما ذكر بالاُهْبة حصينة * و بانواع الاستعداد مكينة * مَسْدُولَةَ الحجاب * مغلقة الابواب * فتمنع اهلها عليهم * و لم يسلموها اليهم * رجاء ان يشموا من النجدة الارج * او يمن الله عليهم بعد الشدة بالفرج * فاستمروا علي ذلك نحوا من يومين * ثم استيقظوا من رجائهم الخيبة و من ظنهم المَيْن * فكان قدوم السلطان و ذهابه بالعساكر *

كما قال الشاعر *

كما ابرقت قوما عِطاشا غَمامةٌ * فلما رأوها اقشعت و تجلّت

ذكر خروج الاعيان * بعد ذهاب السلطان * و طلبهم من تيمور الامان *

و لما خانَتْهم الظُنُون * و علموا انه حل بهم ريب المنون *

اجتمع من المدينة الكبراء * و الموجود من الاعيان و الرؤساء * و هم قاضي القضاة محيي الدين محمود بن العز الحنفي و ولده قاضي القضاة شهاب الدين و قاضي القضاة تقي الدين ابراهيم بن مُفْلِح الحنبلي و قاضي القضاة شمس الدين محمد الحنبلي النابُلُسي و القاضي ناصرالدين محمد بن الطيب كاتب السرّ و القاضي شهاب الدين احمد بن الشهيد الوزير وكان منصب الوزارة اذ ذاك له اُبَّهة ما في الجملة و القاضي شهاب الدين الجَبَّاتي الشافعي و القاضي شهاب الدين ابراهيم بن القُوشة الحنفي نائب الحكم رحمهم الله فاما القاضي الشافعي و هو علاء الدين ابن ابي البقاء فانه هرب مع السلطان و قاضي القضاة المالكي و هو برهان الدين الشاذلي فانه استشهد كما ذكر فخرج هؤلاء الاعيان * و طلبوا منه الامان * بعد ما وقع المشاورة منهم و الاتفاق * و نُظِمت كلمتهم في سلك الوفاق *

فصل

و لما اقلع السلطان بفُلْك عساكره المشحون * وقع في بحر العساكر التيمورية قاضي القضاة ولي الدين بن خلدون * و كان من اعلام الاعيان * و ممن قدم مع السلطان * فلما قُتل السلطان و انفرك * كأنه كان غافلا فوقع في الشرك * و كان نازلا في المدرسة العادلية * فتوجه هؤلاء الاعيان اليه في تدبير هذه القضية * فوافق فكره فكرهم * فملّكوه في ذلك امرهم * و ما وَسِعهم * الا استصحابه معهم * و كان مالكي المذهب و المنظر * اصمعي الرواية والمخبر * فتوجه منهم بعمامة خفيفه * و هيئة طريفه * و بُرْنُس كهو رقيق الحاشيه * يُشبِه من دامس الليل الناشيه * فقدّموه بين يديهم * و رضوا

باقواله و افعاله لهم و عليهم * وحين دخلوا عليه * وقفوا بين يديه * و استمروا واقفين * وَجِلِينَ خائفين * حتى سَمَحَ بجلوسهم * و تسكين نفوسهم * ثم هشَّ اليهم * و مرّ ضاحكا عليهم * و جعل يُراقب احوالهم * و يسبُر بمسبار عقله اقوالهم و افعالهم * و لما رأى شكل ابن خلدون لشكلهم مباينا * قال هذا الرجل ليس من هاهنا * فانفتح للمقال مجال * فبسط لسانه و سنذكر ما قال * ثم طَوَوا بساط الكلام * و نشروا سماط الطعام * فكوّموا تلالا من اللحم السليق * و وضعوا امام كل ما به يليق * و بعض تعفّف عن ذلك تنزها * و بعض تشاغل عن الاكل بالحديث وَلَها * و بعض مدّ يده و اكل * و ما جَبُن في مصاف الالتهام و لا نكل * و الى الاكل ارشدهم * و ناداهم و انشدهم * شعر

كُلوا اكلَ من ان عاش اخبرَ اهلَه * و ان ماتَ يلقَ اللّهَ و هو بطينُ

و كان من جملة الأكلين * قاضي القضاة ولي الدين * و كل ذلك و تيمور يرمُقهم * و عينه الخزراء تسرقهم * و كان ابن خلدون ايضا يصوِّبُ نحو تيمورَ الحَدَق * فاذا نظر اليه اَطرق * و اذا ولّى عنه رمق * ثم نادى وقال * بصوت عال * يا مولانا الامير * الحمد لله العلي الكبير * لقد شرفتُ بحضوري ملوكَ الانام * و احييت بتواريخي ما ماتت لهم من الايام * و رأيت من ملوك العرب فلانا و فلانا * و حضَرت كذا و كذا سلطانا * و شهدت مشارق الارض و مغاربها * و خالطت في كل بقعة اميرها و نائبها * و لكن لله المنة اذ امتد بي زماني * و من الله عليَّ بان احياني * حتى رأيت من هو الملك على الحقيقه * و المسلك شريعة السلطنة على الطريقة * فان كان طعام الملوك يؤكل لدفع التلَف * فطعام مولانا

الامير يؤكل لذلك و لنيل الفخر و الشرف * فاهتز تيمور عجبا * و كاد يرقص طرَبا * و اقبل بوجه الخطاب اليه * و عوّل في ذلك دون الكل عليه * و سأله عن ملوك العرب و اخبارها * و ايام دولتها و آثارها * فقصّ عليه من ذلك ماخدع عقله و غلبه * و جاسب لبّه و سلبه * و كان تيمور في سير الملوك و الامم أمّة * و بالتاريخ شرقا و غربا و أُمّه * و سنذكر لهذه المعان * بديع بيان *

فصل

و بينما هم يوما قاعدون في حضرة ذلك البصير * اذا بالقاضي صدرالدين المناوي في ايديهم اسير * و كان قد تبِعَ السلطان فى الهرب * فادركه في ميسلون الطلَب * فقبضوا عليه * و احضروه بين يديه * و اذا هو بعمامة كالبرج * و أردان كالخُرج * فتخطّى الرقاب * و جلس من غير اذن فوقَ الاصحاب * فاستشاطَ تيمور غضبا * و ملاء المجلسَ لهبا * و انتفخ سَحَرَه * و سَجر غيظا نهره * و شخر و نخَر * و صخر بحرُ حنقه و زخر * و امر طائفة من المعتدين* بالتنكيل بالقاضي صدرالدين * فسحبوه سحبَ الكلاب * و مزقوا ما عليه من ثياب * و اوسعوه سبّا و شتما * و اشبعوه ركلا و لكما * ثم امرهم بتشديد اسْره * و تجديد كسره * و ترادف الاساءة اليه * و تضاعف الكسرات على رغم التصريفيين عليه * فاُخرج اخراجَ الظالم* يوم يولى مدبراً ما له من دون الله من عاصم * ثم تراجع تيمور الى ما كان فيه * من ترتيب غوائله و دواهيه * فالبس كلاً من هؤلاء الاعيان خِلعَة * و اقامه عنده في عزة و رفعه * ثم ردهم منشرحي الصدور * في دَعَة و سرور * و في خاطره شرور * و امور تمور* فساروا و قد حاروا * قلت شعر

كالهدي زينّه المُهدي و عظّمه * و عن قريب لضيف الموت اطعمه
و شرط لهم و لذريهم الامان * على ان يدفعوا اليه اموال
السلطان * و ماله و للامراء من اثقال * و تعلقات و اموال *
و دواب و مواش * و مماليك و حواش * ففعلوا ما به امر * و
رفعوا اليه ما بطن من ذلك و ما ظهر * فاما القلعة فانها استعدت
للحصار * و كان نائبها يدعى ازدار * فحصنها * و بالاُهّبة الكاملة
مكنها * و انتظر من السلطان نجدة * او مانعا ربّانيّا يُفرّج عنه
الشدة * فلم يلتفت تيمور في اول الامر اليها * و لا احتفل بها و لا
عرج عليها * بل صرف همّه الى تحصيل الاموال * و توسيق
الاحمال بالاثقال * فلما احصل النقل * و الى خزائنه انتقل *
طرح على المدينة اموال الامان * و استعان على استخلاصها بهؤلاء
الاعيان * و اقام عليهم دواوينه و كتبته * و اهل الضبط و الخرص من
مباشريه و حسبته * و فوض ذلك الى كفاية الله داد * احد
اركان دولته و من عليه الاعتماد * و هو اخو سيف الدين المارّ ذكره
في اول الكتاب لامّه * و اقام معهم كلّ جبّار عنيد و من نشأ في
حجر الفظاظة و رضع ثدي ظلمه * و نادى بالامان و الاطمئنان *
و ان لا يبغي انسان على انسان * فمدّ بعض الجغتاي يده الى
غارة * بعد ما سمعوا هذا النداء و اشتهاره * فبلغ ذلك تيمور *
فامر بصلبهم في مكان مشهور * فصلبوهم في الحريريّين * براس
سوق البُزُوريّين * ففرح الناس بهذه الفعلة * و امّلوا خيره و عدله *
و فتحوا من ابواب المدينة الباب الصغير * وشرعوا يحررون امر
المدينة على النقير و القطمير * فوزعوا هذه الاموال على الحارات *
و تنادى اهل الظلم و العدوان من القريب و الغريب يا للثارات *

و جعلوا دار الذهب مكان المستخلص * و طفقوا يلقون الناس في ذلك المقنص * و تسلط بعض الناس على البعض * و اصطاد ارانبَ الارضِ بكلاب الارض * و كان فصل الخريف كجيش مصر قد قفل * و فصل الشتاء بزمهريره كجند تيمور بنيرانه على العالم قد نزل * فانتقل الى القصر الابلق * ثم الى بيت الامير بخاص و امر بالقصران يهدم و يحرق * و دخل الى المدينة من الباب الصغير * في جمع كثير * و صلى الجمعة في جامع بني اميه * و قدم الحنفية على الشافعيه * و خطب به قاضي القضاة محي الدين محمود بن العز الحنفي المذكور * و جرى ما يطول شرحه من امور و شرور * و وقع بين عبد الجبار بن النعمان الخوارزمي المعتزلي * و بين علماء الشام لا سيما قاضي القضاة تقي الدين ابراهيم بن مفلح الحنبلي * مناظرات و مناقشات * و مباحثات و مراجعات * و هو في ذلك كترجمانه * يخاطبهم في جميع ذلك بلسانه * فمنها وقائع علي و معاويه * و ما مضى بينهم في تلك القرون الخاليه * و منها امور يزيد وما يزيد * و قتله الحسين السعيد الشهيد * و ان ذلك ظلم و فسق بلا نكُر * و من استحله فهو واقع في الكفر * و لا شك ان ذلك الفعل الحرام * كان بمظاهرة اهل الشام * فان كانوا مستحليه فهم كفار * و ان كانوا غير مستحليه فهم عصاة و بغاة و اشرار * و ان الحاضرين * على مذهب الغابرين * فحصل منهم في ذلك انواع الاجوبه * فمنها ما رده و منها ما اعجبه * الى ان اجاب كاتب السر و اجاد * و اصاب فيما قال لو افاد * اطال الله الكبير * بقاء مولانا للامير * اما انا فنسبي متصل بعمرو عثمان * و ان جدي الاعلى كان من

اعيان ذلك الزمان * وحضر تلك الوقائع * وخاض هاتيك المعامع * وكان من رجال الحق * وابطال الصدق * ومما تواتر من فعله * ووضعه الشيء في محله * انه توصل الى رأس سيدنا الحسين * ونزهه عما حصل له من ابتذال وشَين * ثم نظّفه وغسّله * وعظّمه وقبّله وطيّبه وبجّله * وواراه في تُربه * وعدّ ذلك عند الله تعالى من افضل قُربه * فلذلك ايها الغمام الصيّب* كنوه بابى الطيّب * وعلى كل تقدير * ايها الامير * فتلك امة قد خلت * وغمومٌ غيومُها انجَلَت * وبما جَرَعت انقضت * وبما اذاقت مرّت او حَلَت * وفتَنٌ اراحنا الله اذ ازاحنا عنها * ودماء طهّر الله سيوفنا منها * واما الساعة * فاعتقادنا اعتقاد اهل السنة والجماعة * فلما سمع هذا الكلام قال بالله العجب * وما سميتم باولاد ابي الطيب الا لهذا السبب * قال نعم ويشهد لي بذلك القاصي والداني * وانا محمد بن عمر بن ابى القاسم بن عبد المنعم بن ابي الطيب العمري العثماني * فقال لك المعذرة يا طيب الاسلاف * لولا اني ظاهر العذر لحملتك على عاتقي والاكتاف * ولكن سترى ما افعله معك ومع اصحابك من التكريم والالطاف * ثم انه ودّعهم * وبالتعظيم والاحترام شيّعهم * ومنها انه سألهم كناية * سوال اضرار ونكاية * فقال ما اعلى الرتب * درجةُ العلم او درجةُ النسب * فادركوا قصده وفهموا * لكن عن رد الجواب وَجَموا * وعلم كل منهم انه قد ابتلي* فابتدر بالجواب القاضي شمس الدين النابلسي الحنبلي* وقال درجة العلم اعلى من درجة النسب * ومرتبتها عند الخالق والمخلوق اسنى الرتب * والهجين الفاضل * يقدم على الهجان

الجاهل * و المُقرِفُ المُنيف * اولى للامامة من السيد الشريف * و الدليل في هذا جلي * و هو اجماع الصحابة على تقديم ابي بكر على علي * و قد اجمعوا على ان ابابكر اعلمهم * و اثبتهم قدما في الاسلام و اقدمهم * و اثبات هذه الدلاله * من قول صاحب الرساله * لا تجتمع أمتي على ضلاله * ثم اخذ في نزع ثيابه * مصيخا لتيمور و ما يصدر من جوابه * ففكك ازراره * و قال لنفسه انما انت عاره * و كاس الموت لابد من شربها * فسواء ما بين بعدها و قربها * و الموتُ على الشهاده * من افضل العباده * و احسنُ اقوالِ من اعتقد انه الى الله صائر * كلمةُ حق عند سلطان جائر * فسألِ ما يفعل * هذا المهمل * فقال يا مولانا الجليل * إن فرقَ عساكرك كامم بني اسرائيل * و فيهم من ابتدعوا بدعا * و تقطعوا في مذهبهم قطعا * و فرقوا دينهم و كانوا شيعا * و لاشك ان مجالس حضرتك تُنقل * و عقائلَ مباحثها تحلُّ الصدور فتُعقَل * و اذا ثبت هذا الكلام عني * و وعاه احدُ غيرُ سُنّي * خصوصا مَنِ ادّعى موالاةَ علي * و يسمى في رفضه ابابكر بالرافضي * و تحقق مني يقيني * و انه لا ناصر لي يقيني * فانه يقتلني جهارا * و يُريق دمي نهارا * و اذا كان كذلك فانا استعد لهذه السعاده * اختِمَ احكامَ القضاء بالشهاده * فقال لله هذا ما افصحهُ * و اجرأه في الكلام و اوقحهُ *

ثم نظر الى القوم * و قال لا يدخُلنَّ هذا محلي بعد اليوم *

فصل

و هذا الرجل اعني عبدَ الجبار كان عالمَ تيمورَ و إمامه * و ممن يخوض في دماء المسلمين امامه * و كان عالما فاضلا * فقيها كاملا * بحاثا محققا * أصوليا جدليا مُدقِقا * و ابوه النعمان *

في سمرقند كان * و هو في الفروع من اعلم اهل الزمان * حتى كان
يقال له النعمان الثان * و كان من القائلين بعدم الروية في الآخرى *
فاعمى الله تعالى بصره كبصيرته في الدنيا * و اكثر علماء عصره
بما وراء النهر قرأ عليه الفروع * و نقل عنه مسائل المشروع * و لا
خلاف في الفروع بين اهل السنة و اهل الاعتزال * و انما اختلافهم
في اصول الدين في مسائل معدودة سلكوا فيها سبيل الضلال *

فصل

و تصدى لاستخلاص الاموال من اهل الشام * كل غشوم ظلام و كفور
صدام * و كان في قلة وفاقه * كصدقة بن الحاربي و ابن
المحدث و عبد الملك بن التكريتي المنبوز بسماقة * و غيرهم
من نظرائهم * من عواقب الظلم و ابنائهم * مع حضور اكابر
المدينة و اعيانها * المار ذكرهم و روساء قطانها * فانه لم يمكنهم
في ذلك ان يتخلفوا * و لا يتقاعسوا لحظة و لايتوقفو * و حضور
دواوينه و حسابه * و ضابطي امور خزائنه و كتابه * و منهم
خواجه مسعود السمناني * و مولانا عمر و تاج الدين السلماني *
كل ذلك في دار الذهب و هو مكان مشهور * و نزل الله داد
داخل الباب الصغير في دار ابن مشكور * و جعل كل من في
قلبه من احد ضغينه * او سخيمة دفينه * او غل او حسد * او حقد
او نكد * يغمز على اخوته اولئك الظلمة الفظاظ * و الزبانية
الشداد الغلاظ * شعر

لا يسألون اخاهم حين يندبهم * في النائبات على ما قال برهانا

بل بادني اشارة * و اقل عبارة * يبنون على ارض وجود ذلك
المسكين من جبال النكال قصورا شواهق * و ينشئون على حدائق

ذاته من سماء العذاب سحابَ عِقابٍ ترعُد عليه صواعق * و تبرُق
له من الدمار و البوار بوارق *

فصل

ثم انه صار في هذه المدة * يحاصر القلعة و يُعدّ لها ما استطاع من
عُدَدَه * و امر ان يبني مقابلتها بناء يعلوها * ليصعدوا عليه
فيهدُّوها * فجمعوا الاخشاب و الاحطاب و عبُّوها * و صبُّوا فوقها
الاحجار و التراب و دكُّوها * و ذلك من جهة الشام و الغرْب *
ثم علوا عليه و ناوشوها الطعن و الضرب * و فوض امر الحصار * لامير
من امرائه الكبار * يدعى جهان شاه * فتكفَّل بذلك و عاناه *
و نصب عليها المجانيق * و نقب تحتها و علقها بالقعاليق * و كان
فيها من المقاتِلة * فئة غير عاطلة * اَمْثَلُهم شهاب الدين الزرْدكاشُ
الدمشقي * و شهاب الدين احمد الزردكاشُ الحلبي * فابليا
في عسكره بلاءا حسنا * و كان على جيشه كلما فاء الى فنائهم وباء
مصيبةً و فنا * فاهلكا من جيشه بالاحراق * و ارعاد المدافع
و الابراق * ما فات العدَّ * و تبدَّدَ عن دائرة الحدّ * و لكنه لما
احاط بها من تحار تخريبه سيل عرم سائلها * و امطر عليها من
سهام غمام رماته و صواعق بوارق كُماتِهِ صَيِّبُ وابلها * اتا ها
العذاب من فوقها و من تحتها و عن ايمانها و عن شمائلها * و كلّت
عن المجاذبة و المنابذة ايدي مقاتلها * فطلبوا الامان * و نزلوا
اليه من غير توّان * و كل هذا الامر المهول و القضاء العجب *
في اواخر شهر الربيع الاخر و جماديين و شهر رجب * و لكن ما نال
من القلعة روما * الا بعدَ محاصرتها ثلاثةً و اربعين يوما * و صار في
هذه المدة يتطلب الافاضل * و اصحابَ الحِرَفِ و الصنائع و اربابَ

الفضائل * و نسج الحريريّون له قباءً بالحرير و الذهب * ليس له
درزٌ فاذا هو شيئٌ عجب * و بنى في مقابر الباب الصغير
قُبّتين متلاصقتين على تربة زوجات النبي صلى الله عليه و سلم *
و امر بجمع العبيد الزنج و اعتنى بجمعهم اكثر من غيرهم و قدّم *

ذكر ما صنعه بعض الاكياس من الناس * خوفا من ان يحل به الباس * و وقى وقيا بدفائسه النفوس و الانفاس *

و كان في صفد * تاجر من اهل البلد * احدُ الروُساء و التّجار *
يدعى علاء الدين و ينسبُ الى دوادار * كان تقدَّمَتْ له خدمة
على السلطان * فولاه حجابةَ ذلك المكان * فلما توجّهَ الذوابُ الى
حلب * و العادةَ ان ينوبَ عن نائب البلدة في غيبته مَن
حجب * نابَ عن نائبها التونبغا العثماني * حاجبُها علاء الدين
الدواداري * فغرق في اسر ذلك الطوفان * كل النّواب من
جملتهم العثماني و ابن الطحان * و مات منهم من مات و فرّ من
فرّ * و استمرّ في قيد الاسر التونبغا و عمر * فلما قدم تيمور الشام *
و حلّ بها منه ما يحلُّ من قضاة السوُ باموال الايتام * شرع
كلّ متولٍّ في بلاد * يفعل ما ادّى اليه الاجتهاد * فبعض حصّن
اماكنه * و بعض مكّن كمائنه * و طائفة استنجزت للنفار * و فرقة
استوفزت للفرار * و قوم سالموا و ساكنوا * و هادوا و هادنوا * ففكر
علاء الدين المذكور و قدّر * و تامل في خلاص صاحبيه و بلده تبصّر *
و كان من انبأ الناس * و عنده ذوق الاكياس * و استشار مصيب
عقله في ذلك و استنطقه * فقال دارِه بما معك من مال و اتّرك
سرب الفرار و نفقه * و ما كذّبه اذ قال له كلٌّ مداراة عن العرض

سترُله و صدقه * و كان ذا مال ممدود * فقال ما ادّخرتُ الدنانير الصفر و الدراهم البيض الا للايام السود * فطلب من تيمور الرياضه * و اراد ان يجسّ اولا بمجاملاته مخاضه * فعالج هذا الامر علاج النطس المريض * و بادر بالمهادنة و جال الجريضُ دون القريض * و ارسل الى تيمور اجناسا من ماله الطويل العريض * و استمال خاطره * و استدعى اوامره * ثم اردفها باضعافها * و اضعف خواصرها باردافها * فشكر تيمور له صُنعه * و زاده ذلك عنده منزلة و رفعه * و ارسل اليه مرسومَ امان * و ان يعاملَ هو و اهلُ بلده بالمجاملة و الاحسان * فليؤمَّنْ من روعهم * و ليسكنْ جنسهم و نوعهم * و لتؤنَسْ وحشتهم * و لتذهب دهشتهم * بحيث انهم يتبايعون و يتشاورون * و الى معاملتهم من عساكره يتجارون * و ان استطال احد من اجناده * و لو انه من اخوته و اولاده * فليقابلْهُ بالمنع و الانكار * و الضرب و الاشتهار * و صار يطلُبُ منه ما اراده * فيرسله اليه بزياده * و كلما زاد فيما يقترحه عليه من نقد و جنس طلبا * زاد علاء الدين لذلك نشاطا و طربا * و من جملة ما اقترح عليه في ذلك المقبض * حِمْلُ بَصَل ابيض * بناءً على ان ذلك لا يوجد * في الشام باَسرها فضلا عن صَفَد * ففى الحال وجد من ذلك ثلاثة احمال فارسلها اليه كما هي * و كان ذلك من الفضل الالهي * حتى احبهّ * و تمنى قُربَه * وقال فيه معنى ما قلت * شعر

داَريتَ وقتك و احتَميـــتَ ببذل مالك يا بَشَر

لو كان مثلـــك آخَـــر * فى الشام ما سيمَتْ بشَر

و توجَّهَ طوائفُ من العسكر اليهم * و اشتروا منهم و باعوا عليهم *

و استمرت عقود المصادقة لم تُحَلّ * الى ان قوّضَ خيامه عن دمشق
و رحل * فلما اقشع عن الشام ضباب ضيره * و امتد في ميدان
الرحيل حبل سيره * اعقب علاء الدين الدواداري * قاصدا
الى ذلك الاسد الضاري * و معه تحف سنيه * و نُتَف ملوكيه *
و مطالعة فحاويها رائقه * و معاليها فائقه * و الفاظها بالخضوع
و الخشوع ناطقه * فيها من الترقيقات ما تقشعر منه الجلود *
و يلين له الحديد و الصخر الجُلْمود * و يجري في طبائع الابدان
اليابسة جرى الماء فى العود * و طلب في اثنائها مرحمة في
امر العثمانى و ابن الطحان * و جزّ ناصية عبوديتهما
بمقراض الاعتاق و الامتنان * و ان يجعل العفو عنهما شكر
القدره * و يفيض عليهما من بحار مراحمه قطره * و انهما
اقلّ من ان يُنسبا الى اسره * اذ ملوكُ الارض تَوَدُّ لو كانت
اطفالا تحت حِجره * و رأيه الشريف اعلى * و امتثال ما يبديه
من المراسيم اولى * فلما اطلع تيمور على فحواه * و فهم ما
ابداه و ما انهاه * و شاهد تُحَفَه و هداياه * و تفكّر في اول امره
ما الحَمَه معه من الخدم و ما اسداه * و الخير له تأثير ـ
و البادي اكرم * و الشر كله تقصير ـ و البادي اظلم * قلت شعر
ترقّبْ جزا الحسنى اذا كنت محسنا * و لا تخشَ من سوءٍ اذا انت لا تُسي
و قيل * شعر
من يفعلِ الخير لا يُعدَم جوائزه * لا يذهَبُ العُرفُ بين الله والناس
لان قلبه و ان كان حديدا * و هان صعبُه الذي لم يزل شديدا *
فدعاهما * و اكرم مثواهما * و احسن اليهما * و ذكر لهما شفاعة
علاءِ الدين فيهما * ثم امنّهما الباس * و اعطاهما ثلاثة افراس

للعثماني اثنان * و واحدة لعمر بن الطحان * ثم اضاف اليهما من * بلّغهما المأمن * فوصل كل منهما الى دار عزته * و حل ذاك في صفده و هذا في عزته *

فصل

و لما تنجّز لتيمورَ اخذُ القلعة * جهّز امرهٔ و رام الرجعة * و قد استخرج منها ما اراد من نفائس و اموال * بانواع العقاب و اصناف العذاب و النّكال *

ذكر معني كتاب ارسل اليه * على يد بيسق بعد مافروا من بين يديه

و قيل إن السلطان لما هرب * ارسل اليه كتابا اثار منه الغضب * فمن معناه * وفحوي ما عناه * لاتحسب انّا جزعنا منك * و فررنا عنك * و انما بعض مماليكنا قوّى انفاسه * و اخرج عن ربقة الطاعة راسه * وتصوّر ان كلّ من خرج عرج * و لم يعتبر بمن رام للارتقاء سلما فدرج * واراد بذلك مثلك إلقاء الفساد * و هلاك العباد و البلاد * و هيهات فان دون مرامه خرط القَتاد * و الكريم اذا بدا بجسمه مرضان داوى الاخطر * و رايناك انت اهون الخطبين و احقر * فثنى عزمُنا الشريفُ عنانَه * ليعركَ من ذلك القليل الادب آذانَه * و يقيم في نظم طاعته ميزانه * و ايمُ الله لَنَكُرّنّ عليك كرّة الاسد الغضبان * و لنوردنّ منك و من عسكرك نواهل القنا موارد الاضغان * ولنحصدنكم حصد الهشيم * و لندوسنكم دوس الحطيم * فلَتَلفِظَنَّكُمْ رحى الحرب في كل طريق * لما تعانُونَ من غليظ الطعن و جليل الضرب لفط الدقيق * و لَنُضَيّقَنّ عليكم سُبلَ الخلاص * فلتُنادُنّ ولاتَ حينَ مَناص * و نحوَ هذه

الترّهات * و مثلَ هذه الخُرافات * التي هي كالملح على الجروح * و كالريح عند خروج الروح * و لوكان بدل هذا الكلام الذي لا طائل فيه * و الخطاب الهذيان الذي تمجّه الاذانُ و ترميه * ما يستميل خاطره * و يطفئُ من لهيب غضبه نائره * مع شيئ من الهدايا و التقادم * و ابراز قضاياهم في صورة المعتذر النادم * ربما كان كسر من غيظه * او همّد من حَنَقه و برد من قَيْظه * و انما فعلوا تلك المعذرة * بعد حريق دمشق و خراب البصرة * و ارسلوا الخدم و الهدايا صحبة النَّعام و الزرافات * قد اعجز التداركُ و فات * و صاروا كما قيل * شعر

ذوالجهل يفعل ما ذوالعقل يفعله * في النائبات ولكن بعد ماافتضحا

و كما قيل * مصراع * و جادت بوصل حين لا ينفع الوصل *

فصل

ذكر بَيْسَق هذا - قال لما مثلتُ بين يديه * و أدّيتُ الرسالة اليه * و قرئ الكتاب عليه * قال لي فل الحق * ما اسمك قلت بيسق * قال ما مدلول هذا اللفظ المزري * قلت له مولانا لا ادري * فقال انت لا يعرف مدلولُ اسمك يا نُعاله * فكيف تصلُحُ لحمل الرسالة * و لولا ان عادة الملوك ان لا يهجوا الرسل * و قد مهّدوا على ذلك القواعد و سلكوا السُّبُل * و انا اولى من يتبع اثار السلاطين * و يُحيي سنن الملوك الماضين * لفعلت معك ما يجب فعله * و لأوْصلتك ما انت اهله * و بعد هذا فلا عتب عليك * و انما اللوم على من تقدم بهذا الامر اليك * و لا حرج عليه ايضا لان ذلك مبلغ علمه * و مُدركُ عقله و فهمه * و قد ظهر بفعله الوبيل * نتيجة ما قيل *

تخيّر اذا ما كنتَ في الامر مرسلًا * فمبلغُ آراء الرجال رسولها
ثم قال لي توجّه الى قلعتكم * و مكان عزتكم و منعتكم * فذهبت
فوجدتها قد دُكّت دكًّا * و سيم حرمُها و حريمُها خسفا و هتكا *
ثم اتيتُه * و ذكرت له ما رأيتُه * فقال ان مُرسلك اقلُّ من ان
آجامله * و اذلُّ من ان اراسله * و لكن قل له اني واصل اليه على
عقبك * و ها انا منْشبٌ مخاليبَ آسودي بذنبك * فليُشمّر
للفرار الذيل * و ليعدّ لايهما اختارَ ما استطاع من قوّة و من رباط
الخيل * ثم امر بي فاخرجتُ و ما صدّقتُ * ان تصوّبتُ الى
جهة مصرّو د حرجت *

فصل

و حين ملأ جرابَ طمعه من نفائس الاموال و ردّنه * و استدّر خلفاتها
شيأ فشيأ صافيا و رنقا حتى صفاها بفُطنه * امر بتعذيب
هؤلاء الامراء الكبار * فعذّبوهم بالماء و الملح و سقوهم الرماد و
الكلس و كوَوْهم بالنار * و استخرجوا خبايا الاموال منهم استخراج
الزيت بالمعصار * ثم اطلق عِنان الاذن لعساكره بالنهب العام *
و السبي الطام * و الفتك و القتل و الاحراق * و التقييد بالاسر
على الاطلاق * فهجمت اولئك الكفرةُ الفجرةُ على ذلك اشدّ
الهجوم * و انقضّوا على الناس بالتعذيب ـ و التثريب و التخريب ـ
انقضاض النجوم * و اهتزوا و ربَوا * و فتكوا و سبَوا * و صالوا على
المسلمين و اهل الذمم * صولة الذئاب الضواري على ضواني الغنم *
و فعلوا ما لا يليق فعلُه * و لايجمل ذكره و نقله * و اسروا المخدرات *
و كشفوا غطاء المستترات * و استنزلوا شموسَ الخدور * من افلاك
القصور * و بدورَ الجمال * من سماء الدلال * و عذّبوا الكبار و الاصاغر

بانواع العذاب * و بدا للخلق ما لم يكن في الحساب * و استخلصوا باصلاء النار جواهر الناس منهم خلاصات الذهب * و صنفوا في استخراج النفائس من النفوس باصناف العذاب مسائل يقضي منها العجب * و فرّقوا بين الوالدة و ولدها * و الروح و جسدها * و ذهلتْ كل مُرضعة عما ارضعت * و جازوا كل نفس بما صنعت و بغير ما صنعت * و فرّ المرء من اخيه و امه و ابيه * و صاحبته و بنيه * و صار لكل منهم يومئذ شأن يغنيه * و ذل العزيز و الكريم * و هان الخطير و الجسيم * و طم البلاء و عم القضاء و طاشت الحلوم * و تبلدت الفهوم و تراكمت غيوم الغموم * فاقسم بالله لقد كانت تلك الايام * علامة من علامات يوم القيام * اسفرت تلك الساعة * عن اشراط الساعة * و استمر هذا النهب العام * نحوا من ثلاثة ايام *

ذكر القائهم النار * في البلد لمحو الآثار

ثم انهم لما انتهَوا العَيث و العَبث * و قضوا في حجّ فسادهم التَّفث * و اتمّوه بالفسق و الجدال و الرفث * و طافوا و سعوا في المنكرات * رمَوا في البيوت النار و في القلوب الجَمَرات * و افاضوا ما اراقوا من دماء المسلمين الواقعين في الاحصار * و رملوا في اشواط الاحراق فارسلوا في حرم المدينة شواظا من نار * و كان فيهم من روافض الخراسانية * فاطلقوا النار في جامع بني امية * فتشبثت النار بلهيبها * و ساعدت الريح بهبوبها * فتساوتا في محو الاثار ريحا و نارا * و استمرا على ذلك باذن الله تعالى ليلا و نهارا * فاحترق ما بقي من النفائس و النفوس * و انمحى بلسان النار ما سُطِّر على لوح وُجود المدينة من الدُّروس * و امست تلك المغاني لا تسمع فيها لاغية و لا الهَمْس * و اصبحت حصيدا كان لم تغنَ بالامس * و ذلك

بعد ان اظهروا ما اخذوا من اموال * و اوسقوا منه الاحمال *

ذكر اقلاع هاتيك الرزايا * و اقشاع غمام تلك الدواهي و البلايا * من بلاد الشام بما تحمله من اوزار و خطايا

ثم ارتحل ذلك الفتّان * و اقلع صيّبُ بلائه الهتّان * يوم السبت ثالثَ شعبان * و قد اخذوا من نفائس الاموال فوق طاقتهم * و تحملوا من ذلك ما عجزتْ عنه قُوى استطاعتهم * فجعلوا يطرحون ذلك في الدروب و المنازل * و يلقونه شيأ فشيأ في اوعار و المراحل * و ذلك لكثرة الحِمْل و قِلّةِ الحوامل * و اضحت القِفار و البراري * و الجبال و الصحاري * من الامتعة و الاقمشة * كانها اسواق الدهشه * و كانّ الارض فتحت خزائنَهَا * و اظهرت من المعادن و الفلزّاتِ كامنَها * قلت بديها * شعر

و صار لسان شعرهم يُنادي * على قُنَنِ الشواهِق و البوادي

الا ذي شِنْشِنَةٌ عرفناها * و عادة فساد الفناها * و من سَلِكِنا و دينه اقترفناها * نهبنا اموالَ المسلمين و حفظناها * و ما في وجهها صرفناها * و لكنا حُمّلنا اوزارا من زينة القوم فقذفناها * و مع ذلك فلو اُخذ من نفائس دمشقَ اضعافَ ما اُخذ * و فُلِذَ من اكباد ذخائرها آلاف ما فُلِذ * ما غاض ذلك ما في عينها * و لا نقَصَ من بحار معينها * و لكن النار كانت هى البلاء الداهي * و المُصابَ المتناهي * لانها احرقت غالب من كان داخلَ البلد لعدم الغَوات * فما ظَنُّكَ بما يكون من العمائر و الاقمشة و الاثاث * و ضَريتَ الكلابُ باكل لحوم من مات داخلَ البلد * فما صار يتجسّرُ على العبور الى جامع بني اُميّةَ احد *

ذكر ما جرى فى مصر وسائر الاقطار * عند سماعهم هذه الاخبار * واستيقانهم هذه الاهوال و الاخطار

فاما مصر فما دونها من البلاد فانها تخبّطت * و انحلّت قواها و ايديها تربّطت * وعدمت القرار * و استعدّت للفرار * فلو رأيتَ الناس وهم حيارى * سَكارى وما هم بسُــكارى * ابدانهم راجفه * وقلوبهم واجفه * و اصواتهم خافته * و ابصارهم باهته * و شِفاههم يابسه * وصُوَرهم بائسه * و وجوههم باسره * تظُنّ ان يفعل بها فاقره * و قد استوفز كلّ من اهل الامصار * و سكان الانجاد و الاغوار * وقد اصاخ لما يرد عليه من جَلىّ الاخبار * فيبنى على ذلك ما يكون * من متعلقات الحركة و السكون * فاخذ تيمور على طريقته العوجا * و رجع على سبيل بغيه التي اتخذها شِرْعةً و منهاجا * وقد سدّت عساكره الافاق و الاكناف * وعمّت هيبته الأرجاء و الاطراف *

ذكر من اصيب من سهام القضاء بالرشق * ووقع فى مخاليب اسره من اعيان دمشق *

و اخذ من اعيان الشام * و مشاهيرها الاعلام * قاضى القضاة محى الدين بن العزّ الحَنَفى بعد ان عاقبوه بانواع العذاب وكَوَوْه * و سقوه الماء و الملح وبالكِلْس و النار شَوَوْه * وولده قاضي القضاة شهاب الدين ابوالعباس * فوصلا الى تبريز و مَكَثا بها مدة في شدة و باس * ثم رجعا الى الشام * و اخذ امرهما فى الانتظام * و قاضي القضاة شمس الدين النابُلُسىّ الحنبلي * و قاضى القضاة صدرالدين المناوي الشافعي * فتوفى الى رحمة الله الوهاب * غريقا فى نهر الزاب * و شهابَ الدين احمد بن الشهيد المعتبر * و كان

متحملا اوزار الوزر * بعد ان راموا عذابه * و طلبوا عقابه * و كان قد
جهّز متعلقيه الى الاماكن البعيدة * و اقام هو في دمشق جريدة *
فذكر لهم حكايته * و بذل لهم في دفع موجودة طاقته * فاخذوا ما
اخفاه خفية و لم يعذبوه * و لكنهم بالاهبة و القلة استصحبوه *
فوصل الى سمرقندَ و قاسى بها من صُرُوف الزمن * انواعا من
غربة و فقر و محن * ثم رجع الى دمشقَ و توفي بها رحمه الله
تعالى * و من الامراء الخاص * الاميرُ الكبيرُ بتخاص * و كان
مقيدا معه و مات * عند وصوله الى الفرات * فاما القاضي
ناصر الدين بن ابي الطيب فانهم عاقبوه بكل بليّة * و كان
رقيقَ البدن لطيفَ المزاج سوداويّه * فما كان عندَه لذلك ثُبات *
فاعجزهم عما يرومون منه بالموت رفات * فمات و استراح * و شرب
من الشهادة كاس مُدام جاءه و راح * فدفنوه عشيّة * بالمدرسة
الكَروسيّه * و لما شرع في الذهب العام المُبّرح * استُشهدَ غلطا
قاضي القضاة تقيُّ الدين بنَ مفلح * و برهانُ الدين بنُ القوشة
ضُعفَ سبعة عشر يوما * وانقطع في حارة تل الجبن ولحِقَ بالاموات
قوما * و كانوا قد خرجوا عن الاحياء و الاموات * و خافوا ان
لا يكون لاحد منهم من ايديهم بحجة الوفاة فوات * فضبطوا بيوتَ
المدينة بيتا بيتا * و حرّجوا ان لا يخرُجَ الاحياءَ و لا تجهزَ الموتى *
فلما مات المذكور * تعسّرتِ الامور * فتحيروا في تجهيزه * و تغلّبوا
في امره و تنجيزه * ثم بعدَ جَهد بليغ و سعي كثير * دفنوه في
الصالحية بعد اخراجه من الباب الصغير * و خرج مع تيمور
بالاختيار من الشام * عبد الملك بن التكريتي فولاه نيابة سيرام *
فمكث فيها القليل من الايام * و هي وراء سيحون * و شخص

آخر يدعى يلبغا المجنون * و كان مقربا عنده * و سبب ذلك انه
بذل في مناصحته جُهده * و اخبره على ما قيل بَعداوي * فخلّصَه
بذلك من المهالك والمهاوى * و حصل له بذلك قربه * و زيادة
ملازمة و صحبه * فولاه ذلك الجساس * نيابة مدينة تدعى ينكى
بلاس * وراء نهر خجند * نحو خمسة عشر يوما عن سمرقند *
بينها و بين سبرام * نحوُ من اربعة ايام * و كان اسم ذلك الخوُن *
احمد فتقلب بيلبغا المجنون * و اخذ من دمشقَ اربابَ الفضل
واهلَ الصنائع * و كلَّ ماهر في فن من الفنون بارع * من النسّاجين
و الخياطين * و الحجارين و النجارين * و الاقباعية و البياطرة
و الخيمية * و النقاشين و القواسين و البازداريه * و في الجملة اهل
اي فن كان * و جمع كما ذكر السودان * و فرق هؤلاء الطوائف على
رؤس الجند * و امرهم ان يوصلوهم الى سمرقند * و اخذ
جمالَ الدين رئيسَ الطب و شهاب الدين احمد الزردكاش و كان
في القلعة كما ذكر و اباده من عسكره خلقا لا يحصون * و لا يحصرون
كثرة ولا يستقصون * و كان في حدود التسعين و قد احدودب * فلما
رآه قابله بالسخط و الغضب * و قال له انك افنيت صاغيتي *
وحصَّيتَ غاشيتي * و قصَّيتَ حاشيتي * فان قتلتُك مرة واحدة
لا يُشفي عليلي * ولا يهدأ غليلي * و لكن اُعذِّبكَ بِكبَرِ سِنِّك *
و ازيدُك كسرا على كسرك و وهنا على وهنك * فقيده بقيد من
فوق ركبتيه * زنته سبعة ارطال و نصف رطل بالدمشقي و قصد
بذلك التشديد عليه * فلم يزل مقيدا * مكتوب على قيده مُخلَّدًا
ابدا * حتى مات تيمور * و ارتفعت الشرور * و خلُص من القيد
ذلك المأسور * ثم تُوفّي الى رحمة الله تعالى و ربما يكون اخذ اناسا

من الفضلاء * و الاعيان و السادات و النُّبَلاء * من لا اعرفه * فكيف اصفه * و كذلك كل امير من امرائه * و زعيم من زعمائه * اخذ من الفقهاء و العلماء * و حُفّاظ القرآن و الفضلاء * و اهل الحِرَف و الصّناعات * و العبيد و النساء و الصبيان و البنات * ما لا يَسَع الضبط * و لا يحُلّ الربط * و كذلك كل من عسكره * اخذ كبيرا و صغيرا و اَسَرَه في اَسْره * لانه ما ثم حرج على من نهب شيأ و عزله * و كل من سبقتْ يدُه الى شيئ فهو له * و هذا اذا اطلق عِنان الاذن بالنهب العام * تساوى فيه الخواص من عسكره و العوام * و لو كان الناهب اسيرا فيهم * او دخيلا عليهم * و السالب من غير طينتهم * و لكن اُبيحَ له ذلك لمّا سار بسيرتهم * و تخلق بشيمتهم * و اُطلق عليه حكمُهم * و اُجريَ عليه شَكْمُهم * فاما قبلَ الاذن فلو تعدى احد على احد * و كان عند تيمور بمنزلة الوالد او الولد * او استطال بمقدار حبه * او تلفظ بغارة او نهبه * فانه يهدر مالَه و دَمُه * و يُهتكُ حرمَتُه و حَرَمه * و لا ينجيه استغفاره و ندمه * و لا يُجديه اهله و خدمه * و لا يقال لعاً لمن زلت به قدمه * و كانت هذه قاعدة لا تُخْرَم * و بِنْيةً لا تُهدم *

ذكر ما اباد * بعده الجراد

و لما فرغ من مستغلّات اموال دمشق الحصاد * و قارب الرحيلَ عنها اسقبهَ لقّاط الجراد * و صار يسير معه حتى بلغ ماردينَ و بغداد * فاعرى كل شجراء و مردا * و جُرّد ما على وجه الارض جَرْدا * فوصل الى حمص و ما نهبها * و لخالد كما ذكر وهبها * و لكن نهبُوا قُراها * و هدموا قواها * ثم الى حماة فنهبوا نفائسها * و استخرجوا مكامنها * و اسروا عرائسها * و استملكوا كنائنها * و في سابع عشر

شعبان * انصبّ الى الجَيُول ذلك الطوفان * و ارسل الى حَلَب
و اخذ من قلعتها ما استودعها * ثم الى الفرات و عبرها بالمراكب
و غيرها فقطعها * ثم الى الرُّها * فنهبها و استحلب درها * ثم
ارسل ذلك الغادر * رسوله الى ماردين يستدعى الملك الظاهر *
و ديباجة كتابه الدقِل * على ما نُقل * شعر

سلام عليكم و العهود بحالها * لقد بلغ الاشواق منا كمالها

فابي ان ينزل اليه * و لا استمع كلامه ولا التفت اليه * فانه كان
آذاه كما ذكر اول مرة * فما احتاج الى تجربته آخر كرة * فسلك
معه برّ السلامه * و قال شطر بيت (ع) من جرب المجرب حلت
به الندامه * و لكن ارسل اليه قاصدا من بعض الخدم يدعى الحاج
محمد بن خاصبك و معه التقادم والخِدم * و اعتذر عن الحضور *
بعدة امور * و عنوان جوابه * موافق لخطابه * و هو * شعر

فشوقى اليكم زائد الحد وصفه * و لكن تخاف النفس مماجرى لها

فلم يلتفت تيمور الى هذا الكلام * و اخذ يعنِّف نفسه بانواع
الملام * كيف خلَص من مخاليبه اول مرة بسلام *

ذكر ورودة ماردين بالهيبه * و صدورة عنها بعد المحاصرة بالخيبه

فوصلوا يوم الاثنين عاشر شهر رمضان واردين ماء ماردين * فنزلوا
دنيسر و غدوا للحصار قاصدين * و اذا باهلها وقد اخلوا المدينه *
و انتقلوا الى قلعتهم الحصينه *

صفة هذه القلعة

و هذه القلعة عنقاء قلتها تكبر ان تصاد * و عزنين عانسها يأبي ان
يدخل لخاطب تحت مقود انقياد * لانها في قلّة من القلل *

على ظهر جبل * لم يكن فرق بينه و بين قبة الافلاك * الا ان تلك
لا ثبات لها و هذا ثابت ليس به حراك * بظهره واد بطنه اوسع
من صدر الاحرار * فيه جنات تجري من تحتها الانهار * و به
مطارح الزروع * و مسارح المواشي و الضروع * و حدوده جروف
لاتصل همم ذوي الكرم الى ارجائها * و حروف يعجز قاري التفكر
عن تعديد هجائها * و طريقه من القلعة او على القلعة * و القلعة
في غاية المناعة و الرفعة * و المدينة مبنية حواليها * متشبثة
بذيلها * تاكل من فضلات نعمها * و تشرب من فائض سيلها * فهم
بين نعمهم و نقمهم يترددون * و في السماء رزقهم و ما يوعدون *
فاقام لمحاصرتها على مضائقها * يسترشد الى طرق المضايقة
و طرائقها * و لم يكن حواليها مكان القتال * و لا لنصب المجانيق
مجال * فعول على نقبها بالمعاول و الفوس * و استعان على
ذلك بالمقاول و الروس * وحاشا درز ذيل حشمتها و عصمتها ان
يسام فتقا * لانها و ان كانت عذراء قد اعجزت الفحول لكونها رتقا *
فلا زالت المعاول تفل * و القطاطيس تكل * و مناقير الفوس
تتعقف * و حضور المرازب كهيف القدود تتقصف * قلت شعر
كان معولهم في نقب تربتها * منقار طير على صلد من الحجر
او عذل ذي حسد صبا به صمم * او غمز عين معنى فاقد البصر
و استمر على اللدد و الخصام * الى العشرين من شهر رمضان و لم
يحصل على طايل و لم يظفر بمرام *

ذكر تركه في المحاصرة * العناد و المكابرة * و توجهه بماردية ذوي الفساد * عن ماردين الى بغداد *

و لما علم انه رمي منها بالداهية الدهيا * و طلاب ما لا يستطاع

عيّا * و المكابرة مع الحق خروجٌ عن المنهج * و البلاغة في غير مقامها عيٌّ لجلجٌ * ستر عيبه * وابقى بعض الحرمة و الهيبه * وخرّب المدينة و اسوارها * و محا آثارها * و هدم مبانيها و جوامعها و منارها * و فك اساسها و احجارها * ثم انحدر الى بغداد * بعساكر كالذّرّ و الفَراش و الجَراد * و جهّز بعض الثّقل الى سمرقند مع الله داد * فوصلوا الى مدينة صور و ليس بها بيت مُشاد * ثم الى خِلاطَ و عيدالجوز و هي بلاد الاكراد * آهِلَة عامرة البنيان * و اول ما هو جار تحت حكمه من ولايات تبريز و آذربيجان * فعيّدَ الثّقل بعيد الجوز عيدَ رمضان * ثم دخلوا الى ولايات تبريزَ ثم الى سلطانيةَ ثم الى ممالك خراسان * و كان اذ ذاك قد خرج فصلُ الشتا * و فصل الربيع تزيّن و اتى * و صفحاتُ الرياض بانامل صبّاغ القدرة تلونت * و عروس الروض قد اخذت من صوّاغ الحكمة زخرفَها و ازّيّنت * و الاطيار في الازهار * ما بينَ مائة بلبل و الفِ هزار * قد شنّفتِ الاسماع * وآقامتِ السّماع * و استمالت الطباع برخيم صوتها * و احيت آثارُ رحمة الله الارض بعد موتها * و لا زال الثقل بين تأويب و إدلاج * و سير و لا سير الحاج * كلَّ يوم في مرحلة و كل ليلة في مقام * فوصلوا الى نيسابورَ ثم الى جام * ثم قطعوا مفاوز باورد و ماخان * ثم الى اندخوي و انتهوا الى نهر جَيْحان * فعبروه بالمراكب * و ساروا سير النجم الثاقب * و لم يزالوا منبعثين على ذلك انبعاثا * فوصلوا الى سمرقند ثالث عشر المحرم يوم الثلثا * سنه اربع و ثمانمائه * و فيهم من اهل الشام فئه * امثلهم القاضي شهاب الدين احمد بن الشهيد الوزير * و باقيهم بياطرة و صباغون و نساجة الحرير * هذا اول

ما تحمّله من الشام من احمال الاثقال * و باكورة ما وصل الى سمرقند مما جناه من ثمر الأساري و الاموال * ثم ارسل الاثقال تترى * بالأنفال و احمال الاموال و الاسرى *

فصل

ثم ان تيمور ولّى آمد قرا يلوك عثمان * و ولى عن ماردين يوم الخميس العشرين من شهر رمضان * و كان خامس آيّار * و جعل يعبث في تلك الديار * و خرّب نَصيبين و رعى مُستغلاتها * ثم محا من صحف الوجود صور سورها و آياتها * و كانت خالية من سكانها * خاوية من عامري عُمْرانها * ثم وجّه الى المَوْصل همّه * و آخذى عليها بكتائبه المُدْلَهِمّة * فبعد ان احلّها الحَيْن * وهبها الحسين بيلك بن حسين * ثم جمر بزمجرة * الى ناحية القَنْطَرة * و اشاع انّه كف فساده * و قصد بلاده * و لكن السلطان احمد كان قد تحقق انه قاصدٌ بغداده * وقد اوهم و ورّى كما له بذلك دأب و عادة *

ذكر ما فعله السلطان احمد بن الشيخ اويس * لما بلغه انه توجه اليه ذلك النجيس

فلما بلغ السلطانَ احمد * ان تيمور بعد ان تدمشق تمرّد * ثم عزم على ان يتبغدد * و قال ألعودً احمد * استعدً ولكن للفرار * و استقر رأيهُ على ان لاقرار * ثم استناب نائبا يدعى فرج * و اوصى اليه و الى ابن البُلَيْقي بامور و صحبه قرا يوسف الى الروم و خرج * و كان من جملة ما وصّى به انه لا يُغلقُ في وجه تيمور باب * و لا يسدل دون ما يرومهُ حجاب * و لا يشهر في وجهه

سيف * ولا يقابل فيما يامربه بِلِمَ و كيف * فبلغ تيمور * هذه الامور * فجهز ذلك المخاتل * الى بغداد عشرين الف مقاتل * و امّر عليهم من امرائه و رؤساء وزرآئه و الظلمة المعتدين * اميرزاده رستم و جلال الاسلامي و شيخ نورالدين * و امران يكون المقدم * من الثلاثة الامير رستم * فاذا تسلّموا بغداد * يكوّن هو حاكم البلاد * و حين غربت عن سماء بغداد شمسُ السلطان احمد في غرب الغربه * و مدّ ظلامَ الظلم جناحُ العساكر التيمورية على آفاقها و ارسل عليها شهبه * ابى فرج المذكور ان يسلِّمَ المدينة طوعا * و استعدَّ للمقاتلة فجمع ما عنده من آهبةِ المحاصرة و اوعى * فاطلعوا تيمور على هذا الامر * و انتظروا ما يكون منه من نهي و امر * فثنى نحوها عنان الحنَق * و اضمر ما تصل اليه يدُهُ من غرَق و حرَق * و اظلّ عليهم بغمام غم بعد ما رعد و برقّ * فوصل بتلك الفرَق * و احلّ بهم البوَص و القَلَق * و اذاقهم لباسَ الجوع و الفرق * فرجّهم ايَّ رَجّ * و حاصرهم في اشهر الحجّ * فثبتت مقاتلتهم و اكثروا من عساكره القتلى و الجرحى فحنق * اشدّ الحنَق * و زحف عليها برَجله و خيله فاخذها عنوة يوم الاضحى * فتقرّب على زعمه بان جعل المسلمين قرابين و عليهم ضحّى * ثم امر كل من هو في دفتر ديوانه محسوب * و الى يزك عساكره من الجند و الجيش منسوب * ان ياتيه من رؤُس اهل بغداد برأسين * فسقوا كل واحد من خمرة سلب الروح و المال كاسين * ثم اتوا بهم فرادى و جمله * و جاروا بسيل دمائهم نهر الدجله * و طرحوا ابدانهم في تلك الميادين * و جمعوا رؤُسهم فبنى بها ميادين * فقتلوا من اهل بغداد نحوا من تسعين الف نفس

خيرا * و بعضهم عجز عن تحصيل البغداديين فقطع رؤس من معه من اهل الشام و غيرها اسرى * و عجز بعض عن رؤس الرجال * فقطع رؤس ربات الحجال * و بعض لم يكن معه رفيق * فاصطاد من وجده في طريق * و اغتال من معه من رفيق * و فدى نفسه بعدوٍ و صديق * و لم يلتفت الى شقيق وشفيق * اذ لم يمكنهم الخروج عن ربقة الطاعة * و لا يقبل منهم عدل و لا تنفعهم شفاعة * و هذا العدد المذكور * سوى من قتل وهو محصور * او قتل في مضيق * او مات في الدِجْلة و هو غريق * فقد ذُكر انّ خلقا * القَوا انفسهم في الماء و ماتوا غرقى * و من جملتهم فرجٌ فانه ركب سفينةً و ابق * فاحتوشوه من الجانبين بالسهام فجرحوه و انقلبت السفينةُ فادركه الغرق * و بقى من الميادين * نحوا من مائة و عشرين * كذا اخبرني القاضي تاج الدين احمد النعمان * الحنفى الحاكمُ ببغدادَ كان * و توفي في غرة المحرم سنة اربع و ثلاثين و ثمانمائة بدمشقَ رحمه الله تعالى * ثم ان تيمور خرب المدينه * بعد ان اخذ ما بها من اموالٍ خزينه * و افقر اهلها و اقفر منازلها * و جعل عاليها سافلها * و صارت بعد ان كانت مدينة السلام * دار السام * و اسروا من بقيَ من ضعفة اهلها فتمزق * و مزّقتهم ايدي الزمان كلّ ممزّق * بعد ان كانوا في ظلال و دلال * و من مساكنهم في جنتين عن يمين و شمال * فاليوم عشش البوم و الغرابُ اماكنهم * و اصبحوا لاترى الا مساكنهم * و هذه المدينة هي اشهرُ من ان توصَف * و عُرّفُ عارفتها و عرفانها اذكى من ان يعرف * و ناهيك انها كاسمها مدينة السلام * و انه على ما قيل لم يمُتْ بها امام *

ذكر رجوع ذلك الطاغ * واقامته فى قرا باغ

ثم الوى بتلك الاتراك التي يصحّ ان يقال لكل منها انه في التركية طاغية طاغ * و عزم ان يشتّي في مكان يصلح ان يكون في الترك و العرب كصفاته و ذاته قراباغ * و امسى كالبازي المطل بل كالبوم المشوم * مراقبا اطراف الأفاق و خصوصا ممالك الروم *

ذكر مراسلة ذلك المريد * سلطان الروم ايلدريم بايزيد

فراسل سلطانها بايزيد المجاهد الغاز * و صرّح بما يروم من بلاد الروم من غيركناية و الغاز * وجعل السلطان احمد و قرا يوسف سببا * و ذكر انهما من سطوات سيوفه هربا * و انهما مادّة الفساد * و بوار البلاد * و دمار العباد * و سنخ الخمول والادبار * و كفرعون و هامان في العلو و الاستكبار * و ان فرعون و هامان و جنودهما كانوا خاطئين * وقد صارا بمن معهما في حمى ذراكم لاطئين * و اينما حلّوا حلّت التعاسة و الشوم * وحاشا ان يكون مثلهما من المفلوكين تحت جناح صاحب الروم * فاياكم ان تأووهم بل اخرجوهم * و خذوهم واحصروهم * واقتلوهم حيث وجدتموهم * و اياكم و مخالفة امرنا * فتحلّ عليكم دائرة قهرنا * فقد سمعتم قضايا مخالفينا و اضرابهم * وما نزل بهم منا في حرابهم و ضرابهم * وتبيّن لكم كيف فعلنا بهم * فلاتكثروا بيننا وبينكم القيل و القال * فضلا عن جدال و قتال * فقد بيّنا لكم البراهين و ضربنا لكم الامثال * و في اثناء ذلك انواع التهديد و التخويف * و اصناف التهويل و الاراجيف * و كان ابن عثمان عنده رقاعة و شجاعة * و لم يكن عنده صبر ساعة * مع انه كان من الملوك العادلين * وعنده تقوى و صلابة في الدين * وكان اذا تكلّم و هو في صدر مكان * فلايزال في حركة و اضطراب حتى

يصل الى طرف الايوان * و كان بواسطة عدله ساعَدَه الزمان * و قويت شوكته في المكان * فاستصفى ممالك قَرمان * و قتل مِلكها السلطان علاءَ الدين و أسر له عنده ولدان * واستولى على ممالك منشا وصاروخان * و هرب منه الى تيمور الاميرُ يعقوبُ بنُ علي شاه حاكمُ ولايات كرمان * و صفا له من حدود جبَل بالقان * من ممالك النصارى الى ممالك ارزنجان * فلما وقف على كتابه * و فهم فحوى خطابه * نهض و ربض * و امتعض و ارتمض * و رفع صوته و خفض * و كانّه تجرّع نَقوعَ الحُضض * ثم قال او يخوفني بهذه التُرّهات * و يستفزّني بهذه الخُزعبلات * اوَ يحسب انني مثلُ ملوك الاعجام * او تتار الدشت الاغتام * او في جمع الجنود * كجيش الهنود * او جندي في الشقاق * كجمع العراق * او ما عندي من غزاة الاسلام * كعساكر الشام * او ان قَفلَهَ المُجَمَّع كجندي * او ما يعلم ان اخباره عندي * و كيف ختل الملوك و ختر * و كيف تولى و كفر * و ما صدر عنه و عنهم * و كيف كان كل وقت يستضعف طائفة منهم * و انا أفصِّل جُمَلَ هذه الامور * و اكشفُ ما خزنه في التامور * و اما اول امره فحراميٌّ سفّاك الدم * هتّاك الحُرَم نقاض العهود و الذمم * طرف منحرف عن الصواب في الخطا * فصال و جال و سطا * ثم طال و استطال * و اتّسع له المجال * و غفل عنه الرجال * و من حين نبغ * استصبى حتى شاب الشيب بالعيب فادرك ما ادرك و ما بلغ * فالتهبت فتيلته بعد ان كانت شراره * و انتثرت فروع حبته فصارت غراره * اما ملُوك العجم فانه استنزلهم بدخله و ختله * ثم استفزهم بخيله و رَجله * و بادر الى قتلهم بعد ان امكنتهم فرصة قتله * و اما توقتاميش

خان * فان غالب عسكره خان * و من اين للتتار الطغام * الضرب بالبتّار الحُسام * و ما لهم سوى رشق السهام * بخلاف ضراغم الاروام* و اما جنود الهُنود فانه ختلهم في امرهم * و رد كيدهم في نحرهم * فوهت اركانهم * لا سيما و قد مات سلطانهم * و اما عساكر الشام * فامرهم مشهور * و ما جرى عليهم فظاهر غير مستور * و لما مات سلطانهم * و تضعضعت اركانهم * و انفضّ امرهم و انقضّ * و بغى بعضهم على بعض * قُطِعت منهم الروُس الكبار * و لم يبق فيهم الا روُس صغار * فنثر الزمان نظامهم * و سام التبدّد مُلكهم و عامهم * مع انهم في الصُّوَر ربيع و في المعاني جُمادى * يرمون بواحدة و هي انهم يبيتون جميعا و يقومون مثنى و فرادى * لا جرم تفرقت ايادي سبا احزابُ تلك الزُمَر * فاشتغل جيشه فيها بالمحرّم فباضَ لما خلا له الجوُّ و صَفَر * و لو كان بينهم اتفاق لفتّوه فتّا * و بدّدوا شمله و بتّوه بتّا * و لكنهم تحسبهم جميعا و قلوبهم شتّى * و مع إتّساقِ نظامهم * و تسديد سهامهم * و قوة نطاحهم * و شِدّة كفاحهم * و شُدّة رماحهم * و كونهم ظهر الهاج * و اسود الهياج * انى لهم نظام عساكرنا * و قوة القيام بتظافرنا و تناصرنا * و كم فرق بين من تكفّل بامر الحُفاة العُراة * و بين من تحمّل امَرَ الكُماة الغزاة * فان الحربَ دأبنا * و الضربَ طلابنا * و الجهاد صنعتنا * و شرعة الغزاة في سبيل الله تعالى شرعتنا * ان قاتل احد تكالبًا على الدنيا * فنحن المقاتلون لتكونَ كلمةُ الله هي العَليا * رجالنا باعوا انفسَهم و اموالَهم من الله بان لهم الجنة * و كم لضرباتهم في اذان الكفار من طَنّة * و لسيوفهم في قَلانس القَوانس من رَنّة * و لِنُون قسيّهم في خياشيم بني الصليب من غُنّة * لو

سُمذاهم خوض البحار خاضوها * او كلّفناهم إفاضة دماء الكفار افاضوها *
قد اطلّوا من صياصيهم على قلع قلاع الكفار و اخذوا عليها * و امسكوا
بعنان افراسهم فلما سمعوا هَيعة طاروا اليها * لا يقولون لملكهم اذا
غمرهم في البلاء و الابتلاء * إنا هاهنا قاعدون فاذهب انت و ربُّك
فقاتلا * و معنا من الغزاة مشاة * افرس من فوارس الكماة *
اظفارهم باترة * و اظفارهم ظافرة * كالاسود الكاسرة * و النمور
الجاسرة * و الذئاب الهاصرة * قلوبهم بودادنا عامرة * لاتخامر بواطنهم
علينا مخامرة * بل وجوههم في الحرب ناضرة * الى ربّها ناظرة *
و حاصل الامران كل اشغالنا * و جُلّ احوالنا و افعالنا * حمٌّ
الكفار و لَمٌّ الاسرى و ضَمُّ الغنائم * فنحن المجاهدون في سبيل الله
الذين لا يخافون لومة لائم * و انا اعلم ان هذا الكلام يبعثك الى
بلادنا انبعاثا * فان لم تأت تكنْ زوجاتُك طوالقَ ثلاثا * و ان قصدتَ
بلادي و فررتَ عنك و لم اقاتلك البتّه * فزوجاتي اذ ذاك
طوالق ثلاثا بتّه * ثم انهى خطابه * و ردّ على هذا الطريق جوابهَ *
فلما وقف تيمور على جوابه القلق * قال ابن عثمان مجنون
حمق * لانه اطال و اساء * و ختم ما قرأه من كتابه بذكر النساء * لان
ذكرَ النساء عندهم من العيوب * و اكبر الذنوب * حتى انهم
لا يلفظون بلفظ امرأة و لا بانثى * و انما يُعبِّرون عن كل انثى بلفظ
اخرو يَحتّون على الاحتراز عنه حَثّاً * و لو ولد لاحدهم بنت يقولون
ولد له مخدّرة * او من ربات الحجال او مُستَّرة * او نحوُ ذلك *

ذكر طيران ذلك البوم * و قصده خراب ممالك الروم

فوجد تيمور الى التوجّه على ابن عثمانَ السبيل * و طلب الرفيق
و الطريق و رام الدليل * و عرض جُندَه فاذا الوحوش حُشِرتْ *

و انبثوا على وجه الارض فاذا الكواكب انتثرت * و ماج فاذا الجبال سُيّرت * و هاج فاذا القبور بُعثرت * و سار فزلزلت الارض زلزالها * وجار فاظهرت القيامة اهوالها * و ارسل الى ولي عهده و وصية من بعده * حفيده محمد سلطان بن جهانكير * ان يتوجه اليه من سمرقند صحبة سيف الدين الامير * و ركب الى الروم الطريق * وساعده الاتفاق لا التوفيق * و جرى بذلك البحر المطرخم * و الليل المدلهم * فدار و داخ * وعلى قلعة كماخ اناخ * فاذا هي في الوثاقة كيقين موحد * وفي الرصانة و المناعة كاعتقاد متعبد * لا يقطع خندق مناعتها سهم وهم * و لا يهتدي الى طريق التوصل اليها صائب فهم * مؤسس اركان هضابها معمار القدره * و مهندس بنيان قبابها نجار الفطره * ليست بالعالية الشاهقه * و لا بالقصيرة اللاصقه * غير انها في مناعتها و حصانتها فائقه * من احدى جهاتها نهر الفرات يقبل اقدامها * ومن الجهة الاخرى واد متسع يحفظ اعلامها * لايمكن للاقدام فيه الثبات * وهو مسيل ماء يصب في نهر الفرات * و من الجهتين الاخرتين هضاب * يتلو لسان البصيرة عند وقوع البصر عليها ان هذا لشيئ عجاب * فاخذها من غير كلفه * و ولج حرمها من غير طواف بها و وقفه * و ذلك بعد ان قدم محمد سلطان عليه * و وكل امر حصارها و قتالها اليه * و سبب ذلك ان الوادي الذي وراءها * كان يرد بالخيبة لوعورته من جاءها * لكونه مزلة الاقدام * واسع الافغام بعيد مهوى المرام * لا يتلب لسان السهم له عرض عرض * و لايتثبت له تحت قدم غواص البصر قرار ارض * فبمجرد ما وقع نظره عليها * نظر بعين الفراسة اليها * ثم امر بقطع الاخشاب *

و نقل الاحطاب * فلم يكن الا كلمح البصر * حتى هدموا البيوت
و قطعوا الشجر * و نقلوا جميع ذلك الخشب والاعواد * و طرحوها
في قعر ذلك الواد * فساوَوا به الارض * و ملاءوا طوله و العرْض *
و حين شعُر اهلُ القلعة بهذه الفعال * القَوا النارَ و الباروذَ على
تلك الاخشاب فاخذت في الاشتعال * و اما آساس القلعة فلاينال *
لانه راكب على قُلَل الجبال * فلم يُجدِّد ذلك من امره * و لم يُشرِّد
من فكره * بل امر في الحال * كل واحد من الرجال * ان ياتي
من تلك القفار * بعِدْلٍ من الاحجار * فانبثُّوا كالنَّمْل و الجراد *
في تلك المهامه و الاطواد * و البراري و المهاد * و جابُوا الصخر
بالواد * ففى الحال ملاءوا تلك الدارة * من الحصباء والحجارة *
ثم امران يفعل بتلك الحجارةِ في ذلك المهوى البعيد * ما يفعل
بهم في جهنم يومَ يقالُ لها هَلِ امْتلأتِ وتقول هل من مزيد *
فالقوا في ذلك الوادي بعض ما لمُّوه * من اكداس تلك الحجارة
فطمُّوه * و بقي في بيادر ذلك الحجر * اضعاف ما رمي من
البصر * و لما امتلأ الوادي من الاحجار * مشوا عليها و قربوا
من الاسوار * و نصبوا السلالمَ و تسلَّقواَ * و بناصية مراميها
تعلَّقوا * فاقلع اهلُ القلعة عن الكلام * وطلبوا الامان و قالوا
ادخلوها بسلام * وكان هذا الحصار و القلجئه * في شوال سنة
اربع و ثمانمايه * و لما استقر فيها * امر بتلك الاحجار آن تُنقل
من واديها * ففى الحال سقُّوها * و فى مكان اخذوها منه رمُّوها *
ثم ولى بها شخصا يدعى الشمس * و ولّى عنها كما ولّى امس *
و هذه القلعة نحو عن نصف يوم عن ارزنجان * و من القلاع
المشهورة في الدنيا بالمناعة و العصيان * فلاجرم حين استولى

عليها * و افضى بصارمه الذكر اليها * وفتحها قهرا * و منحها جبرا * آبرد بهذا المغنم البارد * الى كل صادر في ممالكه و وارد * بكتب تَرْجَمَ فيها من الاخبار كل سانح و شارد * و عنوانُ هذه الترجمه * بلفظها من غير تَرْجَمَه * شعر

بحدّ سيوفٍ داميات لدى الوغى * فتحنا بحمد الله حصن كماخ

و ذكر فيها ابن عثمان و خطابه اليه * وكيف ردَّ جوابه الحمَق عليه * و من جملته * و بعض ترجمَته * انا ما جفوناه و لا تعدّينا عليه * و لكن رفقنا له القول و تلطفنا اليه * و قلنا له ليخرج من فروج مملكته مادة الفساد * وهى احمد الجلابرى و قرايوسف التركمانى اللذان اخربا البلاد و اهلكا العباد * و الرضا بالمعصية * معصية * و الاقرار على الكفر * كفر * و الفاسق المحروم البائس * شرٌّ من الفاجر الظالم الملابس * فصارا في الفساد وزيريه و هو الامير * وفى العناد صغيرين و هو الكبير * و عاشراه على ذلك و والياه فلبئس المولى و لبئس العشير * فافسداه و ما اصلحا * و خسّراه و ما ربحا * فكأنه عنى شأنهم * من اظهَرَ قولهَم و شأنَهم * بقوله * شعر *

و لاَ ينفَعُ الجَرباءَ قربُ صحيحة * اليها و لكنَّ الصحيحة تجرَبُ

و لم يزل على طريقته العوجاء * فاشبه لمّا اجارهما مجيرَ امّ عامر العرجاء * فنهيناه فما انتهى * و نبّهناهُ فما ارعوى * و اريناه العبر * في غيره فما اعتبر * و ناداه لسان انتقامنا من المخالفين الحذر الحذر * وكنا وضعنا اسمه مع اسمنا * على عادة حشمتنا و ادبنا في المراسلات و رسمنا * فتعدى طوره * و ابدى جورَه * وكان في بعض مراسلاته * و ما وضعه في مكاتباته * كتب اسمَه تحتَ اسم طَهْرتَن * و هذا هو الواجب عليه و الحسن * و لاشك ان طَهَرتن

بالنسبة الينا * كبعض خدمنا و اقل حشمنا * ثم انه اعني بايزند
لما طالع كتابنا * و ردّ جوابنا * وضع اسمه فوق اسمنا بالذهب *
و هذا لما فيه من كثرة الحماقة و قلة الادب * ثم ذكر انه توجّه بروم *
استخلاصَ ممالكِ الروم * و تشدّق في هذا الكتاب * و تَفَيْهَقَ في
هذا الخطاب * فهو احد دساتير الكُتّاب * و الاساطير المُستعان بها
في الخطاب و الجواب *

ذكر ماعزم ابن عثمان عليه * عند انصباب ذلك الطوفان اليه *

فلما بلغ ابن عثمان ما قصده * و انه جعل طالعه في سماء الحرب
رصده * توجه لقتاله * و استعد لاستقباله * و كان على مدينة
استنبول محاصرا آتمها و كَفّارَها * و قد قارب ان يفتحها و تضع الحربُ
عنها اوزارها * و انّ جدّه * كان عدّه * و لكن امر بطارقة الغزاة *
و الشواهين من كواسر جيشه و البزاة * و سراة السرايا و كرام كرمان *
و احلاس خيل السواحل و قروم قرمان * و اجناد ولايات منشا واساورة
صاروخان * و جميع امراء التومانات و الصّناجق * و اصحابَ الرايات
و رؤسَ الفيالق * و نُوّابَ جميع الثغور و الامكنة * مما هو جار
تحت تختي بروسا و ادرنة * و كلّ من دبّج البحر الاخضر * من
بني الاصفر * عن رايته البيضاء بالدّم الاحمر * و فلق سويداءَ كلّ
عدو ازرق * بسهامه السود على جواده الابلق * ان يعملوا مصلحتهم *
و يأخذوا حِذرهم و اسلحتهم * و استعان في ذلك بكل بطريق و علجٍ
مارجي * داخلٍ في امان المسلمين على قتال كل باغ و خارجي *
و استدعى التتار * و هم قوم ذو يمين و يسار * ناس سوانج *
لهم مواش نواتج * ملأوا الاقطار بمواشيهم * و علوا الشواهق و البوادي

برؤسهم و حواشيهم * ربما يكون لواحد منهم عشرة آلاف جمل * ما منها واحد حَمَل * و مثل ذلك افراس * ما أسرج لها ظهر و لا ألجم راس * و اما الغنم و البقر * فلا يحصى عددها و لا يحصر * و ما يعلم جنود ربك الا هو و ما هي الا ذكرى للبشر * لهم في ممالك الرم و قرمان الى ضواحي سيواس مشتات و مصائف * و للملوك و السلاطين عليهم اعتماد كما لهم في انواع المبرات وظائف * لو قصدهم فقير او غريب * او طالب علم او اديب * جمعوا له من الغنم و البقر * و الصوف و الشعر و السمن و الاَقِط و الوبَر * ما يكفيه و ذوبه الى آخر العمر * و كانوا يُسَمَّون لكثرتهم و و ما معهم من الامم * ثمانية عشر الف عالم * فلبّى كلٌّ من صدى هولاء الجبال مدى صوته بالاجابه * و بادر الى امتثال اوامره بالاطاعة و الانابه * و انبعث اليه التتار بقَضّهم و قضيضهم بعثا * و قُتِتْ اليه اطواد عساكرها و بحار جنودها قَتّا * و حث على ملاقاة تيمور عساكر الغزاه و المجاهدين حَثّا *

ذكر ما فعله ذلك الخداع المكار * و دمقه في تفخيذه عن ابن عثمان جنود التتار *

و تلبّثَ تيمور في امره * و استورى زِنادَ فكره * فأورى زِنادُه ناره * ان يُفَخِّذَ عن ابن عثمان تتاره * فارسل الى زعمائهم * و الكبار من آمرائهم و رؤسائهم * و اميرهم يدعي بالفاضل و كان في المكرمات من الافاضل * غير انه ما مارس الايام * و لا اطلع على مكائد اللئام * ان حَسَبكم حسَبي * و نسبكم متصل بنسبي * و ان بلادنا بلادكم * و اجدادنا آجدادكم * فكلنا فروع نبعة * و اغصان دوحة * و انّ آباءنا من قديم العصر و غابر الدهر نشأوا في

عُشٍّ متوحِّد * و درجوا في وكرٍ غير متعدِّد * فانتم في الحقيقة شُعْبة
من شُعَبي و غصن من اغصاني * و جارحة من جوارحي
و خالصتي و خلاني * و انتم لي شعار * و باقي الناس دِثار *
و ان كان الناس ملوكا بالاكتساب * فانتم ملوك بالانتساب * و ان
آباءكم من قديم الزمان * كانوا ملوك ممالك توران * فانتقل منهم
طائفة من غير اختيار * الى هذه الديار * فاستوطنوها و هم على
ماهم عليه من الكرامه * و شعار السلطنة و اسباب الزعامه * و لم
يزالوا على هذا النشاط و الهِزَّه * الى ان اندرجوا الى رحمة
الله تعالى و هم على هذه العِزَّه * و كان المرحوم ارتنا آخر ملوككم *
و اكبر مالك في بلاد الروم اصغر مماليككم * و ليس بحمد الله في
شوكتكم قُلَّه * و لا في كثرتكم قِلّه * فانّى رضيتم لانفسكم بهذه الذله *
و ان تصيروا مسخَّرين * كادكم من المسخَّرين * و بعد ان كنتم
اكابر مكبَّرين * كيف صرتم اصاغر مصغَّرين * و لستم بدار هوان
و لا مَضْيَعَة * و ارض الله واسعة * و لِمَ صرتم مرقوقي رجل من اولاد
معتوقي * عليّ السلجوقي * و لا ادري ما العلة لهذا و السبب *
و من اين هذا الاخاء و النسب * سوى عدم الاتفاق * و انتفاء
الاتساق * و على كل حال فانا اولى بكم * و احق بعمل مصالحكم
و تهيئة اسبابكم * و ان كان لابد من استيطانكم هذه التخوم *
و بيع تلك البلاد الفسيحة بمضائق ممالك الروم * فلا اقل
من ان تكونوا كاسلافكم حُكّامها * مالكي نواصي صياصيها ـ
راقين سنامها * باسطي اياديكم فيها ـ قابضين زمامها *
و هذا المهم انما يتم اذا كفينا هذه المنازله * و قضينا الارب من
هذه المناضله * و تمهد لنا الميدان * و ارتفع من البين ابن

عثمان * فاذا خلا الجو من المنازع * و صفت لي في هذه البلاد المشارع * و ظفرتُ بهذه الممالك * و سلكتُ فيها الطرق و المسالك * اعطيتُ القوس باريها * و انزلتُ الدار بانيها * و رددتُ المياه الى مجاريها * و جعلتكم ملوكَ قُراها و صياصيها * و مُدُنها و ضواحيها * و قررتُ كلَّ واحد منكم على قدر استحقاقه فيها * و ان رأيتم ان لا تُعينوا علينا * و امكنكم ان تنحازوا الينا * فاغتنموا فرصتكم * و خذوا من انتهازها حصَّتكم * فانكم قريبون منا صورة و معنى * و اما الان فكونوا بظاهركم مع ابن عثمان و بباطنكم معنا * حتى اذا التقينا امتازوا * و الى عساكرنا انحازوا * و لا زال فحل كلامه ينزو على حجْرِ حجْرِهم و لا يجفُر * مُزخرفا بتمويهات تزري فصاحتها بكلام الاسود بن يعفُر * غائصا في دُردُورِ افكارهم ليردها عن ان تتبع ابن عثمان و تقفُر * كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفُر * حتى خلبهم بهذا المقال * و استخفهم في معنى ما قال * و استهواهم حبُّ الرياسة الذي طالما استرق احرار الصديقين * و استعبد كبار الاولياء و الصالحين * و كبكب في النار على الرؤس رؤس العلماء العاملين * فوافقوه على الانخزال * عند الموافقة للنزال *

* ذكر ما صنعه ابن عثمان من الفكر الوبيل وتوجهه الى ملاقاة تيمور بعسكره الثقيل *

فاما ابن عثمان فانه خاف منه الهجوم * على بلاد الروم * لان الزروع كانت قد استحصدت * و صدور الفواكه و الثمار قد استنهدت * و خضراوات الارض قد اسودت * و الرعايا في ظل الامن و الرفاهية قد امتدت * فخشي ابن عثمان ان يصيب العباد منه ضرر * او يتطاير الى قبائل بلاده من لهيب ناره شرر * فبادر الى ملاقاته * و ساقته

سوائق المَنون الى شرب كاسها في مساقاته * و اراد ان يكون مُصطدمُ الناس * خارج بلاده على ضواحي سيواس * فاجرى من عساكره السيولَ الهامره * و اخذ بهم على قِفار غامره * حذرا على رعاياه * من مواطئ مطاياه * فانه كان على الضعيف من رعيته شفيقا * و بالفقير من حشمه و خدمه رفيقا * يحكى انه كان في بعض مغازيه * فعطش بعض حواشيه * فاتى في قرية بعض النساء * فطلب منها شربةَ ماء * و كانت اسأمَ من البَسُوس * يُضرب بها المثل في اللوم و البؤس * فقالت ما عندي ما تشرَب * فخذ طريقك و لا تتعب * و كان العطَشُ قد غلبه * و رأى عندها في بعض القعبة شربة لبن فشربه * فقالت هذا قوت الصبيان * و اشتكت عليه لابن عثمان * فطلبه و استفسره * فخاف شدة نقمته فانكره * فقال للمرأة انا ابعج قَبْقَبهَ * و اتبينُ صدقَهَ و كَذِبَه * فان ظهر في بطنه اللبن * اعطيتك الثمن * و ان تبينتُ بالصدق قولَهَ * جعلتك مُثلةً مِثلَه * فقالت و الله انه شربه * و ما رُمتُ في حقه بكذبه * و لكني فرّجتُ كربتَه * و ابرأتُ ذمّتَه * فقال لابد من اجراء العدل * و انهاء هذه الحكومة بالفصل * ثم دعا بالسيف و وسّطَه * و اجرى على بطنه ما شرطه * فانفجر بطنه و هو منعفر * و جرى اللبن و هو بدمه مُتمذقر * فاشهره في الوثاق * و نادى عليه هذا جزاء من يتناول في دولة المالك العادل ابن عثمان شيأ بغير استحقاق * ثم ان ابن عثمان تابع الترحال * و سالك في رمضان السفرَ صومَ الوصال *

ذكر ما فعله ذلك الساقطه * مع ابن عثمان و مكره من المغالطه *

و لما بلغ تيمور ان ابن عثمان اخذ على الطريق العامره * نبذه

نبذ اليهود كتاب الله وراء ظهورهم و اخذ على الجادة العامرة * فدخل هو و عسكره على ظلال و عيون * و فواكه مما يشتهون *

و لسان حالهم الفصيح * ينشد في الافاق و يصيح * شعر

ولست أبالي بعد ادراكي العلى * ا كان تراثا ما تناولت ام كسبا

فلم يزالوا في مراح و زروع * و مراع و ضروع * بين سدر مخضود * و طلح منضود * و ظل ممدود * و ماء مسكوب * و هواء بالراحة مصبوب * و نعيم بالسلامة مصحوب * في امن و دعه * و خصب و سعه * آمنا من الوجل * سائرا على غير عجل * مستيقنا بالنصر والظفر * مستبشرا بالملك والوزر * مستتبعا تدبيره القضاء و القدر * لا يبرد حرارة حميته * لتسخين عين عدوه و احراز المعنم البارد نقره * و لا في اكليل كواكب عساكره المنتظمة نثره * و لا بين آسود جيشه مكاسرة ولا نفره * ولا في قراهم الاعادي اللهذميات على موائد طعام طعانهم جبن و لا كسره * فلم يفق ابن عثمان من رقاده * الا و تيمور قد دمر على بلاده * فقامت عليه القيمة * و اكل يديه حسرة وندامه * و زأر و زقا * و التهب حنقا * و كاد ان يموت خنقا * وسلب القرار و الهجوع * و عزم في الحال على الرجوع * فتلاطمت من بحر عساكره امواجه * و تصادمت انباج اطواده و ابراجه * فرجع عوده على بدئه * و اغرى بوصال السير و حجئه * فنهكهم السير بسرعته * و المكان بقفرته * و الزمان بهجيره * و السلطان بزئيره * فلم يدركوه الا و قد ذاب كل منهم و صبا *

و تلا لسان حاله لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا *

فصل

و كان تيمور قد وصل الى مدينة انقره * و خيله و رجله مستريحة

مُوقَّرة * للقتال منتظرة * و للنزال متشمرة * بل لم يكونوا به مُكترثين * و لا به مختلفين * و قد سبقوا كصناديد قريش الى الماء * و تركوا عساكره كمُسلمي بدرٍ في جانب الظماء * فهلكوا كربا و آواما * و ذابوا عطشا بلا ما * و كأنه الى ذلك المنزل هو ارشدهم * و بلسان حاله انشدهم * شعر

يا ضيفنَا لو زرتَنا لوجدتَنا * نحنُ الضيوفَ و انت ربُّ المنزل

و انقرةُ هذه هي التي ذكرها الاسود بن يعفرُ في قصيدته الطنَّانَة و هي * شعر

نزلوا بانقرةٍ يسيل عليهم * ماءُ الفرات يجئ من اطواد

فاذا النعيم و كلما يلهى به * يوما يصير الى بلىً و نفاد

فلما تدانت الجيوش من الجيوش * و ضربت الوحوش على الوحوش * و امتلأت منهم الصحاري و القِفار * و تقابلت اليمارُ باليمين و اليمين باليسار * اندفعت من عساكر ابن عثمان التتار * و اتصلت بعسكر تيمور كما رسم اولا و اشار * و كانوا هم صُلْبَ العسكر * و الاوفر من عساكر ابن عثمان و الاكثر * حتى قيل ان جماعة التتار * كانوا نحوا من ثلثي ذلك العسكر الجرار * بل قيل ان ذلك الجُمهور * كان نحوا من ثلثي جند تيمور * و كان مع ابن عثمان * من اولاده اكبرهُم امير سليمان * فلما رأي ما فعله التتار * علم انه حلّ بابيه البوار * فاخذا باقي العسكر * و قهقرَ عن مَيدان المصافّ و تاخّر * و ترك اباه في شدة الباسا * و انخزل بمن معه الى جهة برسا * فلم يبقَ مع ابن عثمانَ الا المشاة و من داناهم * و بعض من الكماة و قليل ماهم * فثبت للمجادلة بمن معه من الرفاق * و خاف ان فرّان يقع عليه الطلاق *

و كأنه في تلك المعركة و المعكرة * كان متمثلا بما قاله عنترة * شعر
و لقد ذكرتك و الرماح نواهل * مني و بيض الهند تسفك في دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم
فصبر لحادث الدهر و ما ارم * و اراد ان يقفي على مذهب الامام
مالك بما به التزم * فاحاطت به اساورة الجنود * احاطة الاساور
بالزنود * و حين تيقنت الاسرة العثمانية بالكسره * و علمت انها
تورطت في جيش العسره * و تبددت الحماة * على الكماة * و استعملت
الاطبار * و كل صارم بتار * و كانوا في ذلك المصاف * نحوا من
خمسة آلاف * فنددوا انداداهم * و ابادوا اعدادهم * و لكن كانوا
كساقي الرمال بالكربال * او كائل البحار بالغربال * او محرر
اوزان الجبال * بقراريط المثقال * فامطروا على تلك اولئك الاطواد و
سقول ذوات تلك الاسود * من غمام القتام صواعق الديم المدميات
و امطار السهام السود * و نادى محرش القدر * و صياد
القضاء الكلاب على البقر * فلم يزالوا بين وقيذ و واقذ * و مضروب
بحكم سهم ماض في القضاء نافذ * حتى صاروا كالشذائم و القنافذ *
واستمرت دروس القتال بين تلك الزمر من الضحى الى العصر *
و انفتلت احزاب الحديد الى الفتح فتلت على الروم سورة
النصر * ثم لما كلت منهم السواعد * و قل المواصر و المساعد *
و تحكم فيهم الاباعد و المباعد * دققوهم بالسيوف و الرماح *
و ملأوا بدمائهم الغدران و باشلائهم البطاح * و وقع ابن عثمان
في قنص * و صار مقيدا كالطير في القفص * و كانت هذه
المعكرة * على نحو ميل من مدينة انقره * يوم الاربعا سابع
عشري من ذي الحجه * سنة اربع و ثمانمائة حجه * و قد قتل

غالبَ العسكر العطشُ و الضمّوز * لانه كان ثامن عشري تموز *

فصل

و وصل امير سليمان * الى بروسا معقل ابن عثمان * فاحتاط على ما فيها من الخزائن و الاموال * والحريم و الاولاد و نفائس الاثقال * و استغل بنقل ذلك الى برّ ادرنة * وراء البحر المحيط بكثير من الامكنة * المنشعب من بحر مصر الآخذ بعد ما يتدرّبس * الى بلاد الدشت و الكرج الفاصل بينه و بين بحر القلزم جبل الجركس *

ذكر ما وقع من الخباط * بعد وقعة ابن عثمان في كل ثغر و رباط

و لما حصل لرأس مملكة الروم هذه الوعكة * و اندعكت اجسامُ عسكرها الجسام اقوى دعكة * و اختفى عليهم الجندُ المشوم * و نعق في صباحها غرابُ البين و زعق في رواحها البوم * و تلا في محراب آذنها على جماعتها امام القضاء و القدر الم غُلِبَت الرّوم * خضعت رؤسها و نواصيها * و تزلزلت حصونها و صياصيها * و تزعزع دانيها و قاصيها * و انبهر طائعها و عاصيها * فحاصوا حيصة الحُمُر * و آيسوا من الاهل و الاوطان و المال و العُمُر * اذ قد ذهب منهم الراس * و لم يبق فيهم من يقيهمُ الباس * فلما سمعوا ان امير سليمان ضمّ الناس الى نحره * و عزم على العبور الى برّ ادرنة بقطع بحره * سالت بهم الاودية و الشعابُ اليه * و عوّلوا في خلاصهم من ذلك البلاء الطّامّ عليه * فصالح اهلَ استنبول و وادّهم * و عاهدهم على ان لا يغدرَ كلٌّ منهم بالاخر و مادّهم * ثم قصدهم ان يُعينوه على الوصول * بقطع البحر من ثغرَي كاليبولي و استنبول * اذ ليس لهذين البحرين * من هذين البرّين * طريق قريب و

معبر سوى هذين الثغرين * فان بحر اسكندرية * ياخذ على انطاكية * و علاية ثم يروم * بلاد الروم * فتحصره الجبال * قبل وصوله بلاد الشمال * فلا يزال في حصره يدق * و شفتا جانبيه ترق * حتى تترا آي حافتاه * و يكاد تنطبق شفتاه * و مسيرة هذا الانضمام نحو من ثلاثة ايام * ثم ياخذ في المد و الانبساط * و الجريان على وجه النشاط * ثم تدور كتائب امواجه و تتكردس * و تأخذ نحو بلاد الدشت و الكرج حتى تصل كما ذكر الى بلاد الجركس * و ما امكن احدا من سواحر الحكمة و مهندسي النوافث * ان يعزز هذين معبرين في مدى هذا الانضمام بثالث * فثغر كاليبولي بيد ملاحي المسلمين * و ثغر استنبول بيد النصارى اعداء الدين * و هو اعظم الثغرين * و اجسم المعبرين * و كانت النصارى ملاحيه * فصار غالب الناس يقصده * و ينتحيه * فاستطارت الفرنج فرحا و استطالت * و خاضت في دماء المسلمين و حريمهم و اموالهم و جالت * فان ابن عثمان كان بالحصار قد انهكها * واباد قراها وضواحيها و اهلكها * و ضيق على اهلها في مجاري ارواحهم مسلكها * فبينما هم و قد بلغ السيل الزبا * و جاوز الحزام الطبيا * و انشب كل شر فيهم حده * و اذا بتيمور جاءهم بالفرج بعد الشدة * فاندفع عنهم بالضرورة ابن عثمان * و حصل لهم بذلك الفرج و الامان * و زاد ذلك بان احتاج المسلمون اليهم * و تراموا في طلب الخلاص من العدو عليهم * فبعد ان زالت عنهم الغصص * اغتنموا في درك الثارات من المسلمين الفرص * فجعلوا يوسقون المراكب من الناس و الحمول * و يتوجهون بذلك الى صوب استنبول * و ان استنبول وراء ذروة جبل * و منحرفة خلف قلة من القلل * و هي من اكبر مدن

الدنيا * حتى قيل انها قُسطَنطِينِيَّةُ الكُبرى * فكانوا اذا عطفوا وراء تلك الذُّروة بالمراكب * و استتروا بالهضبة الناتئة عن عين من هو في هذا الجانب * يصيرون كالاموات النازلين الى الحفائر * الملقين في قعر اللحود و المقابر * لا يدرى الى اينَ يتوجّهون * و الى ايّ نادٍ يصيرون * الى برِّ السلامة والاسلام * ام الى دار الحرب و أسْر الكفرة الطغام * فيذهب منهم الذاهبون * فلا يستطيعون توصيةً ولا الى اهلهم يرجعون * فاذا جاءت المراكب و هي فوارغ * تعاق كلّ مِن هذه الخلائق فيها بجُهْد كامل و جِدٍّ بالغ * و لم يدر ما ذا يجري عليه * و الى ما ذا يصير امره اليه * و اشبهوا في ابصارهم الكليلة و خطوبهم الجليله * مالكا الحزين و السمك المذكورين في كتاب كَليلَه * و حاصل الامر انه لم يسلم * من ذلك السواد الاعظم * في كل غراب ادهم * الا مثل الغراب الاعصم * و استطالت أعداء الدين * كيف شاءت على المسلمين * و قطع امير سليمان البحر * و استولى على ذلك البر * و ضبط ممالكه * و ربط مسالكه * و هو اوسع من هذا الجانب و انسح مرجا * و آدرُّ ربعا و اكثر خراجا و مَخْرجا * و اعظم حصونا و امكنه * و تحته مدينة ادرنَه * فاجتمع الناس على امير سليمان * و سهُل الامر في الجملة شيأما و هان *

ذكر اولاد ابن عثمان * وكيف شتتهم و ابادهم الزمان

و كان للسلطان بايزيد المذكور * من الاولاد الذكور * امير سليمان هذا و هو اكبرهم * و عيسى و مصطفى ومحمد و موسى و هو اصغرهم * و كل منهم طلب لنفسه مهربا * و انحاز اليه من ابيه طائفة نجبا * فكان منهم محمد و موسى في قلعة اماسيه * و هي

خرشنةُ الشاهقةُ العاصيه * التي قال فيها ابو الطيب * شعر

حتى اقام على اَرباضِ خرشَنَة * تشقى به الروم و الصلبان و البِيَعُ

للسبي ما نكحوا للاسر ما ولدوا * للنار ما زرعوا للنهب ما جمعوا

و قُلّةُ قلعتها شاهقه * كانها بقبة الفلك عالقه * يعيى النازلُ عنها

في نزوله منها * اكثر مما يعيى الصاعد الى غيرها * يسميها اهلها

بغداد الروم * لان قرار ارضها بقدر كبير من الوسط مقسوم * و بينها

و بين توقات مسيرة يوم للسجاء * و اما عيسى فانه لجأ الى بعض

الحصون و استكان * الى ان قتله اخوه امير سليمان * و موسى فيما

بعد قتل امير سليمان بعيسى * ثم ان محمدا قتل بعد الكل موسى *

و نسخت الاحكام المحمديه * شرائع الملة الموسوية و العيسويه *

الى ان مات حتف انفه في اوائل سنة اربع و عشرين و ثمانمائة

او مات بشيء دُسّ اليه على يد قوجقار في الهدايا الملكية المويديه *

و انتقل الملك من يده * الى مراد ولده * و هو في يومنا هذا

اعني سنة اربعين و ثمانمائة مستقل به * و اما مصطفى فانه قد

فقد و قتل نحو من ثلاثين مصطفى بسببه *

عودا الى ما كنا فيه * من امور تيمور و دواهيه

ثم ان تيمور لما قبض على ابن عثمان * جرّد الى بروسا طائفة من

الجنود و الاعوان * و اضافهم الى شيخ نورالدين * ثم اتبعهم بوقار

مكين * و جاش مستكين * فوصل اليها * و نزل نزول القضاء

المبرم عليها * و ضبط ما وصلت اليه يده من جماعة ابن عثمان

و حرمه * و امواله و خزائنه و حشمه و خدمه * و خلع على آمراء

التتار و رؤسهم * و استعطف خواطرهم بتطييب نفوسهم * و وزع

آمراءهم على آمرائه * و اضاف كل ظهر منهم الى رأس من

رؤسائه * و وصّاهم بهم و عليهم * و بالغ في ان يصلوا ما امكنهم من البرّ اليهم * و مشى على مشيه القديم * في استخلاص النفائس و اقتناص النفوس و سبي الحريم * و جعل يُحضِرُ بن عثمانَ كلَّ يوم بين يديه * ويُلاطفه و يُباسطهُ و يترقّق اليه * و يسخر منه و يضحكُ عليه *

ذكر ما فعله مع ابن عثمان من نكاية * غدت باوصافه القبيحة على مر الزمان حكاية

ثم انه في بعض الايام جلس في مجلسٍ عام * وخفض جناحَ النشاط للخاص و العام * وطوى بساطَ النهي و الامر * ومدَّ سماطَ الخمر و الزمر * وحين غصَّ بالناس المكان * استدعى سريعا ابنَ عثمان * فجاء و فؤاده يرجُف * وهو في قيوده يرسُف * فسكَّن قلبَه * و ازال رُعبه * ثم احسن جُلوسه * و ازال بالاهتشاش اليه عُبوسه * ثم امر بافلاك السرور فدارت * وبشموس الراح ان تسير من مشرقِ اكواب السُّقاة الى مغرب الشفاهِ فسارت * وحين تقشعت عن شموس السقاة سحابُ الخُدور * ودار في سماء العِشرة نجوم يحتثها من مراسيمه بُروز و بُدور * نظر ابنُ عثمانَ فاذا السُّقاة جواريه * و عامتهم حَرَمُه و سراريه * فاسودّت الدنيا في عينه * و استحلى مرارة سكرات حينه * و تصدّع قلبُه * و تضرّم لُبُّه * و تزايد كَمَدُه * و تفتّتَ كبدُه * و تصاعدت زفراتُه * و تضاعفت حسراته * و نُكيَ جُرحُهُ * و اُغِذَّ قرحه * و نُثِرَ على جُرْحِ مُصابه من قصبات اسى ملحه * و كانت هذه نكايةً لابن عثمان بما اسلفه * في مكاتباته بذكرة النساء وحلفه * لانه سبق ان ذكر الحرم عند الجغتاي و قبائل الترك من اكبر الجرم * و اعظم من الخيانة

في الحَرَم * و ايضا مكافاةً لما فعله ابن عثمان * مع حريم طَهَرْتَنْ في ارزنجان * و من تمام إساءته لابن عثمان * احسانه لاولاد ابن قَرْمان * و كان قبل ذلك ابنُ عثمان * قد استولى على ممالك قَرْمان * و قتل متوليها السلطان علاء الدين بعد ان حاصره و قبض عليه * و نقل الى حبس بروسا محمدا و عليا ولديه * فلم يزالا عنده في ضيق و ضَنْك * حتى افرج عنهما بالحبس عليه تمر لنك * فاخرجهما و خلع عليهما * و ابرّهما و احسن اليهما * و اواهما مأواهما * و ليس ذلك لحب عليٍّ كرّم الله وجهَهُ و لكن لبغض معاوية * قلت *

ولم يرفُضْ معاويةَ محبًّا * عليًّا بل لان ربّى يزيدا

* و قيل *

و ليس لحبّة يحنُو عليه * و لكن بُغْضِ قومٍ آخرينا

* و قلت بديها *

أصادِق ضِدَّ اعدائي و ان لم * يَكن بيني و بينهم وِلاءُ
وابغض من يعادي لي صديقا * و ان اثنى عليَّ بما آشاءُ
و ذاك لينتكي ضدّي و يهنا * فتىً قد سرّني منهُ الاخاءُ

و الامير محمد هذا هو الذي قبض عليه الامير ناصر الدين * محمد بن دلغار امير التراكمة المفسدين * و قتل ولده مصطفى في البلا * و جهّزه الى الملك المؤيد مُكَبَّلا * و ذلك في شهر رجب سنة احدى و عشرين و ثمانمائة *

ذكر وفود اسفنديار عليه * ومثوله سامعا مطيعا بين يديه

ثم ان الامير اسفنديار بن بايزيد * و هو احد ملوك الروم و له في السلطنة قصر مشيد * و رِثَ الملكَ عن ابيه و كان مستقلا

بالامرة * وبينه وبين الملوك العثمانية عداوة موروثة و نفرة * و تحت حكمه بعض مُدنٍ وقلاع * و اوهد و بقاع * منها مدينةُ سينوب الملقبة بجزيرة العشاق * يَضربُ بظرافتها المثل في الآفاق * و هي في الغمر من البحر في جزيرة كبيرة * سبيل الدخولُ اليها عسيرة * بها جبل احسنَ من ارداف الحُور * متصلٌ بمعبرٍ ادقّ من رقيق الخصور * و هي معقل إسفنديار و معاذه * و حرز خزائنه و ملاذه * اعصى من ابليس * و اوثق من كف بخيل يخافُ التفليس * و منها قسطمونّية تخت ملكه * و بحر فُلْكه * و منها سام سُون و هي قلعة على جانب البحر للمسلمين * مقابلتها نظيرتها للنصارى المجرمين * بينهما دون رمية حجر * و كل منهما آخذة من الاخرى الحذر * و غيرُ ذلك من القلاع و القُرى * و القصبات في الوهد و الذُرى * و لما بلغه ما فعله تيمور الغدار * مع اولاد بن قَرْمان و التتار * و مع قرايلوك و طَهَرْتن حاكِم ارزنجان * و الامير يعقوب بن علي شاه متولي كرمان * و من توجه اليه من حكام منشا و صاروخان * و انه لا يهيّج من اطاعه * و تلبّس لاوامره بالسمع و الطاعه * سارع الى المثول بين يديه * و تهيأ للوفود عليه * فاقبل بالتحفِ العاليه * و الطرف الغاليه * فقابله بالبشرى * و عامله بالسرّا * و اقرّه في مكانه نكايةً لابن عثمان * ثم امره و اولادَ قَرْمان * و من اتّسمَ له بميسم الطاعة و الاذعان * من آمراء تلك الاكناف و الاكنان * ان يخطّبوا و يضربوا السكة باسم محمود خان * و الامير الكبير تيمور كوركان * فامتثلوا اوامره * و حذروا زواجره * و امنوا بذلك الغارة و المصادرة * و توفي اسفنديار المذكور * في شهور سنة ثلاث و اربعين و ثمانمائة و هو طاعن في السن و هو من آواخر

ملوك الذين وفدوا على تيمور * و استولى بعده على ممالكه ولده ابراهيم بك و وقع بينه و بين اخيه قاسم بك مشاجرات و انحاز قاسم الى الملك مراد بن عثمان * و لله الامر من قبلُ و من بعد *

فصل

ثم ان تيمور اخرج ما لابن عثمان وغيره من الذخائر * و استصفى لخزائنه ما كان ارثا و كسبا لملوك الاروام من النفائس و الاخائر * وشتّى في ولايات منشا * و القى لدروسها مباحث تصريفه كيف شا * و انتهى الى اقصاها * و حرر البحث في مسائل الخُمْس و المغانم فاستقصاها * و انبثّت جنوده في آفاقها * و غاصت في بحار ممالكها من آثباج أطوادها الى قرار اعماقها * فمن فارعٍ الى جبال جِباهها وقِمَم صياصيها * و من متعلق بآذان مراميها و متسلق باذيال نواصيها * و من راكب اكتاف اكنافها نازل في سواحلها * دائس بارجُل سَعْيه خدود روضها الأَنُف جائس بكاهل مناهلها * و من دامغ دماغَها باهداب رماحه لأجْل العين * بالغ من غير حاجب له منها ما رام باليد و اليدين * و من حالّ على نهد صدرها * تالٍ روسَها و وجوهَها للجبين على ظهرها * و من مادّ انامل تعديه من غير كَفٍّ الى معاصمها و مرافقها * كاد باقدام الفساد في بطون مغاربها و افخاذ مشارقها * فجزّوا الروس و حزّوا الرقاب وفتّوا الاعضاد * و بتّوا الاكتاد و حرقوا الاكباد * و شوّهوا الوجوه و اسالوا العيون * و اشخصوا الابصار و بطّوا البطون * و اخرسوا الالسنه و صكوا المسامع و ارغموا الأُنوف و اذلّوا العرانين و هشموا الثُغور * و حَطَموا الصدور و قصموا الظهور * و دقوا الفِقَر * و شقوا السُرر * و اذابوا القلوب * و فطروا المرائر *

و ارقوا الدماء * و استحلوا الفروج * و احروا الانفاس * و ابادوا النفوس * و سبكوا الاشباح * و سلبوا الارواح * و لم تخلص من شرهم من رعايا الروم الثلث و لا الربع * و صارت جماعاتهم فيهم ما بين منخنقة و موقوذة و متردية و نطيحة و مأكل السبع *

ذكر فتح قلعة ازمير و صفها * و نبذة من عجيب وضعها و وصفها

و حاصر قلعة إزمير * و هي حصن في وسط البحر مناله عسير * بهمزة مكسورة و زاي معجمة * و ميم مكسورة و ياء ساكنة و راء مهملة * قلعة قد أقلعت في البحار * و اضرمت في قلب خاطبها بتمنعها و عصيانها النار * اعصى من قلاع الجبال * و اقصى في المنال ان تنال بخيل و رجال * فاعد لها انواعا من آلات المحاصرة * و اخذها يوم الاربعاء عاشر جمادى الاخرة * سنة خمس و ثمانمائة * سادس كانون الاول من السنين الرومية * فقتل كبارها * و اسر نساءها و صغارها * و بنى من ابدان القتلى جوامع و شيد من رؤسها منارها * ثم سلب عن القلعة غناءها و افقرها * و اقواها من ذخائرها و اقفرها * و اخلاها و قد استصفى منها ابيضها و اصفرها * و طير بهذه الامور اجنحة البشائر * و اطارها على رغمه في الآفاق باسعد فال و اسرع طائر *

ذكر ما صنعه من امر مروم * و هو في بلاد الروم * من قصده بلاد الخطا * و استخلاص ممالك الترك و الجتا * و افتكاره و هو في الغرب مشغول * في استصفائه سائر ولايات الشرق و المغول * وكيف

عائدة القضاء المبرم * بنازل الهب فوداه واضرم * فصادمه الزمان و عكس غرضه * و عده كالجملة المعترضة *

ثم ان تيمور كان قد استدعى عن سمرقند سِبْطه * محمد سلطان و الاميرسيف الدين و رَهْطه * كما ذكر اولا و كان محمد سلطان هذا للفضلاء ملاذا * و للعلماء معاذا * مخائل السعادة في غُصون جبهته لائحه * و بشائر النجابة من اسارير طلعته واضحه * شعر

في المَهْد يَنْطق عن نجابة جده * اثر السعادة لائح البرهان

و سيف الدين هذا هو احد رفقاء تيمور في مبدأه * و آسُّ اركان دولته في منتهاه * و هما اللذان كانا بذيا اشجاره * و اسَّسا فيها قواعد النهب و الغار * و هي في فحر بلاد المغول و الجتا * و اقصى حدود ما ينتهي اليه حكم تيمور و مبدأ بلاد الخطا * و ولّيا بها اميرا يدعى ارغون شاه * و امداه بطوائف من العساكر و في ثغر المغول ارصداه * كل هذه الامور * باوامر تيمور * و لما شرعا في ذلك * لم يرض المغول بهذا الفعل الحالك * لانهم كانوا يعلمون ان ذلك الافعى * اذا جاورهم لا بدّ انه في الفساد يسعى * فلا يأمنون غائلته * و لا يُطيقون مجاورته * فتشوّشت خواطرهم * و تكدرت ضمائرهم * فاستوفزوا للفرار * و إخلاء الديار * فزاد الجغتاي فيهم طَمَعا * و مدّ كل من اشرار الطائفتين الى الاضرار يد التطاوُل و رِجلَ الفساد و سعى * و شَرِب كاساتِ التحرّم فاكل ما حلّ بيده و ما تزهّد في تعفّفه وَرَعا * و فرح الجغتاي بذلك * و وقعت العداوة بين الجانبين فسد كل على الاخر طُرُق المسالك * و جعلوا يُرسلون اليهم السرايا * ويُحلّون

بما تصل يدهم اليه من متعلقاتهم البلايا * وجعل المغول ايضا يفعلون
مع الجغتاي ذلك * و تربّصوا بتيمور لبُعْده عنهم ريب المنون و
تشبثوا بعشوبات المهالك * و اتصل الخبر بتيمور * فسُرّ بذلك
اشد السرور * ثم انهما حصناها بالاهبة الكاملة * و العُدّة الشاملة
و الرجال المقاتلة * منهم طائفة من عساكر الهنود و مُلْتان * و قوم
من جند عراق العرب و اذربيجان * و فرقة من فوارس فارس
و خراسان * و شرذمة من آناس تدعى جاني قُربان * و اضافوا
هؤلاء الكماة * مع تومان من ياشاق الجغتاي الى الامير ارغون
شاه * و وصلا الى خجند * و قطعا سيحون و قدما سمرقند * و وليا
بها اميرا يدعى خواجه يُوسف * فكان في قيد الطاعة و الاخلاص
يرسّف * ثم خرجا من سمرقند قاصدين ذلك الغشوم * ثم انهما
ماتا جميعا سيف الدين في خراسان و محمد سلطان في بلاد الروم *
فوقع تيمور في الاحزان * على حفيده محمد سلطان * و لبس
عسكره السواد * و اقاموا شرائط الحداد * و لم يكن بهم حاجة الى
السواد المعلم * فانهم كانوا السواد الاعظم * ثم جهّز عظامه في تابوت *
الى سمرقند مع عظموت و جبروت * و رسم ان يتلقاه اهل المدينة
بالنوح و البكاء * و يقيمون عليه شرائط العزاء * و ان لا يبقى احد
من العباد * الا و يلبس من فرقه الى قدمه السواد * فخرج اهل
سمرقند عند موافاته * و قد انغمسوا في السواد لملاقاته * و صار
الشريف و الوضيع و الدني و الرفيع بالسواد مُتّعلما * فكأنما أغشي
وجه الكون قطعاً من الليل مظلما * فدفنوه بمدرسته المحصينة المعروفة
بالشاية * داخل المدينة و ذلك في سنة خمس و ثمانماية *
و لما اهلك الله تعالى جده * دفنوه كما سياتي ذكر ذلك عنده *

ذكر حلول غضب ذلك الصياد * على الله داد * ونفيه اياه الى اقصى البلاد *

و لما توجه الثقل من ماردين صحبة الله داد * و فارقه تيمور متوجها الى استخلاص بغداد * و كان الله داد * له انداد * و اكفاء و حساد * و اعداء و اضداد * و الحسد في عنق صاحبه غلّ قمل * و تحاسد الاكفاء جرح لا يندمل * وجد اعداؤه للطعن فيه مجالا * و في مقام تلبب عرضه مقالا * فانتهزوا فرصة غيبته * و اكلوا بلا ملح لحمه و تنقلوا بغيبته * و وشوا به الى تيمور * و ذكروا ما فعله فى الشام من الامور * و انه التمس من ذخائرها ما لا يحصى * و اختلس لنفسه من نفائسها و تعلق به من اعلاقها ما لا يستقصى * و كان كما قالوا * و ما اهملوا اكثر مما نالوا * فبددوا امره * و اوغروا عليه صدره * لا سيما و قد قص جناحه بموت سيف الدين اخيه * و كان من الأبهة و المهابة بحيث ان تيمور كان يخافه و يرتجيه * و له في ممالك ماوراء النهر مآثر مشهودة * و نتائج فكر باقية معهودة * فلما وصل الله داد الى سمرقند * اعقبه تيمور مرسوما من عنده * بان يتوجه الى اشباره * و يستعد هناك للنهب و الغارة * و ذلك كالنفي لاله داد * و القائه في اقصى البلاد * و طرحه في نحر المخالفين وثغر ذوي العناد * و انتقل منها الى سمرقند ارغون شاه * و لم يزل بها الله داد الى ان انتقل تيمور الى لعنة الله * فجعلت المغول تجهز الى اشبارة الفيالق * و تنهب ما تصل اليه يدها من صامت و ناطق * و تغتنم الفرصة لبعد تيمور عنها * و كان الله داد يحترز اشد الاحتراز منها * و هو مع ذلك يجهز لهم التجاريد * و يحفر لهم بالمكر الأبار و الاخاديد * و يقتل و يأسر * و

يطحن و يكسر * حتى اقواها بعد تيمور * و سيأتي ذكر هذه الامور *

نموذج يدل على عمق ذلك البحر المحيط *
وما كان يصل اليه غواص فكره النشيط

ثم لما كان تيمور المشوم * مخيما ببلاد الروم * ابرد الى الله داد مراسله * فيها امور مجملة و مفصله * امره بامتثالها * و ارسال الجواب بكيفية حالها * منها ان يبين له اوضاع تلك الممالك * و يوضح له كيفية الطرق بها و المسالك * و يذكر كيفية مدنها و قراها * و وهدها و ذراها * و قلاعها و صياصيها * و ادانيها و اقاصيها * و مفاوزها و اوعارها * و صحاريها و قفارها * و اعلامها و منارها * و مياهها و انهارها * و قبائلها و شعابها * و مضائق طرقها و رحابها * و معالمها و مجاهلها * و مراحلها و منازلها * خاليها و آهلها * بحيث يسلك في ذلك طريق الاطناب الممل * ويتجنب مأخذ الايجاز و خصوصا المخل * و يذكر مسافة ما بين كل منزلتين * و كيفية السير بين كل مرحلتين * من حيث تنتهي اليه طاقته * و يصل اليه علمه و درايته * من جهة الشرق و ممالك الخطا و تلك الثغور * و الى حيث ينتهي اليه من جهة سمرقند علم تيمور * و ليعلم ان مقام البلاغة في معاني هذا الجواب * هو ان يصرف فيه ما استطاع من حشو و تطويل واطناب * و ليسلك في بيانه الطريق الاوضح من الدلاله - و ليعدل عن الطريق الخفي في هذه الرساله * الى ان يفوق في وصف الاطلال وحدود الرسوم * و تعريف الدمن مضغة الشيح و القيصوم * فامتثل الله داد ذلك المثال * وصور له ذلك في احسن هيئة و آنق تمثال * و هو انه استدعى بعده اطباق ...

نقي الاوراق و احكمها بالالصاق * و جعلها مربعة الاشكال * و وضع عليها ذلك المثال * و صور جميع تلك الاماكن * و ما فيها من متحرك و ساكن * و اوضح فيها كل الامور * حسبما رسم به تيمور * شرقا و غربا * بعدا و قربا * يمينا و شمالا * مهادا و جبالا * طولا و عرضا * سماءً و ارضا * مَرداء و شجراء * غبراء و خضراء * منهلا منهلا * و منزلا منزلا * و ذكر اسم كل مكان و رَسْمه * و تمييز طريقه و وسمه * بحيث انه بيّن له فضاه و عَيْبه * و ابرز الى عالم الشهادة غيبه * حتى كانه مشاهدهٌ * و دليله و رائدهٌ * و جهز ذلك اليه * حسبما اقترح عليه * كل ذلك و تيمور * في بلاد الروم يمور *

ذكر ما فعله ذلك المكار * عند تنجيزه امر الروم من الغدر بالتتار

و لما صفا لتيمور شِرب ممالك الروم من الكدر * و قضى الكون من افعاله العَجَب و اهل الروم النَّحْب و جيشه من الغارة الوَطَر * و امتلأ من المغانم وادي سيله العَرِم * و كان فتى الربيع قد ادرك و شيخ الشتاء قد هَرِم * و اندرج الى رحمة الله المجيد * السلطان السعيد * الغازي الشهيد ايلدريم بايزيد * و كان معه مكبّلاً في قفص من حديد * و انما فعل ذلك تيمور * قِصاصا كما فعله قيصر مع شابور * و كان قصَد استصحابه الى ماوراء النهر * فتُوفي معه في بلاد الروم في آق شهر * و في هذا المكان * تُوفي حفيده محمد سلطان * و عزم على الرحيل * و حزم احمال التحميل * ثم جمع رؤس التتار * و قد اضمر لهم الدمار و البوار * و قال قد آن ان أكافيكم بما صنعتم * و آجازيكم بما فعلتم * و لكن قد اضرّ بنا المقام * و مَلِلْنا الاقامة في مضائق الاروام * فهلمّ نخرجْ الى

الفضاء الفسيح * و تشرح صدورنا من ضيقي الزمان و المكان في المهامه الفيح * ضواحي سيواس * و متنزه الناس و مثوي الاكياس * فهنالك نضبط احوال هذا الاقليم الوريف * و نقرر كلا منكم فيه حسبما يقتضيه رأينا الشريف * فانه لابد من تفصيل جمله * و امعان النظر في كيفية تدبيره و عمله * و حصر مدنه وقلاعه * و ضبط قراه و ضياعه * و حسبان تواميته و اقطاعاته * والاحاطة بافراده و جماعاته * فاذا فصل لنا ما أجمل * و وضح عندنا ما منه استشكل * فحصنا عن رؤسكم و جماجمكم * و توصلنا الى معرفة اخباركم و تراجمكم * و جمعنا رؤساءكم * و حصرنا زعماءكم * و احصينا اعدادكم * و استقصينا آباءكم و اجدادكم * و اعتبرنا اخوانكم و اولادكم * و نظرنا متعلقيكم و احفادكم * و تحققنا شعار الروم و دثارهم * و اورثناكم ارضهم و ديارهم * ثم فرضنا هذه المسئلة على اعداد الرؤس * و قسمنا نفائس هذه الممالك على النفوس * ثم رددنا كم اليها مكرمين * و كفيناكم و عيالكم العيلة اذ كنتم علينا معولين * و على كل حال فانا نفعل مع كل منكم ما يجب فعله * و نبقي عليكم من افعالنا ما يتخلد في بطون الدفاتر و التواريخ نقله * فكل منهم ارتاح لهذا القول * و عول في هذه المسألة على موافقة الرد و لم يعلم ما فيها من الغول * فلما توافقوا على هذه الحركة بنفس ساكنه * لم يتخ منهم في هذه الموافقة على كثرة عدد رؤسهم المتماثلة مباينه * فسار بالناس * حتى بلغ سيواس *

فصل

و لما برق ركام ركابه المتراكم في آفاق سيواس و رعد * و حان له

ان يفي لطائفة التتار بما وعد * جلس جلسة عامه * و اتام من زبانية الجند طائفة طامه * ثم دعا من التتار الوجوه و الروس * و الظهور و الضروس * و من تخشى مضرته * و تتقى معرته * و المردة من شياطينهم * و العندة من اساطينهم * فاستقبلهم بوجه طلق * و لسان بالحلاوة ذلق * و اجلسهم مكرمين في مكانهم * و زاد في تمكينهم و امكانهم * ثم قال قد كشفت بلاد الروم و نواحيها * و تبينت جميع قراها و ضواحيها * و قد اهلك الله عدوكم واستخلفكم فيها * و انا ايضا اقترض ذلك اليكم * و اذهب عنكم و استخلف الله عليكم * و لكن اولاد بايزيد غير تاركيكم * و لا يرضون بان يكونوا فيها مشاركيكم * و اما صلحهم فقد سدت فعالكم مع ابيهم طريقه * فلا مجاز لكم الى شريعته على الحقيقه * و لا شك انهم يرأبون صدعهم * و يندبون جمعهم * و يستوحون عليكم اهل المدر و الوبر * و يلبيهم بالاجابة كل من يبلغه دعوتهم لانكم في زعمهم آل غدر * فيلبسون لكم جلد النمر * و يصلونكم الجمر بكل آمر و موتمر * فيقرضوكم من كل جانب * و يختطفونكم من الاطراف و الجوانب * لاسيما و بيدهم غالب الحصون و الدساكر * و تحت اوامرهم من بقي من طوائف الجنود و العساكر * فان كنتم كما انتم في الناس فوضى * فانهم يخوضون في دمائكم خوضا * فعوا و اسمعوا * ان كنتم لم تعقلوا و لم تسمعوا *

شعر

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * و لا سراة اذا جهالهم سادوا

و اما انا فلست عنكم بدان * و لا لي في المدافعة عنكم يدان * فلا بد لعقد امركم من نظام * و لصلوة جماعتكم من شرائط و اركان *

لجب القيام بها اولا و السلام * و اول شرائط ذلك امام * يرجع الى الاقتداء بافعاله الخواص و العوام * ثم بعد ذلك ترتيب الجماعة * و تنزيل كل واحد في صف السمع و الطاعة * ثم وضع الاشياء في محلها * و زمام المناصب و الوظائف في يد اهلها * و ايصال كل مستحق الى استحقاقه * و جمع الرأى على امر واحد باتفاقه * فاذا اتفقت آراؤكم و ائتلفت اهواؤكم * و عظمت ابناؤكم كبدت اعداوكم * وكنتم يدا واحدة على من ناواكم * و انتصرتم على من خالفكم و عاداكم * و كان ذلك احرى ان لا تمتد اليكم بمكروه يد * و لا ينالكم من مخالفيكم كيد و لا كد * و هذا انما يتم بالنظر في احوالكم * و التفحص عن امر خيلكم و رجالكم * و ضبط الاهبة و السلاح * فان ذلك آلة الظفر و الفلاح * فليذكر كل منكم ولده و اهله * و ليحضر خيله و رجله * و ليأت بعُدَده و عَدَده * و جنده و ولده * و ليعرض ضرورته ان كانت * و لا يستصعبها فقد هانت * فمن كان محتاجا الى اكمال شيء اكملناه * و من كان معتازا الى ايصال شيء اوصلناه * و اضفناه الى كل ما تجب اضافته * فيحصل امنه و تذهب مخافته * فاعرضوا اول شيء علينا سلاحكم * حتى نكمله و نعمل صلاحكم * فاحضر كل منهم آهبته * و عرض عليه عدته * و طرحوه في ذلك الجمع النظيم * فتراكم فكان كالطود العظيم * كما فعل اول الرمان * باهل مدينة سجستان * فلما سلب تلك الاسود براثنهم و انيابهم بهذه الاساليب * و خلب اولئك الكواسر الجواسر على مناقيرهم و المخاليب * و اولج صارم فكره الذكر في احشاء عقولهم و انزل * و صار سماك سماء عزهم الرامح و قد نحره سعد

الذابح اعزل * امر كل من عنده احد من التتار * ان يقبض عليه
و يوثقه بقيد الاسار * ثم امر برفع تلك الاسلحة الى الزرد خانه *
وقد اشعلَ قبائلَ التتار بجمر البوارِ و اصعد الى العيّوق دخانه *
ففتّ ذلك من اعضادهم * و بتّ من اكبادهم * و قصّم ظهورهم *
و اشعل نارهم و اطفأ نورهم * ثم تلافي خواطرهم بالمواعيد الكاذبه *
و استعطف قلوبهم بالاماني الخائبه * و استصحبهم بالاقوال
المموّهه * و الافعال المشوهه * و حال بهم الحال * و امر في الحال
بالمسير و الترحال * قيل ان السلطان بايزيد * قال لذلك العنيد *
اني قد وقعت في مخالبك * و اعلم اني غير ناج من معاطبك *
و انك غير مقيم * في هذا الاقليم * و لي اليك ثلاث نصائح * هن
بخير الدارين لوائح * اولاهن لاتقتل رجال الاروام * فانهم ردأء الاسلام *
و انت اولى بنصرة الدين * لانك تزعمُ انك من المسلمين * و قد
وليتَ اليوم امرَ الناس * وصرت لبدن الكون بمنزلة الراس * فان
حصل لوفق اتفاقهم من تعديي يدك بسط و تكسير * تكن فتنة
في الارض و فساد كبير * ثانيتهن لاتترك التتار * بهذه الديار *
فانهم مواد الفسق و الفساد فلاتهمل امرهم * و لاتأمن مكرهم فخيرهم
لايعدل شرهم * و لاتذر على ارض الروم منهم ديارا * فانك ان تذرهم
يملأوها من قبائلهم نارا * و يجروا من دموع رعاياها و دمائهم بحارا *
و هم على المسلمين و بلادهم اضر من النصارى * و انت حين
فخذتهم عني زعمت انهم اولاد اخوتك * و بنو اعمك و ذووا قرابتك *
و الاولى بجماعتك و ناسك ان تتبعك * و بكل من اولاد اخيك
ان يقول لك عمّ خذني معك * فاعمل افكارك المصيبة في
اخراجهم * و اذا ادخلتهم حبسا فلاتطمعهم في افراجهم * ثالثتهن

لا تمدّ يد التخريب الى قلاع المسلمين و حصونهم * و لا تُجليهم عن مواطن حركتهم و سكونهم * فانها معاقل الدين * و ملجأ الغزاة والمجاهدين * و هذه امانة حملتكها * و ولاية قلدتكها * فتقبلهامنه باحسن قبول * وحمل هذه الامانات ذلك الانسان الظلوم الجهول* و استكثرها على عقل ابن عثمان * و وفى بها بقدر الطاقة و الامكان*

ذكر ارتفاع ذلك الغمام * بصواعق بلائه من ممالك الاروام

و سار فثار غبار * اخذ عين الشمس منه الانبهار * و فار بحار التتار * فكأن البحر امده الله بسبعة بحار * فمرّ لايدخل قرية الا افسدها * و لا ينزل على مدينة الا محاها و بدّدها * و لا يمرّ على مكان الا دمره * و لا ينجذب عن ربقة طاعته جيد الأكسره * ولا يتمنع عليه شمراخ حصن شامخ الا هصره * فخلع على عثمان قرايلوك حين وصل الى ارزنجان * و قرره في ولاياته و زاده بعض معان و مغان * و وصاه بشمس الدين الذي ولاه قلعة كماخ * و ان يكون كل منهما للاخر قوة و طباخ *

ذكر انصباب ذلك العذاب ماء و نارا * على ممالك الكرج و بلاد النصارى

ثم لم يزل يلجّج بذلك البحر الثّاج * حتى ارسى على بلاد الكُرج * و هم قوم يعبدون المسيح * مُلكهم غير فسيح * و لكنه مصون * بواسطة قلاع و حصون * مغائر و كهوف * و جبال و جروف * و قلال و حروف * و كل من ذلك اعصى في المنال * من نفس كريم سيَم شِيَم الابذال * و من مدنهم تفليس * و كان اخذها ذلك

الابايص * و طرابزون و آب خاص * و هي التخت بالاختصاص * فتمنعت هذه الاماكن عليه * و لم تسلم قيادها اليه * فاقام يحاصرها * و قعد يناقرها و يناقرها * فمن ذلك مغارة بابها في وسط جرف شاهق * آمنة من البوائق سالمة من الطوارق * و سقفها آمن من صواعق المجانق * و ذيلها ارفع من ان يتشبث به علائق المسالق * مدخلها اخفى من ليلة القدر * و عدم التوصل اليها اجلى من القمر ليلة البدر * فاولع بمحاصرتها * و التزم بمضاجرتها * و استعمل من فكره مهندسه * و جعل لا يفتر من الافكار والوسوسه * ثم انتج رأيه المتين * وفكره الرصين * ان يرسل عليها عذابا من فوقها * و ان يصطاد تلك الحمامة الصاعدة في الجو بارجلها من طوقها * فامر ان يصنعوا له توابيت على هيئة الدبابات * كانهن شياطين النساء للرجل غلابات * و اوثقهن بالسلاسل المحكمه * و اوسقهن بالرجال ذوي الشكيمه * و ادلاهن من تلك القلال * و اهواهن من شواهق الجبال * فتدلين في الهواء * تدلية مبرم القضاء * فملأن الذنائف * و ارجفن من الجبال و الرجال الرواتف * و صار لسان حال تلك الصقور و الشواهين ينادي كل من رآه * الم تر الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله * فحين وازوا باب تلك المغاره * كبتوهم بالنبال السحاره * و كفوهم بالمكاحل الطياره * و هاوشوهم بانواع الاسلحه * و ناوشوهم بالاوهاق و الكلاليب المفاطحه * فلازالت الجوارح في الهواء صافات و يقبضن * و يقبلن الى ذلك الوكر حائمات عليه و لا يعرضن * ينقرن اسرة اهله بمناقير المناقيب * و ينشبن فيهم مخاليب الكلاليب * و بكر الناشزة تمانعهم على الولوج * و تستعين في

مدافعتهم بمن فيها من العلوج * فلم ينشب احد من اولئك الجوارح * ان انشب في الباب كَلُوبَه الجارح * ثم استقصد الفتح و استنهض الظفر * و اعتمد على الله و من دبابته الى الوكْر طَفَر * فاحتضنه ساعد المساعده * و اكتنفه عضد المعاضده * و قبض على رُسْغه كفّ السلامه * فنكصت النصارى على عقبهم امامه * و لم يزل وحده مبيدهم * حتى قتل اوباشهم و صناديدهم * ثم ادخل رفقته فيها * و اخرجوا ما كان في حاويها * و اسم هذا الرجل لهراسب ستة احرف ليس فيها غير متحركين - اللام مضمومة - و الهاء ساكنة - و الراء مفتوحه - و الالف و السين و الباء ساكنة - و اجتماع ثلاث سواكن في الفارسي كثير * و في التركي ايضا موجود و لكنه عزيز غير غزير * و من جملة هذه القلاع قلعة شاهته * حروف ذاتها كحروف اسمها بمناعتها ناطقه * لا يعمل في فتحها لارتفاعها لعلّ و لَيْت * لان اسمها كما زعموا كل‌كور كيت * اي تَعالَ انظُر ارجِعْ * بمعني انه لاينال الواقف عليها * سوي النظر اليها * ثلاثة اطرافها مبنية على قُلَل الأكام * شمخَت على ما حواليْها من الهضاب فهي على الاعلام اعلام * و طريقها من الوجه الرابع و هو دقيق في سلوكه عَسْر * ينتهي بعد انواع المشقة الى جُرُفٍ مقطوعٍ بينه و بين باب ذلك الحصن جِسْر * اذا ارتفع ذلك الجسرُ سُدّت دوَن الوصول الى الحصن الحِيَل * و اعاذ كّل من لاذ بقُلّته من بغيه فصحّ ان يقال له معاذ بن جَبَل * فلما اطّلع على حقيقة امرها * و انكشف له مستور خُبْرها * ابى ان يرحل عنها * الا ان يصل الى غرضه منها * و لم يكن بالقرب منها مكان ينزل فيه * و لا برّ يحمل ذلك البحر الطاغي و نحوه * بل انما كان حواليها جروف

و هضاب * غُصُونُ جبينها كانها وجهُ شوهاءَ فاشِزٍ عن زوج محبٍ عقابُ في عقابِ * فطمِع منها في غير مطمع * و نصب سُرادقه بحيث كان منها بمرأي و مسمع * و صار من عساكره الاسود الحوادر * يتناوبون حصارها ما بين وارد و صادر * و هم يرفعون الجِسر بالنهار * فيأمنون مكائد القتال و الحصار * لانه قد تقدم انه لم يكن حواليها مكان للقتال * و لا مفحصُ قطاة يتمكن منه النضال * فكانوا يرمونها بالنهار على بعد بسهام الاحداق * و يرضون منها بنظرة من بعيد كقانع العشاق * فاذا جَنَّهم الليل * شمروا الى جهة مُخيَّمهم الذيل * لانهم لم يمكنهم حواليها مبيت و لا مقيل * فتضَع النصارى الجِسرَ و يرومون الى حاجاتهم السبيل * فلما لاح له منها امارات الحرمان * و بان له أنَّ امل ظفره من فتحها قدمان * كما قلت *

و اعظم شيء في الوجود تمنُّعا * نتاجُ مرام من عقيم زمان

همم العزيمة على الرحيل * و لكن خاف العار فطلب لهذه المسئلة الدليل و التعليل *

ذكر سبب اخذه لهذا الحصن المنيع * و بيان معاني ماجرى في ذلك من صنع بديع *

و كان في عسكره شابان نديدان * اسدان حديدان * يتشابهان في الخَلْق و الخُلُق * لم يكن بينهما في الرجولية و الشجاعة كثير فرق * يتجاريان في كل وقت في ميدان المناقب لاحراز قصب السبق * فكانا كِفّتي ميزان * و في مضمارها فرسَيْ رهان * فاتفق ان احدهما صادف عِلجا من الكرج * في الجرأة كالاسد و في الجثة كالبرج * فنازله ثم قتله * و قطع رأسه و الى تيمورَ حمله *

فعظم شانه * واعلى على الاقران مكانه * فاثّر ذلك في ذديده * فكأنه قُطع حبلُ وريده * ثم افتكر في شيء يصنعه * يضع من نديده و يرفعه * و كان اسمه بير محمد و لقبه قَنْبَر * فلم ير اكبرَ من مُواقبةَ ذلك الجسر و لا اشهر * فاعتمد على الله سبحانه وحده * و استكمل ما له من اهبة و عُدّه * و رصد نجمه في بعض الليالى * و لطا في مكان خالى * و لا زال يترقب النجوم * و يترصد عليهم طوالع الانقضاض و الهجوم * و يشبر تلك الفتن بيديه و يذرع * و يمشي تارة على بطنه و آخرى على اربع * الى ان طرح الضوء نقابه * و سلخ الجو اهابه * و رجع النصارى الى كسرهم * و تعاونوا على رفع جسرهم * طفر بير محمد الى الجسر فقطع حباله * و تابع عليهم من حَديّته نِباله * و لم يمكّنهم من رفعه * و لا غيّر موضوعه عن وضعه * فتراكموا عليه بالنبال و الاحجار * و ارسلوا عليه من ذلك السماء المدرار * و لا يرد عما هو بصدده و لا يلتفت الى حينه * و يتلقى ما يصدر من مراسيم نبالهم و احجارهم بالقبول على رأسه و عينه * و لم يزل على المكافحة و المناضحة * و المكاشحة و المكالحة * حتى تعالى النهار * و عضّ الكون من فعاله انملة التعجب و اخذ عين المكان الانبهار * و كان المحاصرون لها كفّوا عن القتال و تيمور قد عزم كما ذكر على الترحال * و كان سرادقه منصوبا بمكان عال * فناداه لسان الفتح * و خاطبه منادي النجح * شعر

لا تيأسَنّ من مطلب * قطع الورى اسبابَهُ

ان اغلقوا ابوابهم * فالله يفتح بابَهُ

فترا أى على باب القلعة من بُعدٍ كأنّ ناسا يتواثبون * و اشباح

طائفة يتكالبون و يتضاربون * فقال لقبيله اي أولى النجدة والعون * اني ارى ما لا ترون * فامعنوا معي النظر * ثم اسرعوا نحو المعتكر * و أتوني بحقيقة الخبر * فاندفعوا يستشرفون لذلك خبرا * و يستكشفون لسرائره ستراً * و هم ما بين عادٍ من النمر اعدى * و جارٍ من الاسد اجرى * وكل منهم في عدوه و عداوته تابطَ شراً * و لم يزالوا يتجارون على ذلك أرسالا و تترى * كأنهم الشياطين نُهّاض و وثاب و عُدّاء و هلُمّ جراً * حتى ادركت مقدمتهم بير محمد * وهو في غمرات الموت بناره يتوقد * وقد صار لسهامهم غرضا * و كاد جوهره ان يصير عرضا * فلما رآهم من بعيد عاش * و حصل له الانتعاش * و زال عنه الارتعاش * و تلاحقت به الصناديد * فكفت عنه تلك الانسال الرعاديد * و حين عجزوا عن رفع الجسر و ولّوا الاعقاب * عزموا ان يدخلوا الحصن و يوصدوا الباب * فاختلط بير محمد معهم * و دخل الحصنَ و من ايصاده منعهم * فدقّوه بالسيوف * و رضوه باحجار الحتوف * و هو يأبى الا المدافعه * و يجتهد في مراجعة الممانعه * لا يشعر بما يناله من رضّ الحجر و جراح الحديد * كانه مقالة عراة الفقراء في الغناء فى التوحيد * الى ان غشيتهم تلك الليوث * و اندفقت عليهم بصواعق الغضب من سماء النجدة سيول الغيوث * فتشبثت اسود المنايا بتلابيبهم * و خلصوا بير محمد من مخاليبهم * ثم قبضوا على النصارى * و اخرجوا مالهم فيأً و حريمهم سبايا و اولادهم آسارى * و حملوا الى تيمور بير محمد * و اخبروه بما قصده في ذلك و تعمّد * و تفقدوا ما به من جراح تدمّي * فاذا هي ثمانية عشر جرحا كل منها يصمّي * فشكر له فعله *

و وعده مواعيد جزله * و احله المحل العزيز * و جهزه الى تبريز *
و امر بعد الوصية به آلامراء من الذواب و الرؤساء * آن يجمعوا عليه
كلّ نطِيس من الاطباء و خرّيت من الاساة * بحيث ان يبذلوا
في معالجته جهدهم * و يستوعبوا في اساه كدّهم * و يستوفوا في
المعالجة قسمي العلم و العمل * فاهتبلوا مراسيمه و عالجوه بما
امكنهم و آزاحوا العلل * فاندملت جروحه * وبرئت احسن
مما كانت قروحه * فلما نصّل * و الى تيمور وصل * جعله احد
قوّاده * و رئيس طائفة من اجناده * و قدمه على كثيرين بعد ان
كان خلف * و صيّره امير مائة مقدّم آلف *

تتمة ماجرى للكرج * مع تيمور شيخ العرج

و هذه القلعة و المغارة كانتا عيني قلاع الكرج * و نارى اعلامهم
و البواقي سرج * فحين قلعت من وجوههم عيناهم * تيقنوا ان
قد نزل بهم عناهم * و احاط بهم عزاهم * فانحلّت قُواهم و انخرمت
عراهم * و قعدت بهم الحيلة و قامت عليهم القيامه * و تجهّمت
بهم الى جهنّمَ الزّبانيةُ و إسلمتهم السلامه * و تفأّل تيمورُ بحصول
الفلج * و انثنى عزمه الى استخلاص ممالك الكرج * و انبثت
شياطينه فيها فهزّتهم هزاً * و قدّت ثوب حيُوتهم قدّاً و جزتهم جزّا * و
خاطت لهم اكفان المنايا بالسلاح فارسقتهم شلاً و كفّا ودرزا * و تلا
عليهم لسان الانتقام الم ترانا ارسلنا الشياطين على الكافرين تأزهم آزًا *

ذكر طلب الكرج الامان * واستشفاعهم الى ذلك الجان * بجارهم الشيخ ابراهيم حاكم شروان *

فاستدركوا تقصيرهم * و استنهضوا تدبيرهم * و رقعوا خرقهم قبل

الاتساع * و وصلوا حبل حيوتهم قبل الانقطاع * و استغاثوا الامان الامان * و استعانوا في خلاصهم بالشيخ ابراهيم حاكم شروان * و القوا الى آيادي تدبيرة الزمام * و رضوا ان يكون لجماعتهم و ان كان على غير ملّتهم الامام * و جعلوه خطيب ذلك الخطب * و استحلوا ما تثمر لهم سعايته من يابس و رطب * و كان اذ ذاك جيوش المصيف كجمع الكرج قد ولّت * و جنود الخريف و الشتاء كجيش تيمور قد اظلّت * و سلطان الاجرد * قد صقل فرند المياه و جرّد * و رفع من الاغصان الاعلام السلطانيه * و نصب على فلك الجبال الصيوانات البلّاريّه * و البس متن الغدير من نسيج نسيم الاصيل الدروع الداوديه * فكان ما في الكون من جوامد و نوام * من جملة عساكر تيمور حام له او محام * قلت شعر *

و اذا اراد الله نصرة عبده * كانت له اعداؤه انصارا

و اذا اراد خلاصه من هلكة * اجرى له من نارها الانهارا

فترى العقول تقاصرت عن كنهه * و ترى له في شوكه ازهارا

فدخل الشيخ ابراهيم عليه * و قبل الارض بين يديه * و حياه بتحية الاكاسرة من الملوك * و وقف في مقام اصغر مملوك * ثم استأذن في الخطاب * و استلطف في ردّ الجواب * فاذن له فقال ان عموم شفقة مولانا الامير * و حسن حنوّه على المسكين و الفقير * و شمول عاطفته الكريمة و رحمته المنيفه * حملت المملوك على عرض ما عنّ له على الاراء الشريفه * و هو انه بحمد الله المرام حاصل * و المراد على وفق الاختيار متواصل * و هيبة مولانا الامير في الشرق و الغرب * اغنته عن الاستعداد للضرب و الحرب * ثم ان العساكر المنصورة اكثر من ان

تحصى * و فيهم من الاسرى و المرمق الحال ما فات عن الاحصا *
خصوصا جماعات التتار * الذين ولى سعدهم الادبار * و احالوا
قومهم دار البوار * قد اضربهم البرد * و تردد نفس حظهم بين
العكس و الطرد * فان استمرت الامور * على هذا الدستور *
رق الجليل وهلك الرقيق * و دق العظيم و انطحن الدقيق *
و هذه البلاد بل و سائر الاقاليم * محال الا بامرك ان تستقيم *
و ان رؤساءها من الفجرة و الفسقة * علموا ما لمولانا الامير على
مملوكه من الحنو و الشفقة * فتراموا لعلة المجاورة على المملوك *
و رجوا من الصدقات الشريفة ما يرجوه من الغني الكريم الصعلوك
الصعلوك * و مهما برزت به المراسيم المطاعة * تلقاه بالقبول كل
من المملوك وهؤلاء الجماعة * و قابلوا الاوامر الشريفة بالسمع
و الطاعة * و ان كان المقصود جمع مال * فالمملوك يقوم به على
كل حال * و انى للمملوك مال الا من صدقات مولانا الامير *
و ما قصد المملوك بذلك الا رفع الكلفة عن الجانبين و تيسير
الامر العسير * و رعاية لحق الجوار * عملا بقوله صلى الله عليه
و سلم ما زال جبريل يوصيني بالجار * و الرأي الشريف اعلى *
و احرى ان لا يخيب رجاء المملوك و اولى * فاجابه الى
سؤاله * و طلب منه مالا عريضا سواء كان من مالهم او من
ماله * فقال الشيخ ابراهيم * انا به زعيم * و ابلغ ذلك الى
خزانته اتم ابلاغ * ثم رحل و اكمل شتويته في قراباغ * و ذلك
في سنة ست و ثمانمائة *

ذكرني عنانه * الى اوطانه * وقصده بلاده * بعد استكماله فساده *

و لما زينت ماشطة الكون عروس المكان * و اقام مزين الجمادات قوام الزمان * و تهذب القوي النامية * و تبرجت مخدرات الدري السامية * وشبت الجمرات * و دبت الحشرات * تحرك للرحيل ذلك الافعى * و نفث على هوام اموات الزمهرير من احياء عساكره فاذا هي حية تسعى * فدق الكوس * فجاوب صداه الرعد القاصف و لمعت مرايا اللبوس * فانعكس منها ايماض البرق الخاطف و عرض فيوله في التروس * فاحاط بالاطواد قوس قزح * و سير خيوله في اللبوس فتجلت كتائب الكثبان بشفوف الورد و الريحان حائلة في ذلك البر المنتزح * و مارت الجمال — فمرت الجبال مر السحاب * و سارت الرءال — فصعد العثان من النقع الضباب * و شرعت الذوابل * فاذا رطب الاغصان متمائل * وهزهزت القواصل * فانساب في القصيل مرهف الجداول * و نضنضت السنة الخناجر و الذيارك فبرزت عذبات العذبات * و نشرت اعلام الكتائب فانبثت اعاهير الازاهير على عقبات العقبات * و على الجملة فان الربيع حاكى ببروقه بوارقه * و برعوده صواعقه * و بخمائله و روابيه زرابيه و نمارقه * و بركامه قتامه * و بشقائقه آعلامه * و باشجاره المزهرة خيامه * و باغصانه رماحه * و بعواصف امره و نهيه رياحه * بكتائبه السود كتبه الخضر * و بازهاره الزرق مزارقه الزهر * و بسيوله الجحافة مسير جحافله * و باضطراب بحر فيالقه تموج خمايله * عند هبوب اصائله * و استمر بين ذلك العرار و الرند * قافلا بالبال الفارغ الى سمرقند *

فسار و السرورُ نديمه * و الحبورُ حريمه * و الاشر معاقره * و النشاط مسامره * و بين التفريط و الافراط موارده و مصادره * حتى قطع ولايات اذربيجان * وحل ركابه بممالك خراسان * و في خدمته ملوك الاقاليم و ارباب التيجان *

ذكر نهوض ملوك الاطراف لاستقباله * و وفودها عليه مهنية له بحسن مآله *

و لما تسامعت اقطارُ البُلدان * انه قفل قاصدا الاوطان * اقبلت اليه الملوك من اطرافها * و المرازبة من اكنافها * و سارع الى استقباله المداره و الجحاجيح * و تبادر من ماوراء النهر و غيرها السراة و المراجيح * و تطاير اليه من الاقاليم اساطينها * ومن الولايات و الثغور ملوكها و سلاطينها * و من كان مرابطا في ثغر * و مواظبا على اكيد امر * ارسل نائبه او قاصده * او حاجبه او رائده * يتباشرون بقدوم إقدامه * و يهنئونه بما فتح عليه من هنده و عراقه و رومه و كُرجه و شامه * و يقدّمون التقادم و المحمولات * يهيئون الضيافات و الاقامات * ثم اردفهم السادات والعلماء والمشائخ و الكبراء * و رؤساءَ الموابِذَة وموابذَةَ الرؤساء* فجعل يسمت لكل واحد منهم سَمْتا * و يأمره فيخضع بالسمع و الطاعة إجلالا و صَمْتا * و يمهّد له فيما ولّاه قواعد و مباني فلا ترى فيها عوجا و لا أمْتا * ثم جهز كلًّا منهم بما اقتضاه رأيه و اجازه * و وصل الى جيحون و قد أعدّت له السُّفن و المراكب فجازه * فخرج اهل المدينة للاستقبال * و كل منهم منشرح البال ملتئم الحال * فدخل سمرقند اوائل سنة سبع و ثمانمائة * و معه من طوائف الامم الاثنان و السبعون فرقة و اكثرهم قَدَرية و مُرجئة * ثم آخذ

لمن اختاره من العساكر فتفرقت * و لطوائف جند ماوراء النهر فتمزقت *

ذكر توزيعه التتار ارسالا * شرقا و غربا يمينا و شمالا *

فلما استقرت به الدار * اخذ في توزيع التتار * فكانوا ذوي عُدّة وعدّة * و نَجدة و شِدّة * فحين سلبهم عُدّتهم * كسر شوكتهم وشدتهم * ولكن ابقى الله عِدّتهم * فخاف لذلك نجدتهم * فشتّت جمعهم * واقوى من اجتماعهم رَبْعَهم * فبذّرهم في فياف و بطاح * ووزّعهم في قفار و ضَواح * و بددهم في اشطارِ عذاء و براح * و نددهم في اقطار بُكاء و نُواح * فسدد برؤسهم افواه الثغور * وارصد بظهورهم ابواب النحور * فجهز طائفة الى كاشغر * وهو بين حدّي الخطا و الهند احدُ الثّغَر * و وجّه فِرقةً الى دُوَيْرة في وسط بُحَيْرة تدعى اسي كول * وهو ثغر بين ممالك تيمور و المغول * فصادفهم بعض السعد * فانقطعوا عمن اضيقوا اليه كما ينقطع عما يضاف اليه بعد * فانضمّوا منهزمين ولم يلووا * واخذوا من صَوب الشمال و خرجوا على الدشت الى ايدكو * ثم اضاف سائرهم * و قبائلهم و عشائرهم * من كل حزين آواه * الى ارغون شاه * و جهزه بعزم و حزم * الى ثغور الدشت و حدود خوارزم * و هذا كان هِجّيره * و ما بنى عليه اوامره و أموره * فانه كان من الشياطين النقاله * و في المكر و اللعب بالناس كدلة المحتاله * كلما بنى في قُطْرٍ قلعه * او استولى في نحر من نحور المخالفين على بُقعه * انزل بها من العساكر * من هو في اقصى جهات تقابلها من الحصون و الدساكر * و نقل اليها من لها من الرجال * ان كان في الشمال الى اليمين و ان كان في الجنوب

الى الشمال * فانه لما استولى على ملك تبريز و ما والاه * استناب فيه ولده لصلبه اميرانشاه* و امده من الجغتاى بطائفة غلاظ شداد * منهم خدايداد اخو الله داد * و نقل الى اطراف الخطا و تركستان * طوائف من عسكر العراقين و الهند و خراسان * و ولّى سماقةَ بن التكريتي الذي اخذه من الشام * نيابة مدينة سيرام * و هي من سمرقند الى جهة الشرق نحو من عشرة ايام * و ولى يلبغا المجنون نيابة ينكى بلاس وراء سيرام بنحو اربعة ايام * و هما كورتان مختصرتان * وراء سيحون من معاملات تركستان* و هما كانا اقل من ان يذكرا * فضلا ان يصيرا حكاما و آمرا * و انما فعل ذلك * لينتشر في اطراف الممالك * ان عنده من روُساء الشام * جماعة من اعيان الاعلام * و ان في ممالكه من الخدم * روُساء الامم حكام العرب و العجم* و ان ذلك الطِّرفَ جال و سطا * و ملك ما بين الشام و الخطا *

فصل

ثم اخذ يتفقّدُ ما حدَث في غيبته * من آمور بلاده و رعيته * و يتفحص عن قضايا الممالك * و يسلك لملوكها المسالك * و يدبّر مصالح الاطراف و الثغور * و الاكناف و البحور * و يراعي احوال الكبير و الصغير * و يتعاطى مصلحة الغني و الفقير* و يضع الاشياء في محلها * و زمام الوظائف و المناصب في يد اهلها * و يبادر * بما قال الشاعر *

لله درُّ انوشروان من رجل * ما كان اعرفَه بالوَغْد و السّفَل
نهاهم ان يمسُّوا عندَه قَلماً * و ان يذلَّ بنو الاحرار بالعمل

و اخذ يربي السادات * و يكرم الاولياء ذوى الكرامات * و يبجّل العلم و اهله * و يعلى الفضل و يعزُّ محلّه * و يقلع المفسد و يقمع المارق * و يخنّقَ الزانيَ و يصلُبُ السارق * حتى استقامت في

زعمة أمورُ السياسه * و تمّت على تورة جنكيز خان قواعدُ الرياسه *

ذكر ما ابتدءه من منكراته * وطبع بخاتمه خواتيم سيآتد * و وافى باستيفائه رائد وفاته *

ثم شرع في تزويج حفيده اي ولد الولد اولوغ بيك ابن شاه رخ النبيه * الذي هو في يومنا هذا اعني سنة اربعين و ثمانمائة حاكم سمرقند من قبل ابيه * فامر اهل المدينه * ان يشرعوا في الزينه * و ان يُرفع عنهم الكُلَف و المظالم * و يُعفي عن الطُّروحات والمغارم * ويُبسط لهم بساط الامان * و يعامل الكبير و الصغير و الرفيع و الوضيع منهم بالفضل والاحسان * و ان لا يُشهر في ممالكه سيف * ولا يَجري فيها ظلم و لا حيف * و ان يخرجوا زينتهم الى مكان نحو ميل من ضواحي سمرقند * يدعى كان كلّ (كان كول) هواؤه اذكى من المسك و ماؤه احلى من القند * كانه قطعة من روض الجنان * غفل عنها خازنها رضوان * قلت شعر *

رعى فيه غزالُ الترك شيحا * فصار المسك بعض دم الغَزال

وروايح هوائه الطف من نسيم السحر * و رواشح مائه أعذب من ماء الحيوة صفاء بلا كدر * و تغاريد طيوره الذ في السماع من غناء الناي على الوتر * قلت

بساط زُمُرُّدٍ نثرتْ عليه * من الياقوت الوانُ الفُصوص

وقيل شعر *

كانّ صدورَ الازهار فيهْ * و وردا في محاسنه تُنضَّدْ
صِحافٌ من لجُيّن او عقيق * و مَرجان و يافوت و عسْجَدْ
فهذي حشوها مسك فتيتٌ * و هٰذي ضِمنها تبرٌ مُبدَّدْ
اراد الروضُ يجلوها علَينا * فصاغ لَها اكفّا من زبَرجَدْ

صبأغ القُوة الخيالية يتعلّمُ خِلْطَ اصباغ النقوش من تشاهير اراهيره * و مواشط عرائس الجمال تزين عواتق الكمال من تحارير تصاويره * ولست

كأنَّ رباهَ سَيماً وقتَ هبّةٍ * خضمٌ بانواع الحُلي مرصَّعُ

افسح من امل حريص طامع * في جاه غنيّ كريم نافع * و انزه للابصار و البصائر * من نقش ثياب زاه زاهر * ساعدهُ الدهرُ بوجه بسيط و ادب كامل و عمر طويل ومال وافر * و هو احد الاماكن المذكوره * و المتنزهات التي هي بالنزاهة و الرفاهة في الدنيا مشهوره * و مبدأ السعد الذي جهاته بالنعم موقرة موفوره * قلت

شقائقه خدود ناضرات * تحشّتْ من سواد المقلتين

عساكر تيمور مع انها البحر المتلاطم فيه * تضاهي بني اسرائيل في قطر من اقطار التيه * ثم امر الملوك و السلاطين * و ارباب التيجان من الاساطين * ان يخرجوا اليه * و ينبثّوا عليه * و فرز لكل منهم في ذلك المرج مقاما * و رتبه ميمنة و ميسرة و وراء و اماما * و امران يُظهر ما امكنه من تجمل و تحسين * و يضرب ما له من خيام و قباب متكلفة بانواع النقوش و التزيين * ثم رتب من دونهم من الدبراء و الاعيان * و رؤساء الامراء و الاعوان * في ذلك الروض الاريض * و المرج الطويل العريض * فاخرج كل منهم ما حواه * و كاثر نُظراءه لينظروا ما قدمت يداه * و فاخر ذوي الفخار منهم و باهى * و استقصى في المباهاة و المفاخرة و تناهى * فنشروا مما طوت صحائف ايامهم * على جمعهم اياهُ سجِلّات آثامهم * من طُرَفِ اطراف الاقاليم و الامصار * و تُحَفِ جواهر المعادن و البحار * و نفائس ذخائر نهبوا عليها النفوس و الهبوا الانفاس * و عرائس اخائر سقوا عليها الكؤس و خرقوا الاكياس * ما ازرى على

زهر تلك الروضة الخضراء بالانجم الزواهر * و اسرى مَنظرُهُ البهيج سرايا المسرّات الى سرّ السرائر * فزاد حسنُ حديث ذلك المكان و نما * و علا قدرهُ بهجةً على كل ارض و سما * ثم امر بسرادقاته فجعلت مركز تلك الدارة * و نقطة دائرة تلك الافلاك المدارة * و هي سورٌ محيط مضروب * على ما له من خيام وقبابٍ منصوب * له باب واسع * يدخل فيه من دهليز شاسع * الى ما به من معانٍ و مغان * و له قرنان شامخان * تنكسر لهما الروس * و تذهل عند مشاهدتهما النفوس * و لاجل هذين * كان يلقب ذاالقرنين * و نصبوا له داخل هذا الجناب * عدّةً من الخيام و الاخبية و القباب * و من جملتها قُبّةٌ اعلاها و اسفلها بالذهب مُزركَش * و ظاهرها و باطنها بلُبِّ الريش مُريَّش * و اخرى كلها بالحرير محبوكه * و بانواع النقوش و الوان الاصباغ مبنية مشبوكه * و آخرى من فرقها الى قدمها مكلّلة باللالي الكبار * التي لا يعلم قيمة احدها الا عالم الاسرار * و آخرى مرصعة بانواع الجواهر * على صفائح الذهب مدهشة للابصار و البصائر * و جعلوا اما بين ذلك سُقفًا من فضّة و معارجَ عليها يظهرون * و لبيوتهم ابوابا و سررا عليها يتكئون * و بين ذلك الارواقَ المنقّشه * و رواقات الاخبية المزركشه * و الفساطيط و الابنية المدهشه * وفيها مراوح الخَيش * الجالبات لبرد العيش * و المنافع و المرافق * و المفاتح و المغالق * و اظهروا الذخائر الغريبه * و ارخَوا على ذلك الستائر العجيبه * و من جملتها ستارة جوخ كان اخذها من خزانة السلطان بايزيد * قطعة واحدة عرضها نحو من عشرة اذرع بالذراع الجديد * منقشة بانواع النقوش * من صور النباتات والبنيان والعروش * و اشكال الهوام و الطيور و الوحوش * و اشخاص الشيوخ

و الشبان * و النساء و الصبيان * و نقوش الكتابة و عجائب البلدان * و العروق اللاعبة و غرائب الحيوان * بالوان الاصباغ * المُبالَغ في إحكامها و اجادتها احسن بلاغ * كأنّ صورها متحركة تناجيك * و ثمارها الدانيةَ لاقتطافها تُناديك * و هذه السفارة احد عجائب الدنيا * و ليس المستمع كالمرأي * و نصبوا امامه سرادقاته بمقدار ثُلث فُرُش الصيوان * الذي يجتمع المباشرون فيه و ارباب الديوان * و هو جتّرٌ عالى الذُّرَى * شامخ في الهواء * له نحو من اربعين آسطوانه * و عواميدٌ و اسوار شيَّدوا عليها اركانه و سدّوا بنيانه * يتسلّق الفرّاشون الى اعلاه كالقِرَدَه * كأنهم مسترقوا السمع من الشياطين و المردة * و يتعادون على سطحه * حين يرفعونه بعد بطحه *

فصل

و اخرج اهل المدينة – ما عبوه * من تجمُّل وزينة – ونصبوه * تجاه تلك السرادقات على مد البصر * و تأنّق كل واحد من اهل البلد بما وصلت اليه القُوى و القدر * و اجتهد كل ذي حرفة بما يتعلق بحرفته * و بالغ كل من ارباب الصنائع فيما يليق بصنعته * حتى انّ ناسج القصب اخرج فارسا مكمَّل الاهبه * و استقصى في اكمال هيئته حتى اظافيره و هُدبه * و استوفى دقائق ما يتعلق به من الالات * كقوسه و سيفه و سائر الاستعدادات * كل ذلك من القَصَب * و رفع ذلك في مكانه من غير تعَب و نَصَب * و صنع القطّانون من القُطن ميذنة رفيعه * محكمةً بديعه * ذات قدّ رشيق * و صُنع وثيق و منظر انيق * ببياض جسم يسمو على الحور * و كمال قوام يعلو على القصور * و نصبوها فصارت بحسنها

تستوقف النظارة * و بعلو قامتها ترشد في ذلك المهمه المارة *
حتى غدت علما للسيارة * و على جوامع تلك الابنية منارة *
و كذلك اهل الحرف من الصواغين * و الحدادين و الخفافين
و القواسين * و سائر الطوائف * و ارباب الملاعب و اللطائف *
و لقد كانت سمرقند مجمع الافاضل * و محط رحال اهل
الفضائل * فرتبت كل طائفة ما اخرجته على حدة في مكانه *
امام سرادقاته و صيوان ديوانه * و نصبت وراء ذلك كله الاسواق *
و ضربت بين الناس بوقات الابواق * و زينت الفيول و جياد
الخيول بافخر لباس * و اطلق عنان الرخص و التمتع بانواع
الملاهي و الملاذ للناس * فسارع كل طالب الى مطلوبه * و اجتمع
كل محب منهم مع محبوبه * من غير ان يتعدى احد على احد *
او يستطيل اعلى من يكون على ادني من يكون من الجند و اهل
البلد * او يجري تعد ما * من شريف ما على وضيع ما *

فصل

و لما استتبت الامور على مراد تسويل قرينته * و اخذت الارض
زخرفها و ازينت من جنده و اهل مدينته * توجه الى ذلك المرج
على وقاره و سكينته * و خرج على قومه في زينته * ثم امر ان
تجري يوافيت الصهباء * على زبرجد ذلك المرج الاحوى *
و سيلها لكل ناظر و عام * فسبح في تيارها كل خاص و عام * فدارت
في سماء تلك الارض للسرور افلاك * و هبطت في افقها بوحي
اللذات من افلاك الملاحة املاك * فاصبحت تلك الاسود
النوادر * و هي ظباء جواذر * و تنزلوا من جحيم المنازله * الى
نعيم المغازله * و تبدلت تلك الغلاظة و الكثافه * باللطافة والظرافه *

و اصبحوا بعد جورهم يتجارون * و بمعنى ما قلته يتحاورون * شعر

محا الظلم من بين الورى سيف عدلنا

فلم يتشبث مستغيث بمعتدى

سوى قلب صب صاده طرف احور

و خصر نحيل آده ردف اغيد

فما صار يصول سيف الا ان كان صارم لحظ و هو مع ذلك مكسور *
و لا يجول ذابل الا ان كان رمح قد و هو مع ذلك بالعناق مهصور *
و صرت لا ترى الا عودا يحرك او يحرق * او قدحا يروب او يروق * او
شاديا يغرد * او شاربا يعربد * او جارية تسقي * او ساقية تجري *
او خد ورد يعشق * او ورد خد ينشق * او كاس ثغر يرشف * او غصن
خصر المعناق يقصف * او فرص عيش يغتنم * او لسان حال
ينشد و يترنم *

المخمس

في ربيع الوصل امان وفى الظبي الشرود * و سرت بشري الصبا للروض تذبي بالورود
خرت الانهار و الاغصان مالت للسجود * و اجتمعنا في رياض حسنها يسبي الوجود

فالسحاب الصب فيها بالحشا امسى يجود

نثر الدر علينا مده بلور الغمام * فوق صحن سندسي فيه مل ياقوت جام
و ثغور من عقيق زانها حسن ابتسام * و عيون من لجين ناظرات لا تنام

و غصون الدوح حفتنا بانواع النقود

طيرها غنى علينا اذ علا عودا وطار * و شذاها ضاع فيه المسك اما منه غار
و الصبا امسى علينا في رباها حين سار * جنة الفردوس فيها وجه بدري حين نار

اصبحت جنات عدن تشتهي فيها الخلود

يا لها من عشرة جادت بانواع الهنا * ليس فيها غير لثم و ارتشاف و اعتنا

و كووس دائرات و غناء و غني * لو رآها زاهد من ريحها كان انثني

لم يسعه عند ها سوى زهده * الا الجحود

قم نديمي عاطني فالدهر لايسوي الحزن * كاس عيش يمحي في مزجها صرف الزمن

الطلا و الماء والخضرة و الوجه الحسن * لا نطع في ذا عذولا انه خب كمن

في حشاه غليان لا تقل خل ودود

فحصل الامن و الدعه * و الفراغة و السعه * و رخص الاسعار * و قضاء الاوطار * و اعتدال الزمان * و عدل السلطان و صحة الابدان * و صفاء الوقت * و ذهاب المقت * و حصول المطلوب * و وصال المحبوب * ع *

و عقد التناهي يقتصر المتطاول

و اتفق له في ذلك العرس من الابهة و العظموت * و السطوة و الجبروت * شئ لم اظنه حصل لاحد من الخلفاء المتقدمين * و لا يقع فيما بعد لاحد من المتاخرين * و ان كان المامون فرش تحته ليلة عرسه حصير من الذهب * و نثر على راسه اللؤ لؤ المنتخب * و لم يلتفت اليه * و لم يلتقط من و رائه و لا من بين يديه * حتى قال * قاتل الله ابا نواس كأنه كان حاضرا حيث قال *

كان صغرى و كبرى من فوا قعها * حصباء در على ارض من الذهب

لكن تيمور كان في عرسه ذاك بنات الملوك وصائف * و بنوها عبيدا كل منهم في مقام العبودية واقف * و اجتمع عنده قُصَّاد الملك الناصر فرج من مصر و الشام * و معهم الحمولات و التقادم و من جملته الزرافى و النعام * و رسل الخطا و الهند * و العراق و الدشت و السند * و بريد الفرنج و من سواهم * و قُصَّاد كل الاقاليم اقصاهم و ادناهم * و من كل مخالف و موافق * و معاد و مصادق * فاحضر الجميع حتى شاهدوا عظمته * و عاينوا جبروته في ذلك

العرس و أبهته * فباشر ذلك على تلك الحال * لايخاف النكال
و لا يخشي الوبال * قلت شعر *

قرير العين لا يرجو الهاً * خلي البال لا يخشى معادا

يتناول المحرمات و يبيحها * و يروج عنده مستهجنها و قبيحها *
مهما امربه جماعته في ذلك امتثلوه * يتباهون في كل قبيح
عملوه * و لا يتناهون عن منكر فعلوه * قلت شعر *

تبدل من سفك و هتك جريمة * احل بها ما حرمته الشرائع

و جعل يدعو الملوك و الامراء * و سلاطين الافاق و الكبراء * و قواد
التوامين * و زعماء الجيوش و المقدمين * و يسقيهم الكاسات بيده *
و يحل كلا منهم محل اخيه و ولده * و يخلع عليهم الخلع السنيه *
و يجزل لهم المواهب و العطيه * و يجلس كلا منهم بحسبه ذات
اليمين * و اما ذات الشمال فانها للنساء و الخواتين * فان النساء
لايستترن من الرجال * خصوصا في مجلس الاجتماع و الاحتفال *
و استمر في ذلك بين جنك و قانون * و عود وارغنون * و ناي
مرقص مطرب * و شاد معجب مغرب * و ساق فاتن ودهر مؤات
و هوي متبع * و امر مستمع * وشمس تدور * على نجوم و بدور *
و كاس تملأ و كيس يفرغ * و امر يمضي و امل يبلغ * حتى
استخفه الطرب و البطر * و استفزه النشاط و الاشر * فضبع الى من
استعضده * و مد للنهوض اليه يده * فتعاضدوا لمعاونته * و تعاونوا
على معاضدته * و حين استوى قائما * تهادى بينهم بشيبته و
عرجته راقصا * قلت

و من عجب الدنيا اشل مصفق * و ابكم قوال و اعرج راقص

فنثر عليه الملوك و الكبراء * و نساء السلاطين و الامراء * الجواهر

و اللالي * و الفضة و الذهب و كلّ نفيسٍ غالي * و لم يزل على ذلك حتى استوفى من اللهو حصته * و دخل العروس منصته * و انقضت تلك الامنيه * و تفرقت هاتيك الجمعيه * شعر

ما كان ذاك العيش الا سكرة * لذاتها رحلت و حلّ خُمارها

فصل

و لمابلغ من دنياه المرام * و انتهى ليله الى الكمال و التمام * وعرج فيما يرومه الى ما عرج * و صعد في سلم ارتقائه الى اعلى الدرج * و قارب بدر عمره الافول * و شمس حيوته ان تزول * رشقه الزمان بسهم اصماه فما امهله و نادى بلسان فصيح * فرغ العروس يا بيت الاحماء لو سمع لكان يصيح * قلت شعر

و ما الدهر الا سلم فبقدر ما * يكون صعود المرء فيه هبوطه

و هيهات ما فيه نزول و انما * شروط الذي يرقى اليه سقوطه

و من صار اعلى كان اوفى تهشّما * وفاء بما قامت عليه شروطه

فافاق من سكره * و عاد الى عسكره * و ارعوى و ما ارعوى * و علم انه اضل قومه و ما هدى * و رأى انه قد فرّط في امر الرياسة * وحط من جانب الايالة و السياسه * و انه سام الملك خسفا * و سائس السلطنة وجد عليه مائة طريق فى التقصير و الفا * فاخذ يتدارك ما كان فرّط * و يطلب التقصي عما فيه تورّط *

ذكر بعض حوادث * متقدمة لمتعلقات ذلك العابث

و كان تيمور قد رأي في الهند جامعا * للبصيرة مرتعا و للبصر رايعا * عرشه في حسن بنائه و نقشه * من الرخام الابيض كبساط فرشه * فاعجبه شكله * و اراد ان يبني له في سمرقند مثله * ففرز لذلك مكانا في فرز * و رسم ان يبني له جامع

على ذلك الطرز * وان يقطع له احجار من المرمر الصلد * و فوّض امره الى رجل يقال له محمد جلد * احد اعوانه و مباشري ديوانه * فاجتهد في بنيانه * وتشييد اركانه * و استقصى جهده في تحسينه * من تاسيسه و تركيبه و ترتيبه و تزيينه * و اعلى له اربع ميادن * و باهى فيه ايمة البنائيين و الاستاذين * وظن ان لو كان على ذلك احد غيره * لما اقدران يصنع صنعه و يسير سيره * و ان تيمور سيشكر له صنيعه * و ينزله عنده بذلك منزلة رفيعه * فلما آب من سفرته * وتفقد ما حدث في غيبته * توجه الى الجامع لينظر اليه * فبمجرد ما وقع نظره عليه * امر بمحمد جلد فالقوه على وجهه و ربطوا رجليه * و لا زالوا يجرونه * و على وجهه يسحبونه * حتى بضعوه على تلك الحال * و استولى ما له من اهل و ولد و مال * و اسباب ذلك متعددة ومعظمها ان الملكة الكبرى * امرأة تيمور العظمى * امرت ببناء مدرسه * و اتفق المعماربة و اهل الهندسه * ان تكون في مواضع * مقابلة لبناء هذا الجامع * فشيدوا اركانها * و شددوا بنيانها * وعلّوا علي الجامع طباقها و حيطانها * فكانت ارسخ منه تمكينا * و اشمخ منه عرنينا * و تيمور كان نمري الطبع اسدى الوضع * ما تكبر عليه رأس الا شدخه * و لا تجبر عليه ظهر الا فضخه * و كذلك كلما أضيف اليه * او عوّل في النسبة عليه * فلما رأى قامة تلك المدرسة طالت * وعلى قدّ جامعه الكبير ترفعت واستطالت * نغل صدره غيظا واشتعل * وفعل مع مباشر ذلك ما فعل * فلم يصادفه فيما امّله سعد * و هذه الحكاية متقدمة لما ذكره بعد *

نكتة * كان هذا الجامع كصاحبه * احاطت اوزار الاحجار بجوانبه * و تثاقلت على غواربه و مناكبه * و دقّت عنقُ طاقته عن حملها و رقّت * و تلا لسان سقفه اذا السماء انشقت * و ما امكن تيمور الاشتغال بهدمه ثم احكامه * و نقضُ بنائه و استيفاء ابرامه * فطوي ثوب عمارته على غرّه * و استبقى خشب اخشبه على وهنه و كسره * لكن امر خاصّته و ذويه * ان يجتمعوا فيه * و استمر ذلك في حيوته * و بعد وفاته * فكان اذا اجتمع الناس فيه للصلوة * يرتقبون من تلك الحجارة ما يهبط من خشية الله * و صار ملك الجبال في تلك المحله * يتلو و اذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظُلّة * ففي بعض الاحيان * و قد غص بالناس ذلك المكان * و اخذ كل منهم حذره * سقط من حجارته من اعلاه شذرة * ففرّ كلّ من كان جاثما * و انفضّوا الى الابواب و تركوا الامام قائما * و كان من جملتهم الله داد * احد الاكفاء و الانداد * فما اطّلعوا على حقيقة الخبر * تراجعوا و زال عنهم الخَوَر * فلما قضوا الفرض * و انتشروا في الارض * قال لي الله داد * و كان من الدهاة ذوي الكياد * والاذكياء النقّاد * له حوالى كعبة المخازي مائة شوط و الف طوف * ينبغي ان يُلقّبَ هذا الجامعَ بمسجد الحرام و الصلوة فيه بصلوة الخوف * و قال لي الله داد * و قد فهم معني هذا الانشاد * و ينبغي ان يُنشَد * في شان هذا المعبد * و يكون رقم طرازه * و نقش صدره و مجازه * قول الشاعر *

سمعتك تبني مسجدا من جباية * و انت بحمد الله غيرُ موفّق
كمطعمة الايتام من كدّ فرجها * لك الويلُ لا تزني و لا تتصدقي

فصل

و لما كان تيمور ببلاد الروم يصول * كان استخلاص ممالك الشرق في فكره يجول * وقد ذكر انه ارسل الى الله داد * يستوصفه اوضاع تلك البلاد * لما انكشفت له احوالها * و تبينت له قراها و مضافاتها و اعمالها * حتى شاهدتها عين بصيرته * و استقرت كيفيتها في سر سريرته * جهز لملك النواحي * روس هاتيك الضواحي * و من جملتهم بيردي بيك و تنكري بيردي و سعادات * و الياس خواجه و دولة تيمور مع زيادات * و اضاف اليهم طوائف من الاجناد * و رسم ان يتوجه كلهم الى الله داد * و ان يجهز الله داد امره * و يتوجهوا فيبنوا قلعةً تدعى باش خمرة و هي عن اشبارة نحو من عشرة ايام * و من متعلقات المغل الطغام * و كانت امورها اضطربت * و لكونها متنازعة بين مملكتين خربت * فتوجهوا الى تلك الداره * بالعساكر الجراره * و اشتغلوا على غير عادتهم بالعماره * و كان توجه هذه الفئه * في اواخر سنة ست و اوائل سنة سبع و ثمانمائه * و قصد بذلك ان يكون لهم معقلا * و عند توجهم الى الخطا و ايابهم ملجأ و موئلا * فلما احكموا اساسها وصنفوا انواع بيوتها و اجناسها * و وضعوا من حجار الاساسات اقدامها * و رفعوا على اعلام الاسوار اعلامها * ارسل اليهم مرسوما انهم يرجئون آمرها * و يتناسون ذكرها * و يامرهم فيه بالرجوع * و الاشتغال بتغليق البلاد بالزروع * بحيث ان فقهاء الدرس والدياس من اهل القرى و الامصار * و المشتغلين بفقه المزارعة و المساقاة من فلاحي الانجاد و الاغوار * و اهل الرزداقات و الاكاره * من حدود سمرقند الى اشبارة * يذكرون مسائل المعاملة و المبايعة *

و يكررون البحث قولا و عملا في درس المساقاة و المزارعة * و يؤذن في جماعتهم ان يقيم كل منهم في الزرع صلاحه * و ان اضطر احدهم ان يترك صلوته فالحذر ان يترك فلاحه * و رام بذلك ان يكون لهم في سفرهم عتادا * ان نقص لهم في الدرب قضيم و حصيم زادا * فتوكوا العمارة * و قصد كل من الامراء دياره و اشتغلوا باستخراج البقر و البذار * و اجتهدوا في احياء جميع الموات كما رسم و اشار * فما فرغوا من ذلك الا و قد طوى المصيف بساطه * و نشر رائد الخريف على العالم اعلامه و انماطه *

ذكر عزمه كما كان على الخطا * و مجيئه سكرة الموت بالحق و كشف منه الغطا * ثم انتقاله من سفره * الى سقره *

فلما افاق * اخذ فيما كان عليه من التوجه الى الافاق * و قصد الحواشي و الاطراف * و استخلاص الممالك و الاكناف * و صرف عنان الذهاب * نحو الخطا على عادته و كان ذلك عين الصواب * فارسل الى امم عساكره ان يستوفزوا * و يأخذوا اهبة اربع سنين او اكثر و يتجهزوا * فلبّتْ كل امة دعوة رسولها * و شنفت باقراط مراسيمه آذان قبولها * و حمل كل اسد جوزاء عتاده * و امتطى جديٍ بغيه * و عنّد كلّ ثورٍ سنبلةَ زاده * و دلّو سقيه * و دبّ كلّ عقرب منهم دبيبَ السرطان * و انسابوا انسياب الحوت في بحار العدوان * مجازفين مظالم العباد بلا كيل و لا ميزان * فابرد هلالَ القوس سهمَ بريده بمرسومه الى كلِّ صماخ * يخبر ان جند الشتاء على عالم الكون و الفساد اناخ * فليستعد

له الكفاة * و ليحذره العراة و الحفاة * و لا يكتفوا في كفه بكافاته فما كل كاف له كفوا * لانه في هذه المرة آيةً من آيات الله فلا تتخذوا آيات الله هزوا * و ان قصده بقدومه تبريد الانفاس * و تشييط الانوف و الاذان و اسقاط الاكارع و قلع الراس * و ان فصل الخريف رائد جنوده * و قائد بنوده * و نموذج طلعته * و مرآة عين غلته * و عنوان مكاتبته * و مقدمة كتيبته * ثم زمجر بعواصف رياحه البارده * و خيم على العالم بخيام غيومه الصادرة و الواردة * فارتعدت الفرائص من زئيزه * و لاذ كل من الحشرات بقعر جهنمه خوفا من زمهريره * و خمدت النيران و جمدت الغدران * و ارتجفت الاوراق ساقطة من الاغصان * و خرت على وجهها الانهار * جارية من الانجاد الى الاغوار * و تخيست الاسود في اخياسها * و تكنست الظباء في كناسها * و تعوذ الكون من آفته * و اصفر وجه المكان من مخافته * و اغبرت خدود الرياض * و ذبلت قدود الغياض * و راح ما كان بها من الخضرة و الارتياح * و اصبح نبات الارض هشيما تذروه الرياح * فاستسمج تيمور لفظات هذه النسمات * و استبرد نفثات هذه النفحات * و امر باعداد لبوس القباب * و استعداد بركستوانات الجباب * و اتخذ لصفاح الجمد و سهام البرد * من المبطنات الدرق و من الفراء الزرد * ثم ضاعف لملاقاة الشتاء مضاعفات اللباس * و افرغها على قامة عزمه الثاقب و امدها من كافات كفايته باتراس * و لم يلتفت الى كلام و ملام * و استكفى من الشتاء ما لبسه و اعده من كل كاف و لام * و قال لعسكره لا تكترثوا بامر الشتاء فانما هو برد و سلام * و حين اجتمعت عساكره * و

التامت آمورة و اوامرة * امران يُصنعَ له خمسُ مائة عَجَله * وتُضبَّبَ بالحديد ليحمل عليها ثَقَله * فبادر الشتاء خروجَه بالدخول * و اورد بانقطاع جراية عُمُرهِ من ديوان الفناء الوصول * فبرز في شهر رجب * وقد اصبح البرد عجبا و اي عجب * و سار لا يرقّ لمَرِق * ولا يرثي لجسد من البرد محترق * فوصل في سياحته الى سيحون وقد تجمد * و بنى عليه رائقُ النسيم الصَّرح الممرد * قلت قديما شعر

على البحر قد عاينت جسرا ممددا * بناه آله العرش صرحا مُمَرَّدا
بكيت فخلت الدمع في جَنَباته * رقيق رحيق في زُجاج تجمَّدا

فعبرة و مَرّ * و مضى على ذلك و استمرّ * و تمادى على لجاجه و اصرّ * فدمّر الشتاء عليه بالدمار * و انحط عليه من الجوانب بكل اعصار فيه نار * وحطم جيشه بكل نكباء صرصر * و ضرب اثبات عسكره بصَرَّةٍ طوّل فيها و ما قصّر * وهو بذلك الجمع الكثير يسير * لا يحنّ لاسير و لا يجبر وهن كسير * يسابق البَرْد ببُرْده * و يجاري اجرده بجرده و مُرده * فجال فيهم الشتاء بجراجف عواصفه و بثّ فيهم حواصِب قواصفه * و اقام عليهم نائحات صبابرةٍ * وحكم فيهم زعازع صنابرة * و حلّ بناديه * و طفق يُناديه * مهلا يا مشوم * ورويدا ايها الظلومُ الغَشوم * فالى متى تُحرِق القلوبَ بنارك * وتُلهب الاكباد باوامك و آوارك * فان كنتَ احدَ نفسَيْ جهنّم فاني انا ثانيْ النفسين * و نحن نحسان اقترنا في استيصال البلاد و العباد فانحسَ بقرانِ النحسَيْن * و ان كنت بردت النفوسَ و بَرّدتَ الانفاس فنفحات زمهريري منك ابرد * اوكان في جرائدك من جرّدَ المسلمين بالعذاب فاصماهم و اصمهم

ففي ايامي بعون الله ما هو اصمّ و اجرد * فو الله لا حابيتك * فخذ ما آتيتك * و والله لا يحميك يا شيخ من برد ريب المنون * لواعجُ جَمْرِ مجمرةٍ و لا واهجُ لهيبٍ في كانون * ثم كال عليه من حواصل الثلوج ما يقطع الحديد و يفكّ الزرد * و انزل عليه و على عساكره من سماء الزمهرير من جبال فيها من برد * و ارسل عقيبها زوابع سوافيه فحشتها في آذانهم و مآقيهم * و دسّتها في خياشيمهم فاستقبلت بها نزعَ ارواحهم الى تراقيهم * و جعلت تلك الريحُ العقيم * ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم * و اصبحت مشارق الارض و مغاربها من الثلوج المُنقضّة * كأنها برعومات القيامة او بحرٌ صاغه الله من فضّة * فكادت اذا بزغت الصّقعاءُ و لمع الصقيع تراآى شيءٌ عجب * سماءٌ من فيروزج و ارضٌ من بلّور ملأٌ ما بينهما شذورُ الذهب * فاذا هبّت فيما بين ذلك و العياذ بالله نسمةُ ريح * على نسمة ذي روح * اخمدَتْ نفَسَه * و جمّدته و فرسه * و كذلك الجمَلَ والجَمّال * حتى اتت على كل مُرَمّقِ الحالِ * و انتهى الشانُ الى ان طابت النار وِرْدا * و صارت لواردِها سلاما و بَرْدا * و اما الشمس فانها ارتجفت * و جمدت عينها من البرد و نشفَتْ * و صارت كما قيل

يوم تودُّ الشمسُ من بردِهِ * لو جُرّتِ النارُ الى فُرْضِها

و كان الرجل اذا تنفّس جمدت انفاسُهُ على سِباله و لحيته * فيصير كأنه فرعونٌ و قد رصّع لحيتَه بحليته * و ان لفظ من فيه نُخامةً عاقدة * لا تصل الى الارض مع ما فيها من الحرارة الا و هي بندقة جامدة * فانكشف ستر الحيوة عنهم * و انشد لسان حال كل منهم * شعر

فيا ربِّ إنّ البردَ اصبح كالحا * و انت بحالي عالم لا تُعلَّمُ

فان كنت يوما مُدخلي في جهنم * ففي مثل هذا اليوم طابت جهنَّمُ
فهلك من عسكره الجم الغفير * و اتى الشتاء على كبير منهم و صغير *
و شاط منهم انوف و آذان و سقط * و انحل عقد نظامهم و انفرط *
ولازال الشتاء يهُبُّ و يصُبُّ عليهم بحار ابحارا * حتى اغرقهم فيها
و هم عاجزون حيارى * و نودي عليهم مما خطيآتهم اغرقوا فادخلوا
نارا * فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا و هو مع ذلك لا يلتفتُ
الى من مات * ولا يتأسَّف على ما فات *

ذكر مرسوم ارسله الى الله داد * بث منه الاكباد * وفت القلوب و الاعضاد * وزاد ما خيله فيه من هموم بانكاد *

و كان تيمور حين مخرجه من سمرقند ارسل الى الله داد باشباره *
مرسوما اذهب فيه قراره * و نفر طائر نومه عن وكراجفانه و
اطاره * و فهِمَ من فحواه بالاشاره * انه طالبُ دَماره * و موتمٌ
اولادهُ و مخرّب دياره * شد عليه فيه المضائق * و سد في وجهه
الطرق و الطرائقَ * و اقترح عليه فيه بامور * يسهُلُ عندها قطع
الجبال و نقلُ الصخور * و يعذُبُ عندَ ادناها شربُ البحور * من
اقلها ان يُهَيّئَ له بمفرده * اقامه ليوم قدومه دون غده * خضيما
ياكله ليله * و قضيما يطعمه خيله * و من عرض ذلك مائة حِملِ
جَمَلٍ طحينا خاصه * و هو مخصوص به لليلة واحدة خاصه * و انه
مع عساكره الجرّاره * لا يبيت سوى ليلة واحدة باشباره * الى غير
ذلك * فلما اطلع الله داد على هذا الكتاب * و فهِم ما تضمنه فحوى
هذا الخطاب * علم انه قد حلَّ به العذابُ فسلَت رعيّه * و بذل

سعيه * واخذ في اعداد الطحين * و اجتهد في ادارة الطواحين *
و كانت الطواحين ارقف من حال اديب * في هذا الزمن
العجيب * ومجاري مياهها ايبس من كف شحيح * كُلِّفَ زمن
القحط تذرية الدقيق في الريح * و دماء الانهار في مجاري عروق
الجبال ناضبه * و دموع العيون في آماق الغروب غاربه * فبذل ما
كان اعدَّه * لكل نائبة و شدَّه * و اهان نفائس الاموال * و استعان
على اجراء الماء بالمال * و استغاث باولى النجدة من الرجال *
و استمد المدد * من كل عدٍّ و ثَمَد * و استنهض آراء المتفقين من
الاصحاب * و استدفع بهم ما نزل به من مخلب للبلاءات و ناب *
و قرع لفتح ما رُتِجَ عليه مما لا طاقة له به كل باب * فاستجابوا
دعاءه * و اجابوا صداه و نداءه * و تأوَّهوا لمَضَضِه * و استطبّوا لمرَضِه *
و جمعوا من العملة و الفعلة الأُسُودَ و السراحين * فعملوا في سوق
الانهار من الاعمال ما يديرُ الطواحين * و جعلوا يعاندون البَرْدَ *
و يقطعون في طريق الماء الجَمَد * فكانوا كالضارب في حديد بارد *
و الكابد بتزويق وعظه تليين قلب الجاحد * حتى سهلت حزونه *
و رقَّ لمكابدتهم فدمعت عيُونه * و صاروا لا يقطعون من الجليد *
مقدار ذراع بالحديد * الا و نهَبَّ نُسيمةٌ يابسه * على تلك
الوجوه العابسه * فاذا هبَّ باردُ النسيم * قابله الماء بوجه بسيم *
فيبرد قلبه عن نارهم * و يصرِّدُ لبّه عن آوارهم * فيجمدَ ما فوق
ذلك * فتضيق عليهم المسالك * فيرجعون القهقرى * و يمشون
كالحبالى الى ورا * و الله داد مع ذلك يبذل الاموال * و ينادي
مستغيثا يا للماء يا للرجال * قلت

فكان كل منهم كالحمار * يخرج ما امكنه بالمدار

يوقفه السماء لاجرائه * و كلما اوقفه البرد دار
الى ان وقع الاتفاق بين الرفاق * ان هذه مسئلة تكليف ما لايُطاق *
و حين تبين له امرهم * و تعيّن عنده عذرُهم * قارنه الحَظّ الحالك *
و تيقن انه لا محالة هالك * و انه قد وقع فى البلاء العريض
الطويل * و ان مخدومه ما طلب منه في ذلك المحَرِّ الدقيق الا
لامر جليل * و كان بلغه ما وشاه به اضداده * و نقل الى تيمور عنه
اعداوه و حُسّاده * و علم ان خاطره تغيّر عليه * و فعلَه مع مُحمّد
جلد مُشيّدِ جامعِهِ قد نُقلَ اليه * و كيف قتله شرّ قتله * و نهب
امواله و اسر ارلاده و اهله * و كان متوقعا من تيمور * اضعاف هذه
الشرور * لا يقرّ له قرار * و لا يسكن له ليل و لا نهار * و قد غسل من
الحيوة يده * و ودّع حيوته و اهله و ماله و ولده * و قد قَرُب شهرُ
الصيام * و صار بينه و بين تيمورَ نحوٌ من عشرة ايام * و قد
انقطعت الدروب * وضعف الطالب و المطلوب * مفرد *
اذا تضايق امر فانتظر فرجا * فاضيق الامر ادناه الى الفرج

ذكر سبب انكسار ذلك الجبار * و انتقاله الى دار البوار * و استقراره فى الدرك الاسفل من النار *

و جعل تيمور يواصل التسيار * حتى وصل كُورةَ تدعى انزار * و لما
كان بظاهره من البرد آمنا * اراد ان يُصنع له ما يردّ الابردة عنه
باطنا * فامر ان يستقطر له من عرق الخمر المعمول فيها الادوية الحارة *
و الافاويه و البهارات النافعة غير الضارة * و ابى الله ان تخرج
تلك الروح النجسه * الا على صفات ما اخترعه من الظلم و اسّسه *
فجعل يتناول من ذلك العرق * و يتفوق افاويقه من غير فرق *
لايسأل اخبار عسكره و انباءهم * و لا يعبأ بهم و لا يسمع دُعاءهم * حتى

سقته يد المنية كاسَ و سُقُوا ماءا حميما فقطّع امعاءَهم * فانه لم يزل للقضاء معاندا * و للزمان مجاهدا * و لنعم الله تعالى جاحدا * و لا شك انه جاء ناقصا و تحمل مظالم فراح زائدا * فاثّر ذلك العراقَ في امعائه و كبده * فترتّبَ هذيانُ جسمه و رنخ اركانُ جسده * فطلب الاطباء * و عرض عليهم هذا الداء * فعالجوه في ذلك البرد * بان وضعوا على بطنه وجبينه الجَمْد فانقطع ثلاث ليال* و عكم احمال الانتقال * الى دار الخزي و النكال * و تفتّتَ كبدُه * و لم ينفعه مالُهُ و ولدُه * و صار يتقيّأ دما * و ياكل يدَيْه حسرةً و ندما * مفرد *

و اذا المنية انشبت اظفارها * الفيتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفع

وجرّعه ساقي المنية امرَّ كاس * و آمن حينئذ بما كان جاحده فلم ينفعه ايمانه لما رأى الباس * فاستغاث فلم يوجد له مغيث * و نودي عليه آخرجي ايتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث * آخرجي ذميمه * ظالمة اثيمه * و ابشري بحميم و غساق * و مجاورة الفساق * فلو تراه و هو يغط غطيط البكر المخنوق * و يخمد لونه و يزبد شدقاه كالبعير المشنوق * و لو ترى ملائكة العذاب وقد اظهروا استبشارهم * و اخذوا على الظالمين ليخربوا ديارهم و يطفئوا نارهم و يهدموا منارهم * و لو ترى اذ يتوفّى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم و ادبارهم * و لو ترى نساءه و حاشيته و هم حواليه يجأرون * و اعوانه و جنده و قد ضل عنهم ما كانوا يفترون * و لو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت و الملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق و كنتم عن آياته تستكبرون * ثم انهم احضروا من جهنم المسوح * و سلّوا اسلّ السفود من الصوف المبلول

تلك الروح * فانتقل الى لعنة الله و عقابه * و استقر في آليم زجره و عذابه * و ذلك في ليلة الاربعاء سابع عشر شعبان ذى الانوار * سنة سبع و ثمانمائة بنواحي انزار * و رفع الله تعالى برحمته عن العباد العذاب المهين * فقُطِعَ دابرُ القوم الذين ظلموا و الحمد لله رب العالمين * قلت شعر

الدهر دولابٌ يدور * فيه السرورُ مع الشرور
بينا الفتى فوقَ السما * و اذا به تحت الصخور
كم من شموس في سما * فلك العلاء لها بدور
لما استوت في عزها * زالت و اكسفها الفتور
و ملوك دنيا اضرمت * من نار عدواها البحور
ملكوا البلاد و اهلها * ماضى الاوامر و الامور
اغراهم الدهر الخؤن و غر با لله الغرور
ضحك الزمان بثغره * لهم و قد ملكوا الثغور
فغدوا ذئابا في الاذى * و غدوا آسودا في الشرور
غذى لهم فتقروا قصوا * مثل الشخوص بلاشعور
و حكوا على باباتهم * طيف الخيال اذا يدور
و توهموا ان الزمان مطاوع غير النفور
او أنَّ ما نالوه من * دنيا يفور و لا يغور
فتواثبوا و تضاربوا * و تكالبوا شبه النمور
و تلاكزوا و تلاحزوا * و تناجزوا الضرب الهصور
و تخاخزوا و تلابزوا * و تناقروا نقر النسور
هذا و ان يتصالحوا * يتصافحوا مينا و زور
فتهافتوا في نارها * متصورين النار نور

بينــاهُمُ في عزهم * و الدهر مكار غيــور
إنقـضَّ فيهـــم صرفُهُ * كالصقر في دُقَلِ الطيور
أمْسَـوا و كلٌّ منهُـــمُ * كاللحـــم يلقى للصُّقور
لا مَلِكٌ ردَّ يدَ الرَّدى * عنهم و لا مُلك وَدُور
كلا و لا جيشٌ و لا * ولدٌ و لا مددٌ نَصُـور
ثم انمحـت آثارُ هم * محوالحيا نقشَ السُّطُور
لم يبق منهم دهرُهم * شيـــئا سوى ذكرٍ يدور
ناهيك منهم فتنــة * كالابْحُـــر الظلما تمور
الاعرجُ الدجَّالُ من * قَضَمِ الجماجمَ و الظُّهور
داخ البـلاد و دارَها * و نوائبُ الدنيا تدُور
املى له اللهُ الحليـمُ فزادَ عدوٌّى في فجـور
و امـدَّهُ مستدرجا * إياه في شئ يبـــور
ليـراه في امضــائه * حكمـا ايعدل ام يجور
فاستاحَ كلَّ الخلقِ من * عُرْبٍ و من عُجْـم القُطُور
ومحاالهدى وغدىالردى * بحسامه الباغى يمور
افنىالملوك وكلَّ ذى * شرف و ذى علم وقور
و سعى على اطفــاء نور الله و الدين الطَّهور
بفرُوعِ جنكز خان ذاک الظالم النجس الكفـور
فاباحَ اهراقَ الدما * من كل صبَّـــارٍ شَكُور
و احلَّ سَبْىَ المحصنات المؤمنات من الخُدور
و رمى على النار الصغار كأنهم فيها بخُور
و اضاف في هذا الى * فعلِ الزنا شربَ الخُمور
طورا يرى نكث العهودِ وتارة نقضَ النُّذور

وعدا على السادات من * اهل الصيانة و الوُقُور
من كل ذئب صائل * منهم و من كلب عَقُور
فتكوا و قد بتكوا القلوبَ و بعد ما هتكوا الستُور
و شووا جباها طالما * سجدت لذى الرب الغفور
وكَوَوا جُنُوبًا قد جفت * طيب المضاجع و الظهور
و استخلصوا الاموال من * ايدي البرايا بالفجور
و سَقَوهُم كاس السموم و جرّعوا كاس الحرور
و استاسروا آل النبي المصطفى الطُّهر الطَّهور
باعوهُم من مشركي الاتراك في اقصى الكُفُور
و كذاك واحد أمّه * من كل مِقلاتٍ نَزُور
و جروا على هذى الجرائم و استمر لهم مرور
ما بين ايران و توران البلاد لهم عبور
و امتد ذاك من الخطا * اخذًا الى اقصى القُطور
لما انتهى افساده * و تكاملت تلك الشرور
هجم القضاءُ لاخذه * و لكل تكميل قُصُور
حذفته ايدى الموت من * تلك القصور الى القبور
و تبدلت منه الكرامة بالمذلة و العثور
و مضى الى دار النكال بما تحمل من وقور
و تفرقت تلك الجموعُ و هُدّ ما شاد الدثور
ابقت عليه فعاله * لعنا على مَرّ العُصُور
و تخلدت آثارُ ما * آذى على كرّ الدهور
فانظُر اخي ثم افتكر * في ذا المساء و ذا البُكُور
لا فرق عند الموت بين شَكُور فضل او كَفُور

اين الذين وجوههم * كانت تلألأ كالزبور
اهل السعادة و الحجى * و ذووا السيادة و الوقور
المطفئو بدر السما * و المخجلو فيض البحور
كانوا عظاما في الصدور و هم صدور في البدور
طحن الردى تلك العظام و فتّ هاتيك الصدور
و سفتهم ريح الفنا * سفي الرمال يد الدبور
اين البنون و من غدا * للقلب افراحا و نور
كانوا اذا رفع الحجاب و زحزحت عنهم ستور
تلقى الدنا قد اشرقت * كالشمس من سجف الخدور
من كل ظبي احور * او ظبية تزري بحور
نشر الجمال عليهم * ثوب الدلال على حبور
و فدتهم مهج الورى * من شر احداث الدهور
كانوا اذا سكنوا مكانا حركوه من السرور
كانوا على وجه الدنا * حدقا و للاحداق نور
و حدائقا لرياضها * و على حدائقها زهور
بينا في سكرهم * قد مازج الدل الغرور
و العمر غض و الزمان مسلم لهم الامور
و اذا بساقي الموت فاجاهم بكاسات الثبور
فسقى رياض حيوتهم * قدحا اعاد الكل بور
تركوا فسيح قصورهم * رغما الى ضيق القبور
و سقوا كؤس فراقهم * صبرا لكل شيء غيور
من شق حزنا جيبه * و لفقدهم دق الصدور
لو كان ينفعه الرثى * او كان تجديه النذور

لقد اهُمْ و وقاهُمُ * و رعاهم رعي الخدور

سكنوا الثرى فتغيرت * تلك المحاسنُ و الشعور

و رعاهم دودُ البلى * و فراهم فري الجزور

امسوا رميما فی الثرى * و ثووا الى يوم النشور

يسعى المحبُّ مخاطبا * اجداثهم يوما يزور

ينعى و يندب فاتحا * قبرا تذاوشه الدثور

و يمرّغ الخدين في * تُرب يراها كالذرور

يدعو فليس يُجيبُهُ * الا صدى صُمِّ الصخور

بينا تراه زائرا * و اذا به امسى مزور

هذا بتقدير الاله و حكم فعّال صَبور

دنياک جسر فاعتبر * و احرص على زاد العبور

واطمح الى اللُّب الهني * فجميع ما فيها قشور

لولم تكُ الدنيا و ما * فيها هباءً خيتعور

ما كان يزوي برّها * من كل صبّار شكور

كلا و لا انقادت لمن * قد صار مختالا فخور

هذا و غالب من عتا * في ارضها عُرج و عُور

خُلقوا لحقٍ فانثنوا * عنه الى مَيْن و زور

يا ربّ ثبّتنا على * ما ترتضيه من امور

و اغفر لنا ما قد علمتَ من الخطايا يا غفور

و اختم لنا بسعادة * نكفى بها شرّ الغرور

و امنُن لنا بتجارة * من باب فضلك لن تبور

و ادِم سحائب رحمةٍ * تهمي على بدر البدور

خيرِ الانام محمدٍ * الشافع الزاكي الطهور

و الآل و الصحب الكرام و تابعيهم يا شكور

فصل في ذكر ما وقع بعد وفاة تيمور * من حوادث و امور * و ما ظهر من سرور و شرور *

و كان لالله داد احد الخُلّان * يدّعي سعادات نائب اندكان * من ذوي النّباهة و الشهرة * و هو احد الامراء الذين توجهوا لعمارة باش خمرة * فارسل قاصدا الى الله داد * انه ارتفعت مادة الفساد * و ان تيمور ترك تبعة الممالك * و توجه بتبعاته الى درك مالك * فوصل القاصد بهذا السرور * رابع عشر شهر رمضان من العام المذكور * ففرج من الله داد هَمَّه * و ازاح عنه غمه * و كأنه استأنف له الحيوة * ا ورد راحلته التي عليها طعامُهٗ و شرابُهٗ بعد ان اضلّها في فلاة * و سياتي حكايةُ الله داد و امرة * ما جرى له بعد ذلك الى آخر عمره *

ذكر من ساعده البخت * واستولى بعد تيمور على التخت

فلما قضى تيمور نحبه * و ازال الله عن العالم كربه * لم يكن معه في اجناده * من اقاربه و اولاده * سوى خليل سلطان بن اميران شاه حفيده * و سوى سلطان حسين ابن اخته الذي هرب الى السلطان في الشام عند وروده * فاراد وا كتم هذه القضيه * و ان لايُشْعَر بها احد من البريه * فشاعت وراعت * و على رغمهم داعت * فاضطربوا و اضطرموا * و اصطدموا و اصطلموا * فاطلع الناس كلهم على ذلك و فهموا و علموا * انه قُطِعَ دابرُ القوم الذينَ ظلموا * فجفلت العساكر و اجفلوا * و حملوا عظامه و الى سمرقند قفلوا * و ساعد خليل سلطان البخت * و خلا له الجو فاستولى على التخت * و كان ابوه اميرانشاه * متولي ملك اذربيجان و ما والاه * و عنده ولداه

عمر و ابو بكر * و بينهم و بين ماوراء النهر من الاطواد و الاشجار مائة سياج و الف شجر * و كان ابوبكر هذا في الجغتاي من الفوارس * و الضاربين بالبيض الهام و القوانس * يذكر انه كان يوقف بقرة * او ينيخ بكرة * و يضربها بالسيف ضربة لا ضربتين * فيجعلها قطعتين مفصولتين * و اميرانشاه هذا قتله قرا يوسف بعد تيمور و استخلص منه ممالك اذربيجان * و ولده عمر قتله اخوه ابوبكر و ابوبكر قتله ايدكو متولي كرمان * و مصافاتهم مذكورة * و حكاياتهم مشهورة * و شاه رخ كان في هراة و ممالك خراسان * و بير عمر كان في ولايات فارس و تلك البلدان * و تيمور كور كان * جعل ولي عهده محمد سلطان * و هو و ان كان من احفاده * لكنه قدمه على اولاده * لما لاح له من فلاحه * و ظهور رشده و صلاحه * فعانده القضاء فيما يروم * و مات كما ذكر في آق شهر من بلاد الروم * و كان له اخ يدعي بير محمد * فجعله تيمور وليّ عهده من بعد * فلما هجم عليه رايد الموت * و اهاب روحه الخبيثة بازعج صوت * كان مستغرقا في بحر غفلته * مسترجيا ارجاء مهلته * فذبحه اغتباطا * و سام عسكره اختباطا * و كان اذ ذاك من اولاده و احفاده بعيد الدار * مستقر القرار آمنا من البوار فارغا عن الدمار * و هم كتيمورَ غافلونَ * و بير محمد في قندهار * و هي بين حدي خراسان و الهند و بينه و بين ماوراء النهر سباسب و قفار * فلم يكن اقرب الى دار الملك الذي انشاه * و هي سمرقند سوى خليل سلطان بن اميرانشاه * مع ان قطان الشتاء و ندافه * كان قد بسط على فراش الارض لحافه * و ندف عليه من اقطان الثلوج ماغطى وجه العالم و اطرافه * و طمّ ظهره و اكتافه * فلم يقدر احد من

اولئك الحشرات ان يخرج رأسه عن اللحاف * ايضحك ثغر زهرة انملة في كم كميم خوفا من جاني النسيم ان يبادرها باختطاف الاقتطاف * فضلا ان يتمطى في فراش آهبة الى حركة سفر فيمد يده نحو بطش اورجله نحو طواف * فاستولى خليل سلطان على ذلك المغنم البارد من غير منازع و عديل * و استبدل الملك بل العالم من جهنم الكوثر و السلسبيل * و نادى لسان السلطنة في رفعتها نعم البديل * تبدلت عن بغيض بحبيب و عن عدو بخليل * و تمكن من العساكر و الامراء * و خلاصة الجند و اساطين الزعماء * و احتوى على تلك الامم * و طوائف الروح من العرب و العجم * و ادخل عنق الجميع في ربقة المتابعة * و فتح لهم في اسواق الصداقة حوانيت الصلات فعاملوه بعقود المبايعة * و لم يمكن احدا منهم الخروج عن الدخول في الطاعة * و التخلف عن المبادرة الى مبايعته في ذلك اليوم و لا ساعة * فاطلق لهم البشرة * و احسن معهم العشرة * و كان يوسفي الخلق * محمدي الخلق * خليلي الرفق * اسمعيلي الصدق * جمع حروف الملاحة * و حاز صنوف الصباحة * نقش محاسنه كاتب الصنع بقلم الكاف و النون * على احسن ما يكون من الحركات و السكون * فاول ما مشق على لوح الجمال الف قده القويم * فجاء له كل من فاء عن لام عذاره متقوسا في خدمته كالدال و الجيم * و حسن لكل راء ما فيه من زين * و ما شين سين ثغره و ميم فمه مذ فاها بخلف و لا مين فاستقفى بوابله كل قاف * و استكفى بنائله كل كاف * و امطر من غين كفه العين * فصاد من الجند كل ذي لام و باء * و دال بذلك على كل من باء عن وعده و رجع عن عهده وفاء * فقدت

الواقيات مهجتهُ * و رقت من عين الحوادث بهجته * و عوذت منه الارداف * بالطور و الاحقاف * و حمت نونَ حاجبه و فاهُ و طرفهُ و طرّته و ردفه بحم عسق * و فتحت له الملوك بالثناء فاها * و خفضت لارتفاعه خدودها معوذةً له و قالت يا سين و طا ها *

ذكر خلاص العساكر من البند * و قفولهم مع عظامه الى سمرقند *

و لما ذبح قصاب الفناء تيمورَ و نحره * جزره كالجزور فجعل يخور كالثور و بقره * ثم اراد ان يصليهُ من نار الجحيم حفره * فاستغاث بخليله فاجاره و اخره * و قال لا تعجل عليه و حمله في محفة بعد العجلة و صبره * و الوى راجعا الى سمرقند * و كان قد انحل نهر خجند * و طالب الشتاء قد ادرك ثاره * و برد قلبه و سكنت الحرارة * قلت

ورق للعالم قلب النسيم * و اقبل الدهر بوجه بسيم
ثم هجم جيش الربيع المنصور * فانهزم جند البرد فولى و هو مكسور *

ذكر ما اضمره وزراء تيمور * و اخفاه كل منهم في التامور *

و كان في افلاك ذلك العسكر * سيارات نجوم بهم سماؤه تزهر * و بارائهم يقتدى * و بروينهم يستضا * قلت

من كل منتخب الامر منتخب * كالشمس رأيا و كالضرغام إقداما
قد هذبتهم الامور * و شذبتهم بلايا تيمور * و استفتح بهم المغالق * و استوسع بصدماتهم المضائق * و تخلص بحملاتهم من شدة

كلِّ مارق * و توصّلَ بعزمهم الى نيل المآرب * و توسل بعزيمتهم الى كنوز المطالب * و كان هو البدرَ و هُمُ الهالة * وهو الفاعلَ وهُمُ الآلة * و هو الروحَ و هُمُ الحواس * و هم الاعضاءَ و هو الراس * فلما كُوّرت شمسُ مواكبهم * و انتثرت كُنَّسُ كواكبهم * و رحلَ زُحَلُهم * و خاب املُهم * قلت

و عُوّضَ الكونُ الدُّجى بالضحى * و بُدّلَ المرّيخُ بالمشتري

اجال كل منهم قداح فكره * و تدبر في ذلك الحادث و عاقبة امره * و استصغر خليلَ سلطان * و علم انّ موج المنازعة سيأتيه من كل مكان * و انه لا يصفو له وِردُ الملك من مُكَدِّر * و لا هواهُ من مُغيِّر * و اقلُّ الاشياء ان يقول له رسولُ اكابر اقاربه كَبِّرْ كَبِّرْ * فاعدَّ لكلِّ شدةٍ شِدّه * و لكل عِدّةٍ عُدّه * و لكل خَرْزةٍ فَرْزةً * و لكل حُزّةٍ حَزه * و لكل بوسا لُبسا * و لكل سهم تُرسا * و لكل فائبة نابا * و لكل بائقة بابا * و لكل خطبة خطابا * و لكل خطاب جوابا * و لكل حَرْب حِرابا * و لكل امر امرا * و لكل غدر غدرا * و لكل ازمة حَزْمه * و لكل نصب نصبه * و لكل كسرة جزمه * و لكن شكيمةُ البرد ردّت جماحَ كلِّ جَموح * و سفيحة الجمد قدت جناح كل سبوح * فما وسع كلا منهم الا الاطاعه * و الانقيادَ لامر خليل سلطان بالسمع و الطاعه * و استمروا معه على القفول مضمرين لخليل ما اضمره للحبيب عبدُ الله بن اُبَيّ بن سَلول * و كان احدهم يُدعى بزندق * فرام الى التحصن بقلعة المخالفة التسلّق * فقال لخليل سلطان ان اقتضت الاراء ان اتقدم * و امهّدَ لك الامورَ الى حين تقدّم * و اكونَ رائد دولتك * و قائدَ سلطنتك * فاشيّدَ القواعِد * و ابشّرَ الصادر و الوارد * فيكون كلّ

مستعدا للملاقاة * و مُهيأ اسبابَ المُوافاة * فاذن له * و امامه ارسله*
فوصل الى سيحون وقد عُقد عليه جسرٌ بالمراكب * و هُيئت
اسباب عبوره لكل راجل و راكب * فعبره بزندُق بجماعته * ثم امر
بقطعه من ساعته * و اعلن العصيان * و قصد سمرقند مجاهرا
بالطغيان * نظم اتفاقي

فكشّـرت اسوارُها * في وجهـه انيابَها
و اسبلت عصمتُها * ببابهـا حجابَهـا
و اسدلت على جبين مَنَعـةٍ نقابَهـا

فاستدرك فارطه * و سلك في مسئلة منطقة المغالطة * و وصل
خليل سلطان الى الجسر فوجد عقدَه قد انحلّ * و نظامَه قد
اختل * فلم يَكترث بزندُق و ما فعل * بل عقده مرة ثانية و
دخل * و ولى ماوراء سيحون من البلاد * متوليها اولا و كان يدعى
خدايداد * و هو اكبر اعد له * و من رفقاء تيمور و نظرائه * و منسوبا
الى السلطان حسين * و هو في تلك البلاد بمنزلة الراس و العين *
فلم يسع خليل سلطان الا مسالمته * و اقراره في بلاده و مهادنته *
اذ اموره كانت في اوائلها * ففوّض اليه امرَها والقلوبُ في غوائلها *

ذكر وصول خليل سلطان * بما ناله من سلطان الى الاوطان *

ثم توجه الى سمرقند فاستقبله كبراؤُها * و خرج اليه نائبها و
زعماؤُها * و وفد عليه نوابُ البلاد * منغمسين في السواد * لابسين
اثواب الحِداد * و جاء الاكابر و العظام * معظمين هاتيك العظام *
و مهنين خليل سلطان بالسلامه * و نيل سرير الزعامه * قلت

و وجهُ كلّ قد غـدا * مثلَ الربيـع القادم

بعين سُحب قد بكت * و ثغـــر زهر باســـم

و جعلوا يقدمون التقادم السنية * و الحمولات البهية * وهو يقابل كلا منهم بما يليق بحشمته * و ينزله في منزلته * وقال لبزندق لا تثريب * و قابله مقابلة الخليل الحبيب * و مهّد له بساط المباسطه * و سلم اليه مسئلة المغالطه * و حين ثبتت اوتاده اقتلعه * و القاه على غفلة في فم اسد المنية فابتلعه * ثم اشلى على دياره كلاب النهاب * و شهاب الالتهاب * فمزّق اديمها * و هتك حريمها * و محا حديثها و قديمها *

ذكر مواراة ذلك الخبث * والقائه في قعر الجدث *

ثم انه اول ما اشتغل بمواراة جده * و تجهيز امره و القائه في حُفرة لحده * فوضعه في تابوت من آبنوس * و حمله الرؤس على الرؤس * و مشى في تشييع جنازته الملوك و الجنود * حاسري الرؤس لابسي الثياب السود * و معهم طوائف الامراء و الاعيان * و انزلوه على حفيده محمد سلطان * في مدرسة حفيده المذكور * بالقرب من مكان يسمي روح آباد و هو موضع مشهور * فكان هناك على اثاف * في سرداب معلوم غير خاف * و اقام عليه شرائط العزاء * من اقراء الختمات و الربعات و الدعاء * و تفريق الصدقات * و اطعام الاطعمة و الحلاوات * وسنّم قبرَه * و نجّز امره * و نشر على قبره اقمشَتَه * و علّق على الجدران اسلحتَه و امتعته * كل ذلك ما بين مكلل و مرصع * و مزركش و مصنع * ادنى شئ من ذلك بخراج اقليم * و حبة من كُدس تلك الجواهر تفوت التقويم * و علق نجوم قناديل الذهب و الفضة في سماء غواشيها * و بسط على مهادها فرش الحرير و الديباج الى اطرافها وحواشيها * و من جملة هذه

القناديل تنديل من ذهب زنته اربعة آلاف مثقال * رطلٌ واحدٌ بالسمرقندي و بالدمشقي عشرة ارطال * ثم رتّب على حفرته القرّاء و الخدمه * و ارصد على المدرسة البوّابين و القوّمه * و قدّر لهم الادرارات * من المسانهات و المياومات و المشاهرات * ثم نقله بعد ذلك بمدة الى تابوت من فولاذ * صنعه رجل من شيراز ماهرٌ في صنعته استاذ * و قبره في مكانه المشهور * تنقل اليه النّذور * و تُطلَبُ عندَه الحاجات * و تُبتهل عنده الدعوات * وتخضع الملوك اذا مرت به اعظاما * و ربما تنزل عن مراكيبها اجلالا له و اكراما *

فصل في اعتدال الزمان * و اخبار خليل سلطان

و لما اخذت تيمورَ الصيحةُ بالحق فصار غُثا * و قعد خليل سلطان على التخت و قام الشتاء بعد ان كان جثا * مدّ الشعراءُ السنتهم للزمان بالمدح و لخليل سلطان بالتهنية و لتيمور بالرثا * فسمع الشتاء وغنّى صوتَه و اجاز * و رفع عن العالَم في نهوضه الكلاكل و الاعجاز * فابتهج الكون بورود الربيع * و شكر الروضُ للسحاب ما اسداهُ اليه من حسن الصنيع * و رفع على الروابي من الشقائق أعلامه * و نصب مما زهّره خيّامُ الصُنع من ازهار الاشجار خيامه * و نوّر الحدق بانوار الحدايق * و استنطق بتسبيح الخالق * من خُطَباء الاطيار على منابر الاغصان في جوامع الرياض ما استنصت بلغاته كل ناطق * من كلّ مُغرِب في ديوان الفصاحة رائق * و معجب باسرار البلاغة نائق * فرقصتِ الاشجار * لغناء الاطيار * وصفّقت الانهار * واعتدل الليلُ و النهار * و اكتسى البسيطُ الاغبر * خلع السُّندس المُزهّر * و تبدّلت الاغصانُ من قَطني الثُلوج * كلَّ ثوبٍ باصباغ القدرة مزهّر و بدمقّس الازهار منسوج * و كلّ قباءٍ صار مزهرًا في كل دفتٍ

اغنى لكلّ طائرٍ و فروج * و بسط الكون على المكان * لاقدام خليل سلطان شقق الورد و الريحان *

فصل

و لما فرغ خليل سلطان من ذلك * شرع في تمهيد الممالك و تسليك المسالك * و علم انه لاينقيّد به انسان * الّا بقيد الاحسان* و لا يجتمع له البال * الا بتفريق المال * فعقد القلب على فكّ طلسمات الختوم و حلّ الرموز * وصرف الموانع و التوابع عن تلك المطالب و الكنوز * و قوّى العزيمة على فتح الخبايا * وصيد عصافير القلوب ببذر حبّاتِ الهبات تحت شِباكِ العطايا * ففرق ما كان شتت جدّه في جمعه شمل البرايا * و ثقّل الكواهل بتخفيف ما اثقل ظهر غيره بالمآثم و الخطايا * و اوسق احمال الامال * و ربوعَ الاطماع بالاموال * و امطر ايادي بميمنه بالنوال * ففاض الخيرُ من صوّب الشمال * و ملأ الافواه و المسامع و المقل من الناس * بما افرغ من حواصل الكنوز و الصناديق على اغتام الجند و الاكياس * فنثر اغصانَ الدوح عند ورود الربيع اصناف ازهاره * فكأنه انامل كفه المنتظمة في نثار درهمه و ديناره * و جاد السحاب بُدَرِ دُرّهِ و امطاره * فضاهى جَوْدَ جوده الهامي على العالَم و اقطاره * فقيدَ الناس كلهم بهذا القيد * و نحوا صَرّافَ بذله مُعربين له بالاطاعة فُترك عمرو و زيد *

ذكر من اظهر العناد و المراء * و تشبث بذيل المخالفة والعصيان من الامراء والوزراء *

غير ان بعض تلك القواد * و زعماء الوزراء و الاجناد * اعلن ما كان استرّ * و وضع المضمر من العصيان موضع المظهر * فاوّل

من شهر سيف العصيان * و فوّق سهام العدوان * و شرع بمخالفته الرّديني * خدايداد الحسيني * متولي ماوراء نهر سيحان * و اطراف تركستان * فوجد من كان عزم على نقض يده من عقد الطاعة * اماما يقتدى به في البغي و مفارقة الجماعة * لا سيما و قد كان صوّاغ الربيع قد اذاب بجمراته سبائك الجمد و الثلوج * و رصّع بما اخرجه من ذلك ديباجة الارض و روضات الجنات و أرباض المروج * و استمعت اموات الحشرات صيحة الرّعود بالحق فقالت ذلك يوم الخروج * فاقتفى خدايداد * في العصيان والعناد * شيخ نور الدين * و كان عند تيمور من المقدمين * و ذوى الاراء و التمكين فانخزل جهارا * و سار ليلا و نهارا * فوصل الى خداي داد * و قوّى منه الظهر و الاعضاد * و شاركه في التمرّد و الفساد * ثم بعده فرط نظام الطاعة شاه ملك * و اخذ في طريق المخالفة و هو منهمك * و خرج من سمرقند و هو يصرّخ * و قطع جيحون و وصل الى شاهرخ * و كان نظير شيخ نور الدين * و ذا رأي مكين و فكر رصين * فلم يكترث خليل سلطان بالعاصي و اكرم مَن ثَمّ يغص * و عمّ بتاج انعامه كل راس و ما خص *

ذكر اخبار الله داد صاحب اشپاره * و اخلائه اياها و قصده دياره * وما صنع في تدبير الملك و اثاره * قولا وفعلا و اشاره * الى ان ادرک في ذلک دماره و بواره *

ثم ان الله داد جمع اخصّاءه ليلة ورود الخبر اليه * و شاورهم فيما يصنع و ما يبنى آمره عليه * فاتفقت كلمتهم * و اجتمعت مشورتهم *

على قصده دياره * و اخلائه اشباره * فانهم كانوا في ذلك المكان *
كالفسّيق في شهر رمضان * والزنديق بين قُرّاء القرآن * فلما طوى
الجو ملاءته المسكيه * و نشر على المكان مُروطه الكافوريه * وانقى ثُعبان
الفجر من فيه على هذا السقف المرفوع خوَزَتَه المضيَّه * حضر الى
خدمة الله داد * امراءُ الجيش على عادتهم و رؤس الاجناد * من
الترك و الخراسانيين * و الهنود و العراقيين * فاختلى بافاضلهم *
و مدارة مقاولهم * و نشر لهم من هذه القضية طيها * و طلب من
آرائهم فيها رشدَها و غيَّها * و استكتمهم امرها * لئلا يستنشى المغولُ
نشرها * و انّى لعين الشمس في الضحو الاستتار * و كيف يخفى على
ذي عينين النهار * فكل منهم فوّض الامر الى موسومه * و طرح قصةَ
هذه القضية في جيب مكتومه * فاستدعى من اولئك الرفاق * ان
يكونوا معه فيما يرأه على طبق الوفاق * فاجابوه الى سواله * و ربطوا
افعالهم باقواله * فاكد ذلك بطلب ايمانهم * و انّ اسرارهم في
ذلك كاعلانهم * فشرع كلّ في المحالفه * انه ليس في موافقته
مخالفه * و انه مهما رآه الله داد امتثله * و ما امر به فعله * و حين
اٰمن من مخالفتهم و عصيانهم * و حصل له اليسار بربط اعناقهم
بايمانهم * قال اي جماعة الخير * وُقيتم الضُّرّ و كُفيتم الضَّير * ارى
ان اكون في صلوة هذا الامر إمامكم * فاتقدم بجماعتي الى سمرقند
اٰمامكم * فامهِّد الامور لكم * و اُرسلَ الى بلَدِكم هذا بَدَلَكم * و ايمُ
الله لا يأخذني قرار و لا هدو * و لا اتركم مُضغَةً لضاغم ثغر العدو *
فان رايتم ان تضبطوا بحسن الاتفاق اموركم * و تحموا قريحة ورد
نلعتكم من سورة شارب العدوّ و سُوركم * فلن اٰمهلكم الاّ بقدر ما اقطعَ
نهر خجند * و اصلَ الى سمرقند * فامهلوني رَيثَما اصل * و بتجليل

سلطان اتّصل * فتبعوا مراده و اقتفوا ما ارادَه * و عاهدوه ان لا يُخلفوا من بعدِه * و لا يحلّوا بعد ارتحاله من رقابهم حبلَ عهدِه * فامّر عليهم رأسَ جُنود العراق * و كان هو اكبر الرفاق بالاتفاق * و قرّر لكلّ مسلَحةٍ في اسوارِها من كلّ سالحٍ جزءا مقسوما * و صار زعيم اولئك السالحين كالنبي في امّته مع انّه كان يدعى معصوما *

فصل

ثم امر الله‌داد بتنجيز الامور * و خرج سابعَ عشرِ شهرِ رَمَضانَ المذكور * و لم يلتفت الى بردٍ و حرّ * و كان قد استوطن اشبارة و استقرّ * و نقل اليها حريمه و اولاده * و بذلك امر حاشيتّه و اجنادَه * فاقتلع الكل معه كبيرا و صغيرا * و لم يدع بها مما يتعلق به فتيلا و لا نقيرا * فساروا تارةً دبيباً و حينا زَحْفا * و طوراً تسومهم الارضُ من ثلجها خسفا * و آونةً تُسقِطُ السماءُ عليهم كِسْفا * فادركهم العيد المرقوق * في مكان يدعى قولانجوق * من ابرد البلاد * كانه ينبوع ريح عاد * قلت شعر

اذا احتاجت جهنم زمهريرا * تنشّق منه انفاسَ الهَجير

ذكر ورود مكتوبين الى الله داد * من خليل سلطان و خدايداد * تخالفت معانيهما * و تصارمت فحاويهما

فورد عليه مرسومٌ من خليل سلطان * يذكُرُ فيه ما حصل لجدّه من حادث الزمان * و انه استولى على سريره * و اطاعَهُ من الملوك كلّ كبير القدر و صغيره * و انّ الامور بحمد الله مستقيمه * و قواعد الملك على عاداتها القديمة مقيمه * فلا يحدث امرا * و لا يخرج عن بحر مدينته برّاً * و ليسدّ بمكانه * و ليتثبّت باشبارة مع

طوائف جنده و اعوانه * و ليطيّبْ خاطر الجُزء و الكُل * فانه عقيب ذلک يرسل اليهم بدل الكل من الكل * فتحيّر الله داد و تفكّر * و حاسب نفسه هل يربح في سَفَرة ذلک او يخسر * ففكّر و قدّر * فقتل كيف قدّر * فبينما هو في امره يُعيد و يُبدي * و يلحم في شُقّة افكاره و يسدي * و اذا بقاصد خدايداد ورد عليه * يستحثّه على الخروج من اشبارة و الوصول سريعا اليه * فوجد لخروجه من اشبارة عند خليل سلطان مندوحة * و عاش فنام و هو مُغمّض العينين بعد ان مات و عيناه مفتوحة * فطوى بساط تردّده * و توجه ببسط امله نحو مقصده * و لكن كان بينه و بين المراد خرط القتاد * و الموانع التي ذكرها صاحب الوصول الى سعاد * مع زيادة نهر سيحون و خدايداد * فواصل التاويب و الاسآد * حتى وصل الى خدايداد فابتهج برؤيته * و استنجح مقصوده بطلعته * ثم قطعا نهر خجند * و قصدا ضواحي سمرقند * و وصلا على حين غفلة و فترة الى مكان يسمى تيزک * و قد شهرا للعدوان الحسام و شرعا للفتک النيزک * فاحتاطا على جشار تيمور فنهباه * و تغلّبا على ما وصلا اليه من نقد و جنس فسلباه * و اكثرا هنالک شرًّا و فسادا * و اشبها في ذلک تسعة رهط ثمودا و عادا * و كانت هذه اول شرارة شر و بدعة سقطت من سقط الزند * و بسطت يدها بالفتن بعد قبض تيمور في ممالک سمرقند * لان اهلها كانوا قد امنوا الشرور * و وقوع الفتن في حيوة تيمور * فحين دهمهم اولئک المفترون * اتاهم العذاب من حيث لا يشعرون * و ذلک في شوال سنة سبع * و هو العام الذي خلا فيه من تيمور الرّبع * و ما امكن السلطان خليل * تدارک هذا الخطب الجليل *

ذكر من خلفه الله داد باشبارة من الطوائف * وما وقع بعده بينهم من التناكر والتخالف *

و اما امرُ من خلَّفه الله داد * في اشبارة من طوائف الاجناد * فانهم خافوا من المغول حلولَ حَيْنِهم * فتحزبوا و اختلف الاحزابُ من بينهم * فمنهم فرقةٌ قال قائلُهم انا على عهدي قويٌّ فلا اخونُ و امين * و قد استمسكتْ يدي بعروةِ عهدٍ مكين * و ارتبطتْ بحبل حِلْفٍ فلا اصيرُ من اهلِ الشِمالِ باليمين * و ادنى ذلك ان نصبِرَ حتى يصل من الله داد رسول او كتاب * و ننظُرَ ما يُبَيِّنُ فيه من سلوك سُنَّةٍ فنُميِّز بصائبٍ نظرنا الخطا في ذلك من الصواب * فان وافقَ ذلك مرادَنا امتثلنا ما يقول * و اتبعنا في ذلك الكتاب و الرسول * و توجهنا في تلك الساعة * سالكين السنَّةَ مع الجماعة * و ان جاءنا في كلامه بخطاب اجْلَح * عدلنا الى الاعتزال و مال كلٌّ منا في مصلحةِ نفسه الى القول بوجوب رعاية الاصلح * و منهم شيعةٌ مالت الى رفض تلك الدارة * و المبادرة الى الخروج من اشبارة * و انتقلوا من تكرار هذه المجادلة الى القتال * و قطع رأس احد روُس الخراسانيين في مصافِّ النزال * و منهم طايفة اهمتهم انفسُهم فلم يلبثوا الا عشية او ضُحاها * ثم تحملوا و خرجوا من المدينة و تركوا الدار تَنْعي من بناها * فلم يسع الباقين الا اتباعهم في الخروج * لان مقامتهم من اول الزمان هناك كانت كبنيان القصور على الثُلوج * فتحملوا بقضِّهم و قضيضهم * و تجهزوا بصحيحهم و مريضهم * و تركوا البلد بما فيه من غلات * و مستغلاَّت و نِعَمٍ و خيرات * و اموال و اقمشه * و نفائسَ مُدْهِشه * و لم يبقَ فيه من تلك الامم المسجونه * سوى ما عجزوا عن حمله من اموال

مشحونه * و سوى امرأة واحدة مجنونه * و لحقوا بالله داد * و هو عند خدايداد * فلم يعنّف واحدا منهم بما فعل * و اعتذر اليوم بان خدايداد منعه ان يتوجّه الى سمرقند و يجهز لهم البدل * و امرهم بالاقامة معه مستوفزين * و ان يكونوا لفرصة التوجه الى سمرقند اذا لاحت منتهزين *

ذكر ماتم لالله داد مع خدايداد وكيف ختله وخلبه * واسترق عقله و سلبه *

ثم ان خدايداد تحقق بوقوع هذا الفساد * تأكد العداوة بين خليل سلطان و الله داد * فركن اليه بعض الرّكون * و جعل يستشيره فيما يصير من امره و ما يكون * وكان عند خدايداد * طائفة من مماليك الاجناد * تخلفوا من العساكر في تلك البلاد * و قد ضيّق عليهم المسالك * و اراد ان ينقلهم من مالك الى مالك * فلم ينعم له الله داد بذلك * و قال ان عادة الاكياس * استجلاب خواطر الناس * خصوصا فى مبادى الامور * و حدوث اوائل الشرور * فلا تُنفّر عنك الخلق * و عاملهم اولا بالاحسان و الملق * و اي فائدة في قتل هولاء و تمزيق اديمهم * سوى نفي الصداقة و تأكّد العداوة بيننا و بين مخاديمهم * و ربما يكون في خاطر احد من مخاديمهم نفرة من خليل سلطان * و يروم لذلك ظهرا و ملجأ يلوذ به من رفيق و مكان * فتلجئه الضرورة الى ان يقصد ممالك تركستان * فاذا آذيته في متعلقيه انّى يبقى له اليك ركون و اطمئنان * و اقل ما تفعل مع هولاء يا انسان * امساك بمعروف او تسريح باحسان * و مخاديم هولاء لنا رفقاء * و لخليل سلطان اصدقاء * فان زرعت معهم الجميل * ملكت كل رفيق و

جليل * و القيت العداوة بين من عاداك من صديق و خليل * فلما سمع كلامه * القي الى يده من ذلك الامر زمامه * فاشار عليه بسراحهم * و احسانٍ اليهم في غدوّهم و رواحهم * فزاد في نجاحهم * و راش محصوص جناحهم * و صرفهم بالعز في طريق مراحهم * فدارت بالسعد افلاكهم * و اجتمعت بهم آملاكهم و ملّاكهم *

ذكر ورود كتاب من خليل * فيه لفظ رقيق لحمل امر جليل *

ثم ان وافد خليل سلطان وفد على الله داد * يطلب منه السعي في لم الشعث فيما وقع بينه و بين خدايداد * و ان يستعطف خاطره الى الرضى * و يستقبل المودة في الحال و يعفو عما مضى * و مهما طلبه يتكفّل به * و يَعدُّ قُربَهُ من افضل قُربَه * و يكون هو السفير بينهما * و يقر بالصلح عينهما * فتوجّه الله داد الى خدايداد و ابلغه هذه الرسالة * و بين له ما في هذا القول من رقيقة و جزا له * و سبب العداوة التي كانت بين خليل سلطان و خدايداد * على ما ذكر ان خليل سلطان كان في اوائل الزمان مجاورا لخدايداد في تلك البلاد * و كان جدّه جعله ناظرا عليه * و فوض امور تربيته اليه * و كان كزاً جافيا * و جلفا جاسيا * فكان يعامله بالفظاظة * و يقابله بالكثافة و الغلاظة * و كان خليل سلطان لطيف الذات * ظريف الصفات * نسيم اخلاقه لا تحمل من خدايداد زعازعه * و برد مزاجه اللطيف لرقة حاشيته لا يثبت لمجاذبة المشاقة و المنازعه * فتولد من تلك القساوة * بينهما العداوة * و سعت بينهما الوشاة * الى ان دسّ له مهلكا فسقاه * فكأنه احسه * فتدارك نفسه * و تعاطى علاجه * وما يُصلح مزاجه *

فقضى الزمان ان نصل من تلك الداهيه * و ليتها كانت القاضيه *
و بقي فيه من ذلك ارج * و اورثه العرج * فصارت العداوة
الخاصة عامه * و غَدَت هذه الفعلة لهذا المعلول علة تامه *

فصل

ثم ان اللهداد حلف لخدايداد * الايمان الغلاظ الشداد * و اكد
هذه الايمان * بان استصحب معه القرآن * و اشار اليه * و
وضع يده عليه * و زاد تأكيدا بايمان الطلاق * و بالالتزامات و
النذور والعتاق * انه لا يقبض عن طاعته يدا * و لا يستحيل عليه
ابدا * و انه ان توجه الى سمرقند يَجهد في رأب ما انصدع * و ردّ ما
انفدع و رَتْق ما بين الجانبين انفتق * و رَقع ما في خواطرهما
من الشحناء * و العداوة الخرق * و ان يُجَهِّز له تومان احدى نساء
تيمور * و حاصل الامر انه تكفل بحسم موادّ الشرور و اصلاح الامور *
و ان عجز من رَفْع الشنان * و محو سطور العدوان * فانه لا يستحيل
عن مصادقة خدايداد في السرو الاعلان * و صار يتملق و يترقق *
و يتوصل بتمويهات زخارفه الى مجاري فكره و يتسلّق * و يشدد
ايمانا تَرجِف القلوب و تصدع * بالله الواحد و يثني بالطلاق الثلث
من زوجاته الاربع * و كان مخيمهم على ساحل سيحونَ مُمتدًّا *
و هو عن شاهرخية نحو من بريدين بُعدا * فعبرسهم ختله الى
سوايداء قلبه بمكر و دخَلْ * و غَرْبَلَهُ اذ طحن معه ناعما ما زرعه
بيمينه في ساحله ونَخَل * الى ان سمح باطلاقه * بعد تأكيد
عهده و ميثاقه * فرجع الله داد الى رِفاقه و اجتمع بحاشيته
و رفاقه * و كانوا في شاهرخيه * و اخبرهم بهذه القضيّه * و كان
قد هيأ قبل ذلك امره * و اخذ من كل جهة اسلحته و حِذرَه *

ثم انه شمّر الذيل * و قطع سيحون بالمراكب تحت جنح الليل *

ذكر لحوق اللهداد بخليل سلطان * وحلوله مكرما معززا فى الاوطان *

و حين حصل على هذا الجانب * و لم يبق له في ذلک الجانب حاضر و لا غائب * امر فى الحال * بحكم الاحمال و شد الاثقال * و اخذ الاهبه * قبل الذّهبه * فافرغ عليهم سوابغ السلاح * و اذن بصلوة الرحيل قبل الفلاح * و قدّم ضعفة اهله و الاثقال امامه * و نقض بهذا الاذان شروط الاقامه * و طيّر الى خليل سلطان مخبرا بهذه الاخبار * و ما جرى بينه و بين خدايداد و كان و صار * و يستمده باستقبال المدد * و ارسال العدد * لاحتمال ان خدايداد الابله يتفطن لغائلة هذه الفعله * فيخطّر بباله ردهم * و يرسل وراءهم من يصدّهم * ثم ساروا كالسهم الصائب * و طاروا كالنجم الثاقب * فما اصبح لهم الصباح * الا و قد ظهر لهم من السعد فلاح * و جازوا كل قاتم الاعماق خاوي المخترق * و قطعوا على انوال المسير مما اسدته مطاياهم من مزهر الرياض الوان الشفق * فوصلوا بالسير سراهم * فساروا نهارهم اجمع حتى غشيهم مساهم * و حين اخذ منهم اللغوب * و كلّ الراكب و المركوب * و سدلت عليهم عنقاء الظلام الجناح * عدل بهم الى بعض البطاح و حط عنه و استراح * و رسم ان توقد نار * و لا يطمع احد في طعم النوم بغرار * و لا يشام في جفن طرف سيف و لا سيف طرف * ثم التهموا ما يسدّ الرمق فصلوا صلوة الخوف فعبدوا الله على حرف * و امهلوا ريثما قطعت الدوابّ العليق * ثم امر فحملوا و ركبوا متن الطريق *

ذكر تنبه خدايداد بان الله داد * خلب عقله بانكال و انكاد *

ثم ان خدايداد تنبّهَ من رقدته * و ارعوى من ليلته * و علم ان
الله داد خلبه نهاره ذلك و سحره * و كسف شمس عقله و لعب
به في دست حلفه و قمره * فعض كما يعض الظالم على
يديه * وعبّى في الحال عسكرا جرارا و انفذه اليه * فاسرعوا
وراءه * و التمسوا لقاءه * فلم يروا له عينا و لا اثرا * و لا رووا عنه
من احد حديثا و لا خبرا * فلم يزالوا في طلبه حائرين دائرين * ثم
غلبوا هُنالك و انقلبوا صاغرين * و وصل الله داد الى
مقصده * فوجد وظيفة الوزارةِ شاغرةً فاستولى عليها بمفرده *
اذ قبْلَ دخوله كان شيخ نورالدين قد خرج * و شاه مَلك
وكل من رام العصيان كان قد دبَّ و درج * فابتهج بقدومه
خليل سلطان * وقدمه كما كان على سائرا لوزراء و الاركان * فتمكن
الله داد كيف شاء * و تصرَّفَ في معاني الملك ببديع بيانه
اخبارا و انشاء * و تعاطى في الحال تمهيد الامور * و تجهيز السرايا
و حفظ الثغور * فتراجع امر الناس و انضبط * و انتظم عقدُ الملك
بعد ما انفرط * واستقرّحال الناس * و تمكنت القواعدعلى الاساس *
وكان هو و برندق و ارغون شاه و آخرَّيدَءى كجول يُدبّرون مصالح
المملكه * و يسلكون بكل احد مسلكه * ولكن الله داد هو الدستور
الاعظم * و المشار اليه المفخّم * و عليه مدار القبض و البسط *
و نظام عقود الحلّ و الربط * و استمرَّ شيخ نور الدين و خدايداد *
يغيران على البلاد و يزيدان في الشرور و الفساد * و استوليا على
اطراف تركستان * و ممالك تلك البلدان * منها سيرام و تاشكند *

و اندكان و خجند * و شاهرخية و انزار و سغناق * و غير ذلك مما في تلك الاكناف و الافاق * فكانوا يقطعون سيحون * و يتوجهون الى ممالك ماوراء النهر يغيرون * فتارة يتوجه اليهم خليل سلطان* و تارة يجهز لهم طوائف من الجند و الاعوان * و على كل تقدير فانهما كانا لايثبتان و ينهزمان * و سيأتي ذكر ذلك كما كان *

ذكر ما وقع في توران * بعد موته من حوادث الزمان

و اما المغول * فانه لما اتصل بهم خبر ذلك المخذول * و كان بلغهم انه قد صوّب احجار كيده الى هشم تلك الثّغور * و فوّق نبالَ قصده الى خرق تلك البطون و النحور * و لم يَشكّوا في ان ذلك شَرَكُ مكيده * و اُحبُولَة مصيده * فلم يقرّ لهم قرار * و تنادوا الفرار الفرار * و تشتّتوا في البلاد * و تشبّثوا باذيال القلاع و روُس الاطواد * و لجأوا الى الحصون والجروف * و تماوتوا في قعر المغارات و الكهوف * و كذلك كلّ ذي يمين من اهل الدشت و الشمال * و توزّعوا في الاحقاف و الرمال * و صار اهل المشرق و الخطا الى حدود الصين و من في ذلك الوجه يسرحون * لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا لولّوا اليه وهم يجمحون * و الحقّ انه كان في هيبته و عُتوّه قد عرج * الى ان اهلك العالم شرقا و غربا بالارج * و صار كما قيل *

تكادُ قِسيّه من غير رام * تُمكّن في قلوبهم النِّبالا
تكاد سيوفُه من غير سَلّ * تجِدُّ الى رقابهم استلالا
تكاد سوابقٌ حملته تُغْني * عن الاقدار صونا و ابتذالا

فلما ترادف هذا الخبر * و تكرر سمرقند هذا السُّكر * و اشتهر إسناده حتى ترقّى من الاحاد الى التواتر * و تقرر هذا الحقّ عند كل احد

فلم يسع فيه جحودٌ و لا تناكُر * تراجع فؤادً كل الى جوفه * و تبدل امنا من بعد خوفه * و تنادوا يا لَلّثارات * و شرَعوا في شنّ الغارات * و قصد كلّ مستحق استرجاع حقه * و كل مُسترَق لمُستَرِقٍ استفكاك رقّه * فاولّ من نهض من الشرق المغول * و قصدوا اشبارة و آسي كول * و امتدوا في تلك البلاد حتى جاوزوا خداى داد * فهادنهم و صافاهم * و شرط لهم ردّ ما اخذه تيمور من مأواهم * و ان يكونوا يدا واحدة على من ناواهم * و احسن كلّ منهم مع الاخر الجوار * و اطمأنت بواسطة هذا الصلح تلك الديار *

ذكر نهوض ايدكو بالتتار * و قصده ماوراء النهر تلك الديار *

ثم نهض من جهة الشمال * ايدكو بعساكر كالرمال * و توجه بحزم و جزم * الى ممالك خوارزم * و كان نائبها يدعى موسيكا فلما احس بالتتار * و خاف على نفسه البوار * اخذ اهله و متعلقيه و سار * و ذلك بعد ان هجمت التتار الرومية المضافة الى ارغون شاه * و عبروا جيحون و هو جمدٌ و رجع ارغون شاه الى مأواه * فوصل ايدكو الى خوارزم و استولى عليها * و استطرد بخيله الى بخارى فنهب ما حَواليهاً * ثم رجع الى خَوارَزْمَ و قد اذكى * في الجغتاي اللهيب آنكى * و ولّى من جهته في خوارزم و ولاياتها شخصا يدعى انكا * فتمهّدت ايضا تلك الاماكن * و اطمأنت الظواعن و السواكن * بواسطة ان خليل سلطان * قابل كل من اساء اليه بالاحسان * و صار يسترضى كل ساخط * و يستدني بمكارمه كل شاحط * و يصطاد النفوس بالنفائس * و يفترس الاسود بالفرائس * فاحبه الاجانب و الاباعد * و رغبَ فيه كلّ صادر و وارد * غير ان شيخ نورالدين

و خدايداد * تماديا في الفساد و لجا في العناد * فخَرِبَ ما تُجوذِبَ بين الطرفين من البلاد *

ذكر بير محمد حفيد تيمور و وصيه * و ما جرى بينه و بين خليله و وليه *

ثم ان بير محمد ابن عم خليل سلطان * و هو الذي عهد اليه تيمور كوركان بعد فوت اخيه محمد سلطان * خرج من قندهار * و قصد سمرقند بعسكر جرّار * و ارسل الى خليل سلطان * و سائر الاكابر من الوزراء و الاعيان * بانه هو وليُّ عهده * و خليفةُ جده تيمور من بعده * فالسرير حقُّه فانَّى يغصِبُه * و الملك ملكه فكيف يسلُبه * فكلٌّ منهم جاوبه * بما يليق و خاطبه * و اما خليل سلطان فتصدى للمعارضه * و قابل كل مسئلة من الخطاب يناقيها من المعاكسة و المناقضه * وقال لاتخلو مسألتنا يا فلان * من انَّ الملك في هذا الزمان * اما ان يكون بالانتساب * او يظفر به بطريق الاكتساب * فان كانت الأوّلى * فثَمَّ من هو احقّ به مني و منك و أوْلى * و ذلك ابي اميرانشاه * و عمّي شاه رخ اعني اخاه * فيكون بينهما بالسوية نصفين * فما لك كلام مع وجود هذين * و انا اولى ان اكون صاحِبَه * فارعى جوانبه و اسلُكُ مذاهِبَه * اما بان يقطع كلٌّ منهما المشاغبَةَ * و يترُكَ لي ما له فيه من ولاية المطالبه * و يقنع بما هو فيه من مملكته و يحفظ جانبه * و إمّا بان يجعلني خليفتَهُ في سلطانه فاصونَ نصيبَهُ و اكونَ نائبَه * و ان كانت الثانيةُ فكلامُك لايستقيم * لانَّ الملكَ كما زعموا عقيم * و من قبلي و قبلكَ قيل * في الافاويل * شعر

صونوا جيادَكم و اجْلُوا سلاحَكم * و شمِّروا انها أيّامُ من غَلَبا

و ان زعمتَ اَنّ جدّک عهدَ اليک * او عوّل في وصيته اک عليک *
فهو من اين استولى الا بطريق التغلّب * و انّى حصل له مِلکٌ
ومُلکٌ الا بالاغتصاب و التغلّب * و على تقدير التسليم * و ان امر
وصيته مستقيم * فانّه کان في حيوته قسّمَ بلاده * و وزّع عليها اولاده
و احفاده * فولّى والدی ممالک آذربيجان * و قرر عمي في
ولايات خراسان * و ابن عمی بيرعمر في عراق العجم و تلک الديار *
و ولّاک انت من جملة ذلک قندهار * و جعلک وصيّه کما رسم
و اشار * و تحمّل هو المظالم و انتقل * فاين نصيبي انا من هذا
التقل * فاجعلوا حصتي من ذلک ما استوليتُ عليه * و ليقنع
کل منکم بما تقرر فيه و فُوِّضَ اليه * و مع هذا ان تابعک ابی
و عمي تابَعْتُکَ * او صادقاک على الوصية و بايعاک بايعتُک *
و ان سلکنا في ذلک طريق الحق * فالملک صيد و الاولى به من
حاز فيه قصبَ السّبْق * و ان الله ازاح عِلّله اذ شبتني باسبابه *
و اباحه لي مباحا و من سبقت يده الى مباح فهو اولى به *
هذا و ان کلا من مدرّسي فقه الملک تابعني * و من له في عقود
السلطنة شرکة ترک المضاربةَ و طاوعني * و عدّ عقد توليتي
مرابحةً و لما وقف على سيری القوی الي السلم و بايعني * و اما
الوزراء و الاعيان فاجابوه بما لا طائل فيه * سوى ما تمجّه اُذُنُ
مستمعيه * غير انّ الخواجا عبدالاول و هو صدر صدور العلماء *
والمتصرف في رؤساء ماوراء النهر من السادات و الکبراء * المُنفذ
سِهامَ احکامه في جميع الامراء و الزّعماء * اجاب فاجاد * و اصاب
و افاد * و اختصر و اقتصر * و هصر من بير محمد و لخليل سلطان
انتصر * فقال في جوابه * مجاريه في خطابه * نَعَم انت وليٌّ

العهد * و خليفة الامير تيمور من بعد * و لكن ما صادف طالعك سعد * و لو ساعدك البخت * كنت قريبا من التخت * و الاولى بحالك * ان تقنع بما لَكَ و مالِك * و تبقى على خيلك و رجالك * و تضبط ما في يدك من ممالك * و ان ابيت الا طلبَ النَّما * و لم تقنع بما قسَّمَ اللهُ لك و قضى * و خرجتَ من مملكتك الى هذا الفضاء * فانك تقعُ في العَناء * و تخرج ولايتك من يدك فتصير مذبذبا لا الى هٰؤلاء و لا الى هٰؤلاء *

ذكر تجهيز خليل سلطان سلطان حسين لمناصرته * وخروجه من خليل سلطان و قبضه على امرائه ومخالفته *

ثم ان خليل سلطان لم يقنع بدقائق هذه الاقوال * و اردفها بحقائق الافعال * و امر بتجهيز جند مجنَّد * الى استقبال بير محمد * و اضافهم الى ابن عمة والده السلطان حسين * و عيَّن فيهم من امراء الجغتاى كل رأس و عين * وضم اليه الظهور و الاعضاد * و منهم كجول و ارغون شاه و الله داد * فساروا سابغي العُدَّة * كاملي العِدَّة * و ذلك في سنة سبع منتصف ذي القعدة * فعبروا جيحون الى بَلْخ وخيَّموا في ضواحيها * و انبثُّوا في اقطارها و نواحيها * و بيناهم مرفهوا الحال * فارغوا البال * قريروا العين * تمارضَ السلطانُ حسين * ثم انه دعا الامراء * ليقرر معهم فيما هو بصدده الاراء * و قد كمن لهم كمينا * و ارصد لهم الرجال شمالا و يمينا * و حين ولجوا خيَّسه * و دخلوا كيسه * وثب عليهم وثوب الليث على الفريسه * و اغرى بهم اسوده فوقعوا فيهم و قوع الجياع على الهريسه * ثم نادى من معه من الرفاق * ضَرْبَ

الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدّوا الوثاق * و كان كما ذُكر ذا طَيش و شجاعه * و تهور و رقاعه * و صولة و جوله * يسبق فعلهُ قولَه * فاهريقَ في تلك الساعه * دمُ واحد من تلك الجماعه * يُدْعى خُواجا يوسُف و كان في حيوة تيمور * نائب الغيْبةِ بسمرقندَ و هو اميرٌ مشهور * ففى الحال قُتِل * و الى الدار الاخرة نُقل * ثم استقلَّ لنفسه بدعوى السلطنه * و دعا الخلائق من هٰهنا و من هُنَه * فدهشَتْ اولئك الرؤُس * و علموا انه قد حلَّ بهم النِقَمُ و البوس *

ذكر خداع الله داد سلطان حسين * وتلا فيه تلاوه بالمكر و المين *

غير ان الله داد ثبّتَ جاشه المزوُد * و استحضر تلك لساعةَ عقلَهُ المفقود * فابتدر سلطان حسين مُناديا * و استثبته في امرهم مناجيا * و قال له بعبارة فصيحه * ان لي اليك نصيحه * ثم استخلاه و قال * انا كنتُ مترقبا منك هذه الفعال * و مترصّداً منك اظهار ما انت بصدده * و من اين لخليل سلطان ان يحتويَ على الملك بمُفردِه * غير ان هيبة مولانا السلطان باسطةٌ * و لم يكن بينه و بين الملوك واسطةٌ مباسَطه * و لو كان عندي من ذلك ادنى شعور * لرتبتُ المصالحَ على ما تقتضيه الاوامرُ الكريمةُ و الامور * ثم ان الخاطر الكريم * يشهد بصدق هذا الحديث و انا عبدك من قديم * و سَلْ من كان من المماليك و الاجناد * الذين كانوا محصورين في اَسْرِ خدايداد * مَن خلّصهم من حبائل اَسْرِهِ * و انقذهم من ضرام ضرّه * و اطفا عنهم ما التهب من شرار شره * اذ لو لا انا لكان اَبادهم و ايتم اولادهم * و فجّع بهم طريفهم

و تلادهم * فانك ان تسلهم يخبروك * و على حقيقة الامر و حلية الحال يظهروك * و ربما اخبروك بذلك لما اتوك * و مع هذا استقبح قلبك و ان افتوك و افتوك * ولا زال يطفي بماء خزعبلاته شواظ تفرعنه و لهيبه * و يذكي في خياشيم رعونته عنبر احتياله متمسكا بمسكه و طيبة * و يرمي عن قوس ختله الى سويداء اختيالاته نبال مكر انفذت فيه نصال القضاء و القدر لانها كانت مصيبة * فاشرب مكره * و تبع امره * و جعله ظهره * و استقدح في اموره فكره * ثم انه بعد ان امتن عليه باستبقائه * استشارة في قتل رفقائه * فقال له لا شك ان خليل سلطان * ملك الناس بالانعام و الاحسان * و هو و ان كان في الشجاعة * قاصر اليد قليل البضاعة * لكن استعبد ابطال الرجال * بحسن الخلق و بذل الاموال * غير ان المال * بمعرض الفناء و الزوال * و انت بحمد الله مآثرك مشهورة * و منازل منازلاتك الابطال معمورة * و رايات كسرك قرون الاقران على جبين الكباش منشورة * و رؤس مناطحاتك ثيران الوغى على قرون الزمان ابداً منصورة *

قلت

فكم لززت شجاعا في البراز فمذ * رأى محياك ولى ضارطا وجرى
مذكنت راسا وعيذا في الحروب ارى * في رأسك الفتح بل في عيذك الظفرا

و انا اعلم ان عامة الجند سيبتهج بطلعتك * و يرقص فؤاده لحصول سكونه فرحا بحركتك * فانه لابد لهم من راس يسوسهم * و ضابط همام يصان بتدبيره نفائسهم و نفوسهم * و قرم كالليث الخادر * و السيل الهامر بل كالبحر الغامر * منصور ان دعا و ان دعي فناصر * موصوف بما قال الشاعر *

اضاف الى التدبير فضلَ شجاعةٍ * و لا رأيَ الاَّ للشجاع المُدَبِّرِ

و بما قال شعر

و لا يكشفُ الغمَّاءَ الا ابنُ حُرَّةٍ * يري غَمَرَاتِ الموتِ ثم يزورُها

و هل ثَمَّ في هذا العصر موصوف بهذه الصفات الا انت * و ما النجدة و الكرم و الحسبُ الا راحلٌ حيثمَا رحلتَ و ساكنٌ اينما سكنتَ * و لو حَدَّثَ شاه ملك و شيخ نور الدين * أنَّ وراء هما منك الحصنُ الحَصين * لاسندا اليك رواية السَّند السديد * و لاويا من جنابك العالي الى ركن شديد * و حاصل الامر انك مولى الكل و جميعُهم لك عبيد * و اذا كان الامر كذلك فقد ملكتَهم * فسواءٌ عندك ابقيتَ عليهم او ابدتَهم * و لكن الابقاء اولى * و لا زالتِ العبيدُ تترقَّبُ مراحمَ المولى * فان اقتضى الرأيُ السعيد ان نكون كلنَّا موثقين في الحديد * مع زيادة قيد ايمان اكيد * فرأيه اعلى * و اِتبّاع ما يقتضيه احرى و اولى * فانفذ رأيه * و اتخذه عَلَمًا لاموره و رايه * فاستتبعه لحينه و قال اسلك و رائه *

ذكر اخذ سلطان حسين على الامراء الميثاق * و مشيه على خليل سلطان وهم معه في الايثاق *

ثم انه احضر الامراء * وهم في قبضة سطوته اسراء * و قد ناوح كل من متعلقيهم مهبَّ ناحيَه ؞ و توجه الى دار كل المخبرون فقامت عليهم النائحةُ والناعيه * و اوثقهم بقيدي الحديد و الايمان * فان يكونوا معه في السراء و الضراء على خليل سلطان * فمدَّ كلٌّ منهم الى القيد رجلَه و الى اليمين يدَه * و عاهده على ما يختارُ و ان يقدم له نفسه و اهله و ماله و ولده * فحين استوثق منهم * ازاح بالاماني السوء عنهم * و تركهم موثقين في البند * و نكص قاصدا سمرقند * و ارسل الى

خليل سلطان يخبره بما دبّ من امره و درج * فليستعد لمبارزته فها هو قد عبر جيحون و خرج * و انّه هو ايضا طالبٌ من ملك خاله حصّته * و منازعٌ خليل سلطان فی السرير منَصّته *

ذكر تبريز خليل سلطان من سمرقند * لملاقاة سلطان حسين بطوائف جنده * و رجوع سلطان حسين بما يرومه بخفی حنين *

فاستعد له خليل سلطان * و خرج من سمرقند لاستقباله في اسرع زمان * ثم ان السلطان حسين أحضر الله داد * و من معه من الشياطين المقرّنين فی الاصفاد * و استانف عليهم العهود * و اكد عليهم قيود العقود * و احل كلّا منهم محله * و اجاز عقده و حلّه * و خلع عليه و اجازه * و احترم حرمَ حقيقته ومجازه * و بشّر بانعامه الی متعلقيهم و هش * و سار بهم حتی وصل الی مدينة الكش * و الله داد كان قبلَ ذلک بزمان * ارسل الی خليل سلطان * يخبره بوقوع هذا الهمّ * و ما جری عليهم من شرور و مأثم * ثمّ قال له ان فالک سعيد * و امرک حميد * فانهض برئی رشيد * و عزم سديد * و جناحی حديد * فان ضدّک مصيد * و الله تعالی ناصرک قريبا غيرَ بعيد * فلاتخف من كيد مكيد * و ان كنت طفلا فانک فتیً شبّبت اهواء القلوب نسماتُ محبّته فصرت شيخَ السلطنة و كل الانام لک مريد * فوصل خليل سلطان * الی ذاک المكان * فعبّی السلطان حسين جيشَه * و استعمل تهوّره و طيشَه * و جعل الله داد علی الميمنة * و رفيقه علی الميسرة * و لما ترائی الجمعان * و تدانی الزحفان * و حقت الحقائق * و سُدّتِ المضائق * و تعادت الاسودَ و الغرانق * و بادر كلّ منهم من مكانه * و قصد كلّ من الله داد و اقرانه عساكر

خليل سلطانه * فتخبطت عساكر السلطان حسين * و سلب ثوب عزه فنبذ بالعراء ملتحفا * من ظنونه ثوبيّ خيبةٍ و حَيْن * و دهمه من البلاء ما انساه سلبه فرجع بخُفَّيْ حُنَيْن * و مرَّ على وجهه قاطع الفلاة * حتى وصل الى ابن خاله شاه رخ صاحب هَراة * فلم تَطُل له عنده مدة * فاما سقاه مُهلكا و اما مات حتف انفه عنده * فكان ذلك آخر العهد بسلطان حسين * و رجع خليل سلطان الى دار ملكه قرير العين *

بقية ما جرى لبير محمد مما قصده من فرح وهم * وكيف آل ذلك الى وبال وحزن فنقض ما تم *

ثم ان بير محمد تمادى في خروجه * و استمر يرتع في روض الطلب و مروجه * و تكررت بينهما دروس المراسلة * و تحررت مسائلهما بعد مطاولة المقاولة * ان ينزلوا منازل المُنازلة * و يحُلُّوا بروج المقابلة و المقاتلة * و كان متولي امور ديوانه * و مشيِّدُ قواعدِ ملكهِ و سلطانه * شخصا يدعى بير على تاز * حامي حقيقة باب الملك و حارسُ الحجار * سُرَّةُ بطحاء مملكته * و قطبُ سماء دائرته * و قدوة علماء عوالمه * و قوة خوافي عسكره و قوادمه * فجرد من عساكر قندهار * كل طود لو صال على قندهارَ هار * و توجه بعزم امضى من البتار * و حزم انفذ من الخطّار * قائدا ذلك الخِضَمَّ الهدّار * و السيلَ الثرثار * و الغمام المدرار * حتى وصل الى جيحونَ فوقف منه التيار * ثم امر ذلك البحر العجّاج * ان يركب من جيحونَ الا ثباج * و يصادمَ منه تلاطمَ الامواج * فمرج الله البحرين هذا عَذب فرات سائغ شرابه و هذا ملح اجاج * فعبروا

منه بسفنهم البحر * و جاوزوه مجاوزة بني اسرائيل البحر * و سار بذلک الاخشب * حتى ارسى على ضواحي نخشب *

ذكر مقابلة العساكر الخليليه * جنود قندهار بصدق نيه * و القائهم بهزيمتهم اياهم في اشربليه

و كان قبل ذلک خليل سلطان * قد نجز امره كما كان * و نفث اعطار مندل الايثار * و قوى العزائم على الملوک بالاستحضار * ليجنوا من اشجار الجرايات و ثمار الادرار * ما يستعدون به لملاقاة شياطين قندهار * فلبى دعوته العامّ و الخاص * و كل بناء من عفاريت الجنود و غوّاص * و اجتمع من اعيان اولئک الاعوان * كلّ مطيع مقتطف ثمر احسان ذلک البستان من انس وجان * و جاء ذلک البحر افواج امواج العساكر من كل مكان * و هم ما بين رؤس الجغتاى و الجتا * و كل فرعونٍ من بلاد تركستان قد علا و عتا * و فوارس فارس و العراق و رستمدار * و جان قربانية خراسان و الهنود و التتار * و من كان تيمور * اعده لمضائق الامور * و لم يفارقه في سفر و لا حضر * و ارصده لكل نائبة من خير و شر * شعر *

فوارسَ لا يملّونَ المنـــايا * اذا دارت رحى الحرب الزبون

فاستأنف عليهم فواتح الفتوح * و استنجب منهم لما دهاه كل صديق نصوح * و اسبغ عليهم من دروع عطاياه السابغات * و ضاعف على قامة املهم من خلع انعامه المضاعفات * ففتحت عليهم الارض خزائنها * و صبت عليهم من معادنها و فلزاتها ظاهرها و كامنها * نصار كل راجل منهم و فارس * و قد تجلى فيما تحلى به من ذلک النفائس * يزري بحسن هيئته على مخدرات العرائس * فساروا و نسماتُ النصر من انفسهم فائحه * و لمعاتُ الفتح من

بوارق بيارقهم لائحه * و السبع المثاني لابواب النجح و الفتوح في وجوههم فاتحه * و لا زال ذلك الراسُ يرسي و يمشي * حتى حطّ على ضواحي قرشي * و هي المدينة المذكوره * فاستقرت تلك العساكر المنصوره * و ذلك يوم الاحد مستهلّ شهر رمضان * سنة ثمانمائة و ثمان * فبات كل من ذينك البحرين و قد ضمّ ذيلَه * و كفّ عن التبذّر و التبدّد سيله * و حفظ من الاغيار رَجْلَه و خيلَه * و احيى في معتكف المراقبة الى الصباح ليله * قلت

الى انَ بدا لمعُ الضيا في ظلامه * يلوح كموجِ الماء من سجف طحلب

و لما سلَّ الفجر صارِمَه الفضّيّ و ابرز ابريز ترسه * و مسح على لوح الجو ما طرسه مسودّ الليل من دخان نفسه * تهيّأ كلّ من اولئك الاطواد للاصطدام * و اشتعلت في قلوب تلك القبائل نار الحميّة للاصطلاء و الاصطلام * فعبّى كلّ عسكره ما بين ميمنة و ميسرة * و مقدمة و موخره * ثم تدانوا و تكانوا * و تعاونوا و تعادوا * و تراجزوا و تخانوا * و تعانقوا و تهانوا * و تناجزوا و تفانوا * و التقت الرجال بالرجال و الخيل بالخيل * و ارتفع ظلام القتام الى روس الاسنّة فرأوا في صلواة الظهر نجوم الليل * و جرى في ذلك القسطل من كل قناة عيونُ السيل * ثم عند منتصف النهار * انكشف الغبار عن انّ طود قندهار هار * و سعد اولئك الكبار بار * و عليهم غبار العثار ثار * و خبرهم بالانكسار سار * و صيت خليل سلطان الى الاقطار طار * و الى الافاق بالانتصار صار * فولى بير محمد و على رأسه بحر الدمار مار * و في قلبه زناد البوار وار * حتى كان في قلبه جمر العضا و الغار غار * او في كبده نار لهب المرخ و العفار فار * و جندلت رجاله * و ابطلت ابطاله * و نهبت اثقاله * و تحولت احواله * و سبي

حريمهُ و عبيدَه * و سُلِبَ طريفُه و تليده * و تشبثَ هو باذيال الهزيمه * و علم ان إيابه سالما نصف الغنيمه * كما قيل

إيابكَ سالما نصف الغنيمه * و كلُّ الغُنْم في النفس السليمه

و رجع خليل سلطان * و قد استقار به الكون و المكان * و اسفرت دولته * واستطارت صولته * و شكر الله المليك * و اتم صيام رمضان في مكان يسمى جكدليك *

ذكر خروج عسكر العراق على خليل سلطان * ومجاهدتهم بالخروج وقصدهم الاوطان *

ثم في ليلة الاثنين غرة شوال * خرج من العراقيين الروُس و الابطال* و معهم حريمهم و اتباعهم * و اولادهم و اشياعهم * و كبيرهم شخص يدعى حاجي باشا * و هم جارون تحت امره كيف ما شا * و كانوا ذوي صولة و جوله * و صحبتهم السلطان علاء الدوله * ابن السلطان احمد البغدادي لصلبه * و كان قد وقع في اسر تيمور فسجنه في سجن محنته و كربه * فافرج عنه خليل سلطان * و جعله عنده ذا مكانة و مكان * فبينا الناس مشغولون بامور العيد * رفع ايديهم اولئك الصناديد * و كانه كان تقدم لهم بذالك مواعيد* فخرجوا تحت جنح الليل * و شمروا نحو عرايس العراق الذيل * و طلّقوا مخدّرات ما وراء النهر و مالوا عنها كلّ الميل * لانهم كانوا استمعوا ان دار العراق انزلت بانيها * و مياه انهر سلطنتها عادت الى مجاريها * فلم يقف احدٌ إمامهم و لا مشى خلفهم * و لا قدر على ان يربطَ عن السير رجلَهم و كفَّهم * فقطعوا جيحون و وصلوا الى خراسان * فتصدى لهم كلٌّ من سَمِعَ بهم من كلِّ مكان * فانفرط نظامهمُ لعدم إتفاقهم * فتقطعوا في البلاد قبل وصولهم الى عراقهم *

و اين ايران من توران * و دجلة من جيحان* فعيّد خليل سلطان
في ذالك المكان * ثم الوى راجعا الى الاوطان *

ذكر ما فعله بير محمد بعد انكساره * وما صنعه بعد وصوله الى قندهار

و لما وصل بير محمد الى قندهار * و استقرت به الدار * تلململت
اموره * و حامت حولّ قصوره صقوره * و دارت من سيارات عسكره
بُدُوره بدوره * و تسعّرت سمومه و حروره * و تطاير شراره و شروره *
فتارّق و تمرّق * و تحرّق اسفًا قلبه و تخرّق * و تمزّق غيظا اديمه و
تفرّق * و كان ذا حماقه * و قلّة لباقه * فطيّر اجنحة مراسيمه * الى
سُكّان اقاليمه * و استنهض على خليل سلطان كل حبيب صحيح
الود و كليمه * و استطبّ لجريح قلبه كلّ قريح الطعن و الضرب و
كل لديغ القلب و سليمه * فلبوا دعوته بالاطاعه * و اجابوا نداءه
بالسمع و الطاعة * ثم سالت الاوديه و الجبال * بالخيول و الرجال *
و ارسل الى خليل يقول * ضمن كتاب مع رسول * ان اول مصافنا
كان فلتة فتمّت * و شرارة تسوهل في اطفائها فالتهبت و طمت *
و لو اني استقبلتُ من امري ما استدبرت * و تحذّرت ما استحقرت*
و استكبرتُ ما استصغرت * لانتصرتُ و ما انكسرت * و لعثرتُ على
مرادي و ما عثرت * و لكن اضعتُ الحزامه * فحرمت السلامه *
و تفاولتَ امرك برؤس الانامل فا كلتُ يدي ندامه * مع انّ
صلابة جُندك * و قوّة ظهرك و عضدك * و نبال نبالتك و ساعد
سعدك * و غضب غضبك و رمح رشدك * و حدّ صارمك و صرامة
حدك * انما كان رؤس العراق * وما حصل لك منهم من الاتفاق *

و اما الان فقد وقع منهم نفاق * و اتفق لک منهم عدم اتفاق * و ظهر تباعد و شقاق * ففت لذلک کبدک * واختل فکرک وجندک * و ها انا قد جئتک بجد جدید * و بالحد و الحدید * فاستعد للقاء * و تیقن عدم البقاء * فان الحرب کما علمت سجال * و کما ادیل لک علینا بالامس فان غدا لنا علیک یدال *

ذکر توجه بیر محمد لمقابلة خلیل سلطان ثانی کرة * و ما حصل علم فی ذلک من کرة و فرة * و تولیته الدبر کما بدا اول مرة

ثم توجه بتلک الجنود و الاعوان * و قطع جیحون و وصل الی مکان یسمی حصار شادمان * فتوجه الیه خلیل سلطان * و معه من عساکر الرجال والفرسان * و جراد الجیش و قمله و ضفادعه ماالجری من الدم الطوفان * فمرّ بتلک الاطواد و البحار * وسری و هو مابین راس و سار * حتی وافی جنود قندهار * و کان کما ذکر من قبل * قد قدح فی حراق احشاء العساکر القندهاریة من خوف نار الخلیل زناد النبل * فکادوا ملسوعین و الملسوع یخاف من جر الحبل * فقبل ان یزعق النفیر و یضرب الطبل * نفر من کل فرقة منهم طائفه * و تنادوا ازفت الازفه * لیس لها من دون الله کاشفه * فالبس بیر محمد خلعة الخلع * و لم یکن له بها طوق فاقلع الی القلعة القلع * و اوصل الابواب و احکم الاسوار * و استعد فی حصار شادمان للحصار * فاحاطه به من العساکر * کل جارح و کاسر * و دار علیه من بنی یافث کل سام و حام * و جد فی المحاصرة منهم کل طاعن و ضارب و رام * فتندم بیر محمد * علی ما قصد فی ذلک و تعمد * و تذکر ما قال له اول * الخواجا عبد الاول * لکنه اعتذر *

بالقضاء و القدر * فرماه القضاء بسهم جواب * اجاد فيه و اصاب *
و قال

و عاجز الرأي مِضْياعٌ لفرصته * حتى اذا فات امر عاتَبَ القدرا

فانعكس منه كل رأْي و قال * و تغير عليه كل امر و حال * و ذهب عنه منعطفا ما بيده من ملك و مال * و نفر عنه كل اسد اصلى للحرب نارا حامية لما سطا على حام و صال * و رجع عنه لسوء تدبيره كل ذي قرابة حين لمع له بالاماني الكاذبة كل سراب و آل * و تمزقت شُقَق تدبيره - على منوال تفكيره - سديً و لُحمة فلم يبق له من دون الله من وال *

ذكر ما صنعه بير محمد من حيله * عادت عليه بافكاره الوبيله * لان جدواها كانت قليله *

و لما عَدِم حوله * اخذ في اعمال الحيله * فاستدعى عِدّة مضبوطه * من الجُلود المخطوطه * الجيدة الدِّباغ * المصبوغة بالوان الاصباغ * ثم فصّلها لَبُوسا * لكل بوسا * و سمّر عليها المرايا المصقوله * و بعض صِفاح معموله * و موّهها و احكمها بالمسامير * و احضر من سُوقة بلده روس الجماهير * و استكثر من الرّعاع والهَمَج و الجموع * ثم احضر تلك الدلاص و الدّروع * و وزع على تلك الرؤس و الظهور هاتيك النطوع * فصار كلما صارت الشمس بازغه * اصعد الى الاسوار و خارج البلد تلك الاسود و عليهم تلك الدروع السابغه * فاذا رآهم الناظر من بعيد * توهم رجالا و لم يعلم انهم بُنْدُق العيد * و اذا ترا آي ذلك الهبا * والخيتعور الذي ملأ الفضا * كان كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء * و استمر على ذلك مُدّه * يقاسي معاناة و يعاني شِدّه * و كان الذي تعاطى هذا المكر الجلي * دستور مملكته اعني بير علي *

و مع ذلك كله لم تنفعه هذه الحيله * و عادت عليه افكاره الوخيمة
و وساوسه الوبيله * و انكشف سرّه * و انهتك ستره * فضاق ذرعا
و تصرمنه باع المجال * ومُدّ بنقص عُدده و عَدده و زاده الدهر الذكال *

ذكر اعتراف بير محمد انه ظلم * وطلبه الصلح والقائه السلم

فبسط بساط التضرّع * و طلب وسائط التشفّع * و علم انه لا عاصم
من امر الله الا من رَحِم * فناشد خليل سلطان الله و الرحم * وقال
معني ما قلت

يعطي الكريم و لا يَمَلّ من العطا * و العفو شيمته اذا وقع الخطا

فاجاب خليل سلطان مقاصده * و تأكدت من الطرفين معاقدة
المعاهده * بان لا يقصد احد منهم بلاد صاحبه * و اذا كان الله
تعالى رفعه لا يضع من جانبه * و يسلم اليه ما في يده * و يبقى على
الوّد الصداقة في يومه و غَدِه * ثم تحالفا * ان لا يتخالفا * و تواثقا ان
يتوافقا * و تصادقا ان يتصادقا * و تفارقا على ان يترافقا * و توافقا
ان لا يتنافقا * و راقبا الال و الذِمّة * و راعَيا القرابة و الحرمة *
و انشمر كل عن صاحبه بما معه من فئه * و ذلك في سنة تسع
و ثمانمائه *

ذكر مخالفة و نكد * وقعت بين بير علي و بير محمد * ازاحت ثوب الحيوة عنهما * و اراحت مخالفيهما منهما *

و لما وصل بير محمد الى وطنه * و استقر بين خدمه و سكنه *
خرج عليه بير علي تاز * و استقل بدعوى الملك و امتاز * ثم
قبض عليه و كبّله * ثم انه خذله و جدّله * و شرع يقول * و هو

يصول و يجول * امورُ الدنيا اضطربت * و أشراطُ الساعة اقتربتْ *
و هذه دولة الدجّالين * و اوان تغلّب الكذابين و المحتالين *
مضى تيمورُ و هو الدجال الاعرج و هذا زمان الدجال الاقرع *
و سياتي بعد هذا الدجالُ الاعورُ و ان كان احد يجزع من قرع
باب السلطنة فانا اقرع * فلم يُجب احدٌ من الروس و الاذناب
سؤاله * ولا انغم بما اقرعينه و انعم باله * اذ لم يوجَدْ في تناول هذا
الامر المحظور من يليع * و لم يكن لذلك الوعد في سهام الملك
غير المنيح و السفيح * فدعا ارباب ممالكها تضرعا وخيفه * فكشر كلٌ
في وجهه انيابَه و جاذبه هذه الجيفه * فلم يبق له قرار و لاثبات *
فسلَّ يده و مدَّ رجله صَوْبَ صاحب هراة * فبمجرد وقوعه عنده
في شرك الاقتناص * قبض عليه و اجرى عليه احكام القصاص * و
صفَتْ له الممالكُ قندهار * من غير مُضارب و لا مُضار * و استراح
خليل سلطان ايضا من الانكاد و المضار *

ذكر ما وقع من حوادث الزمان * في غيبة خليل سلطان *

و في هذه السنة بادرت بالهجوم * تتار الروم * و وصلوا بالعزم * و
قطعوا جيحون بالرجل و هو جَمَدٌ من خُوارزم * و قصدوا بلادهم *
فتصدى لهم من كل جانب مَن شتّتهم و ابادهم * و حصل امم
من عدم الاتفاق * ما حصل لعساكر العراق * و ايضا في غيبة
السلطان خليل * و اشتغاله بهذا السفر الطويل * اغتنم الفرصة
خدايداد و شيخ نور الدين * فتوجهوا الى سمرقند مُطْمَئِنّين *
و اخذّوا عليها * و نهبوا ما حواليها * فتحصنت منهم * و ترفعت
عنهم * فنهبوا خارجها و رجعوا * و نحو بلادهم انقلعوا *

ذكر تجريد خليل سلطان الاجناد * وتوجهه الى شيخ نورالدين وخدايداد

و لما رجع خليل الى سمرقنده * اراح طوائف عسكره و جنده * ثم دعا اصحابه * و وجّه نحوهما ركابه * و هيّأ انصاره و اطلابه * و سار بتلك القبائل المضطرمه * و الاسود الخوادر و الفحول المُغتَلِمه * و استمر ذلك الطود الركون * بين حركة و سكون * حتى وصل الى سيحون * وحين شرع ذلك الطور * و النار ذات النور * على نهر سيحون في العبور * رأيت البحر المسجور * فاذعن له شاه رخيه و خجند * وتحصّنت منه تاشكند * فتوجه لحصارها * وعزم على هدم احجارها * فبعد ان حاصرها مده * و اذاقها لباس الجوع و الشده * الجأت الى طلب الامان * وسلمت اليه قياد الاذعان * فاجاب سؤالها * و رقّح بالصلح حالها * ثم قفا آثارهما * طالبا دمارهما *

ذكر ايقاد * شيخ نورالدين وخدايداد * نارا للخليل ليحرقاه * فاطفأها الله تعالى و وقاه

و كان خدايداد و شيخ نورالدين يحومان حول الحمى * و يترقبان من فرص النهب و السلب معاني عسى و لعلّما * فتوجه وراءهما * ورام لقاءهما * فجعلا يرحلان بمرأى منه و مسمع * و ينزلان بمأمَلٍ فيه و مطمَع * و جعل يقتفيهما في كل منزل * فاذا رحلا يتبع قفاهما و ينزل * و كان خليل سلطان معتمدا على عسكره * مستيقنا بحلول نصره و ظفره * فكأنه في بعض الليالي غفل عن التحرس * و كان لهما في جيشه من دأبه التجسّس و التحسّس * فخيبه الظن و خانه * و حطّ

علي مكان يسمي شرابخانه * و كان قد تقدم علي النقل * فطار جاسوسهما اليهما بما فعل * فاقبلا كالسيل * و بيّتاه بالليل * فخرج من عسكره جماعة * و كانما قامت القيامةً في تلك الساعة * ثم تركاه و ردًّا * وفروا عنه و ندًّا * و تشتّتا في المهامه و الموامي * و من اين للسلطان اقتناص الحرامي * فكف عنهما عنان الطلب * و قصد بالسلامة دياره و انقلب *

ذكر مفارقة شيخ نور الدين خدايداد * و تقاسمهما تلك البلاد

و لما كانت مودّةً خدايداد و شيخ نور الدين كالفخّار * و اساسُ ما بينهما من الصداقة كمن اسّس بنيانه علي شفا جُرُف هار * اختلفا * و ما ائتلفا * و تجاذبا شقة الشقاق * و نفق في تبايعهما بضائع النفاق * و لم يعلم احد من راق * و ظنّ انّه الفراق * فقهقر شيخ نورالدين نحو سغناق * و استولي علي تلك الاطراف و الافاق *

ذكر رجوع شيخ نورالدين الي الاعتذار * والتنصل عند خليله مما كان منه و صار *

ثم راسل شيخ نور الدين خليل سلطان * و اعتذر عما صدر منه من العصيان * و طلب منه ان يقابل اساءته بالاحسان * و يرجع اليه عوائد صدقاته كما كان * فاجابه الي سؤاله و اسبل علي سوءة جرمه ذيل النسيان * و ارسل اليه امرأةَ جدّه تُومان *

فصل

و لم يزل علي الوفاق * و شَقِّ شُقّةِ الشقاق * مُرْتَبِقا رِبْقَةَ الرفاق * حتي وقع خليل سلطان في الرباق * و صفا لشاه رخ سمرقند وراق *

و توجه اليه شاه ملک مُظهِرَ الصلح و مُضمِرَ النفاق * و استنزله بالمکرمن قلعة سغناق * بعد ان احکما العهد و الميثاق * و وقع بينهما الاتفاق * و ان يتلاقيا رکبانا و يتباثا الاشواق * بعد السلام و الاستسلام و العناق * و کان في جماعة شاه ملک شخص يدعى ارغوداق * ثم اقبل شاه ملک بجماعته * و نزل شيخ نور الدين من قلعته * و سار شاه ملک وحدَه * من غير عدَّه و عُدَّه * و تعانق هو و ذلک المغرور * و بثه ما نابه في غيبته من امور و شرور * فاکد عليه الميثاق و العهد * و وصّى کلّ منهما ما يفعله الاخر من بعد * ثم ودعه و انصرف * و اتصل بجماعته و وقف * و سارع کلّ من جماعته بمفرده * الى مصافحه شيخ نور الدين و تقبيل يده * حتى افضت النوبةُ الى ارغوداق * فتوجه بما اضمره من الخداع و النفاق * و کان في الشجاعة اسدا * و کالفيل قوةً و جسدا * فوصل اليه * و قبّل يديه * ثم التزمه عناقا * و احکمه اعتناقا * فاقتلعه من سَرْجه * و اهبط نجمَهُ من بُرْجه * و قطع راسه * و فجع به ناسه * و لما سمع بذلک شاه رخ * طَفِقَ يندُب و يَصْرُخ * و لعن شاه ملک و نَهرَه * و ضرب ارغوداق و شهره * لکن ما امکنه وصل ما قطعاه * و لا غرسُ ما قلعاه * کما قيل (ع)

و ليس لما تَطْوِي المَنِيَّةُ ناشِرُ

و استمر مدةً لاينظر اليهما * ثم بعد ذلک رضي عليهما * و استمر خدايداد * متشبثا باذيال العناد * مشترکا بين العُتُوّ و الفساد * غير مسلِّم الى الصُّلح القياد * الى ان آباره الدهر و اباد * و سنذکر کيف جاد باعدامه و اجاد *

ذكر امر خليل سلطان ببناء ترمذ التي خربها جنكيز خان * وتجهيزه العساكر لهذا الشان

ثم في شهر صفر سنة عشر و ثمانمائة * ارسل خليل سلطان من الجنود فئة * و اضافهم الى الله داد * و ضمّ اليهم من روس الاجناد * الياس خواجا و ابن قماري منصور * و تو كلّ قرقرا و دولة تيمور * الى ترمذ مع آخرين * ليعمروها فاستمروا سائرين * حتى وصلوا الى ترمذ * فجمعوا في الحال احتياجاتهم من الاحجار و الاخشاب و القرمد * ثم تقاسمت تلك الروس ابدانها * و علوا عن ان يتسوّروا قلّة اسوارها و حيطانها * و جعلوا يعملون ولا يلبثون * و يبنون ع بكل ريعٍ منها آيةً يعبثون * و تركوا بالنهار اكلا و بالليل نوما * فاتموا بنيانها في نحوٍ من خمسةَ عشر يوما * و حين ميزوا محلّاتها * و فرزوا دروبها و طرقاتها * و رفعوا اعلام مساجدها ومناراتها * و بذوا مواضع اسواقها و ابياتها * امروا الباقين * من ذرية النازحين عنها من اهلها * و كلّ مَنْ رحَل من خراب وعرها الى عمران سهلها * ان يرجعوا اليها * و يخيّموا عليها * و كان اولئك المساكين * قد استوطنوا منها البساتين * و بنوا فيها اسواقهم و بيوتهم * و جمعوا فيها اسباب معائشهم و قوتهم * و إستمر ذلك من وقت جنكيز خان * الى وقت تيمور كوركان * فكادوا في وطنهم آمنين * وعن حركات الانزعاج و التقلقل ساكنين * فلما مات تيمور * و حدث شرور و امور * اراد خليل سلطان ان يصونهم * فارسل من شيد حصونهم * و كانت الجديدة عن العتيقة نحوا من فرسخ * فصارت العتيقة احصَنَ من الجديدة و ارسخ * لا سيما و قد علّى البانون مَدارها * و نهرُ جيحون يصانع

اقدام طود حسل اموارها * بخلاف الجديده * فان قصور مساكنها غير مَشيده * و هي عن النهر بعيده * فلما نادوا الناس آن ادخلوا الى دار قرارکم * فکانهم کتبوا علیهم ان اقتلوا انفسکم او اخرجُوا من دیارکم * فلم يتقل الله داد عليهم * و لا اكترث في ذلک و لا التفت اليهم * و لم يظهر في ذلك عنادا * و لكنه حشر فنادي * ان كل من سبقت يده من اهل البلد * الى شئ من هذه الاماكن و العمائر الجُدَد * فهو له من غير مُنازع * و لا ممانعٍ و لا مُدافع * ثم امر بانتقال الخبّازين * و القصابين و الطباخين و السمانيين * و ميزلهم منزلهم و مأ واهم * و لم يتعرض لمن سواهم * فجعلوا يبيعون على العساكر و يشترون * و يربحون فى ذاك و لا يخسرون * فاختل نظام سائر الجمع * اذ الانسان مدني بالطبع * فالجأهم الاضطرار * ان يتبعوهم بالاختيار * فتفقّد ما يليق به احوال كل من كبيرهم و صغيرهم * و قرر على ما اقتضته اوامره قواعد امورهم * ثم جمع رؤس جنده * و قفل الى سمرقنده *

ذكر ما فعله شاه رخ من جهة خراسان * فى مقابلة ما فعله خليل سلطان

و لما سمع شاهرخ بما فعله خليل سلطان * جهز طائفه من عساكر خراسان * و جعل يمدّ ذلك السحاب المنجاب * من بحر امر امير يدعي مرزات * و هو اخو جهان شاه * الذي كان تيمور على محاصرة قلعة دمشق ولاه * و امر رؤس تلك الجنود * ان يبنوا قلعة تسمى حصن الهنود * و هي من اقصى بلاد خراسان * يَفصِلُ بينهما و بين ترمد نهر جيحان * ففعلت من البناء العساكر الخراسانيه * نحوما اعربت عنه العساكر الخليلية السلطانيه *

و في اثناء مدة البناء تراسل الله داد و مرزاب و تصافيا * و تواصلا بالاحتشام و الاحترام و تهاديا *

اشارة الى ما حدث في اقاليم ايران * و ماجرى من سيول الدماء عند تصوب ذلك الطوفان

ثم ان السلطان احمد و قرا يوسف رجعا الى العراق * و وقع بينهما على سياسة الملك الاتفاق * و استقر السلطان احمد في بغداد * و وثب قرا يوسف على الجغتاي بالعناد ليستخلص منهم ما استولوا عليه من بلاد * و كتب الفتحُ على راياته آياتِ نصرٌ من الله * فاستخلص ممالك اذربيجان بعد ان اباد طوائفهم و قتل اميران اشاه * و مدُّ عنان الكلام * في استيفاء هذا المقام * يخرجنا عما نحن بصدده من المرام * الى ان وقع بينهما الشقاق * تخبطت اذربيجان و العراق * ثم قتل قرا يوسف السلطان احمد باشارة بسطام * و ذلك في شهور سنة ثلثة عشر و ثمانمائة من هجرة النبى عليه السلام * و اما عراق العجم * فانها كانت احصن اَجَم * فاستقل يدعوي الملك متوليها بير عمر * فنهض عليه ذو قرابة له يدعي اسكندر * فقاتله و كسره * ثم قبض عليه و حصره * و استقل بدعواه * فتوجه اليه شاه رخ صاحب هراه * فقبض عليه و اباده * و فجع به اهله و اولاده * و استصفى بلاده فخلصت لشاه رخ ممالك العجم كلها * و انثال الى خزانته من اموالها وابِلُها و طَلُّها * من غير ان يعاني في ذلك نصبا * و يقاسي في تحصيله تعبا و وصبا * مع ان مملكته كانت اوسط الممالك * فلم يتَطَرّق اليه احد بسوء لذلك * و انه كان حسن الجوار قليل الحركه * و ابوه قد حَسَّمَ عنه بقتله ملوك العجم مادة كل شر و هلكه * فثبت في مكانه بين اسود سمحت

و نَبَتْ * و كبتَ ماله من الاعداء بما له من اصدقاء و ثبت * فاهتزت اراضي دولته بنبات الثبات و ربَتْ * و كان عيون السعد كانت تراقبه * و عرائس الملک تناجيه و تخاطبه * بقوله شعر

نزّه فوادک عن هوانا و القذا * فجنا بناحل لكل منزّه
و الصبر طِلَّسمٌ لكنز وصالنا * من حلّ ذاالطِلّسم فاز بكنزه

ذكر خروج الناس من الحصر * وطلبهم اوطانهم من ما وراء النهر

و في اثناءهذه الحالات * قصدالناس من سمرقند التبدد و الشتات * و طلب كل غريب وطنه * وتحرک يبغي سكنه و قطنه * اما باجازة و احتما * و اما بهزيمة و اختفا * فارل من استجاز من اهل الشام و رأم المسير * شهاب الدين احمد بن الشهيد الوزير * ثم تفرقت الطوائف عجما و عربا * و تبدّدوا فی الافاق شرقا و غربا * و وقع في سمرقند القحط و غلاء الاسعار * و لم يرخص بين الناس سوي الدرهم و الدينار * ثم حصل بعد ذلک الرفاهيه * و اجتمع للناس الرجاء و الامنيه * و طاب الزمان * و حصل الامان * و ذهب المقت * و صفا الوقت * ع * و عندَ صفوِ الليالي يحدُثُ الكَدَرُ *

ذكر ما اثار الزمان الغدار * من دمار و بوار * القی به الخليل فی النار

و كان خليل سلطان تزوج بشاد ملک زوج سيف الدين الامير * ملكه سلطان هواها فكان فيه كالاسير * فمال بكل جوانحه اليها * حيث انه قصرنظره عليها * وصارت محبته كل يوم تزداد * و انست صته قضية قيس و ليلى و شيرين و فرهاد * فكان كما قيل * شعر

أعانقها و النفس بعد مشوقة * اليها و هل بعد العناق تداني

و اَلتَمُ فاها كي تزولَ صبابتي * فيشتدُ ما القى من الهيَمانِ
كان فوادي ليس يهدا الذي به * الى ان يرى الروحين يجتمعانِ

و استمر ذلك الى ان ران هواها على قلبه * و اخذ بمجامع لُبّهُ * و ربط جوارحَه * و حلَّ جوانحه * و فصّلَ قميصا واسعا فكانا يلبسانه * و اتحدا فصار ينطِق بلسانها و تنطِق بلسانه * و صارا ينشدان * و الى حالهما يُرشدان *

انا من اهوى و من اهوى انا * نحن روحان حللنا بدنا

بل كانت القضية بالعكس * قلت

انما كانا بروح نُفخَت * مُذ براها ربُّها في بدَنَيْن

و كان لايصدر امرا الاعن رايها * ولا يستقضي في سياسة الملك الا بارائها* فسلمها قيادة * و اتبع مرادها مراده * و هذا من غاية البلَهِ و العَتَه * و كيف يفلح من ملّك قيادَه امرأته * و كان لها خادم قديم * ليس من بني الاحرار و لا بكريم * بل كان من اطراف الناس * يبيع في اول امره البزّو الكرباس * يُدعى بابا ترمش * بطرف مُعمش و وجهٍ مُنمش * و صورةٍ قبيحة * و سيرة غيرِ مليحة * و كان يتقاضي حوائجَها * و يدخُل عليها * قبل وصول خليل سلطان اليها * فلما وصلتْ مخدومتَه الى ما وصلت * و حصلتْ لها المرتبةُ التي لغيرها ما حصلت * ارتفعت درجةُ خَدَمها * و زادتْ حِشْمةُ حَشَمها * و استفاد بابا ترمش من اضافته اليها التعظيم * و بحسب كرامة المخدوم يحصُلُ للخادم التكريم * فصار يَرْأسُ جماعتَها و يسوسُهم * و بمجالستها تحلّى بخِلعَةِ (هُمُ القومُ لايشقى جليسهم) * ثم ترقى حتى صار عليه مدارُ امرها * ثم تخطّتْ قدمُهُ الى التكلم في اسباب الملك و غيرها * ثم تدرّج الى فصل المحاكمات الديوانية *

و اجراء القضايا السلطانيه * ثم ترفع الى التولية و العزل * و تعاطى ذلك على سبيل الجد و الهزل * و انتهى في ذلك * فصار دستور الممالك * و لم يقدر احد على رد كلمته * لحدة شوكته بقوة مخدومته * فبسط يده و لسانه كما اختار * و امتثل كلّ احدٍ ما امر به و اشار * و استطال على الله داد و ارغون شاه * فصار يبرم ما ينقضانه و ينقض ما ابرماه * و بلغ في قلة الادب الى ان كان يمدّ رجله بحضرتهما * و لا يقيم بذرّة من واجب حرمتهما * ثم حجران لا تفصل قضية الا بمشورته * و ان كان غائبا فينتظر حضوره او يتوجه الى حضرته * و من حين نبغ الى ما بلغ كان نحوا من ثلاث سنين * و عفاريت الجغتاى و جذّهم لابتين معه العذاب المهين * فحل لاللهداد و ارغون شاه من هذا التدرّج * غايةُ الضرر و نهاية التحرّج * و بلغا الغايه * في الاهانة و النكايه * واعضل داؤهما * و اعجز دواؤهما * و استلذا ذهاب العيش و زواله * على البقاء في هذه الحاله *

ذكر ما افتكره الله داد * و دبره في مراسلة خدايداد

ثم ان اللهداد استعمل فكره * و لكن اخطت اسنّه الحفره * فطبخ قدرا فانقلبت عليه * و نسج كدود القزّ شبكةً حتفه بيديه * قلت

اذا انعكس الزمان على لبيب * يُحَسِّنُ رأيهُ ما كان قبحا
يعاني كلّ امرٍ ليس يَعْني * ويُفسِدُ ما رآه الناسُ صلحا

فلم يجدا لتبريد الاكباد * الا مراسلة خدايداد * فجليا عليه صورة هذه القضيه * و اخبراه بها عن وضوح و جليه * و اشارا عليه ان يتوجه باملٍ فسيح * و يقصد بعساكره سمرقند و خاطره مستريح * فنهض من ساعته * و توجه بجيشه

و جماعته * و دبّ دبيبَ الدّبا * فوصل الى مكان يدعي اوراتّبا * فلما سمع بذلك خليل سلطان * ارسل الى الجنود و الا عوان * و تعجب من وقاحته * و تعوذ من كلاحته * و جهز الله داد و ارغون شاه * مع العساكر الجرارة للملاقاه * فسارا حتى دانيا * فقابلاه و ما قاتلاه * ثم ارسلا الى خليل سلطان يستدعيان المدد و يقولان * ان هذا الرجل بلغ من مّلاحاته * و شدة دّعارته و قلة مبالاته * انه لم يتزعزع من مناخه * و لا دخل ريحُ هيبتنا في صماخه * فامدّهما بباقي العسكر * و جعل يتشوّفُ لما يكون من الخبر * فارسلا ايضا ان هذا قد آذى و زاد فسادا * و جارى في عداوته ثمودا و عادا * فامدّنا بنفسك * و ادركنا بحدّسك و حسّك * فان هيبتك اقوى * و طلعتك اضوى * و ما ارتكب هذه الجرأه * و لا اقدم على هذه الجيئه * الا و قد اضمر شرّا كبيرا * و طوى في باطنه قارا و قيرا * فادركنا بباقي المقاتله * فان هذه المرّة تكون الفاصله * فخرج خليل سلطان بقلب مطمئن * و خاطر عن حلول الحوادث مستكنّ * و امل فسيح * و صدر منشرح * معجبا بشبابه * مغرما باصحابه * متمايلا بين احبابه * متهاديا بين اترابه * في شرذمة قليله * و طائفة نبيله * ابعد ما عنده نزول همّ * و اشرد ما لديه حلولُ نكد و غمّ * يغنّيه الكمال * و يناديه لسانُ الجمال * بقوله

تِهْ دلالا فانتَ اهلٌ لذاكا * و تحكّم فالحسنُ قد اعطاكا

فوصل بتلك العصابة السلطانيه * الى قصبة تسمى سلطانيه * فارسل الله داد الى خدايداد ان الركاب السلطاني * خرج من سمرقند في اليوم الفلاني * و في الساعة الفلانيه * يحل كورة سلطانيه *

ذكر ما قصده خدايداد من الكيد * و وقوع خليل سلطان في قنص الصيد

فقصد خدايداد المخاتله * و ترك ثقله مقابل المقاتله * و نبذ العساكر وراء ظهره * وتأبط شرشراره و هراوة هره * و استصحب من ابطال القتال * و رجال النضال و النزال * طائفة جاسره * غير خائفه * شعر

رزان اذا لاقوا خفاف اذا دعوا * كثير اذا شدوا قليل اذا عدوا

و التحف ذيل الليل * و لطأ بظهر الخيل * و استطرق الى مطلوبه طريقا عوجا * و استقود الى مقصوده قواد الدجى * كما قيل * شعر

لا تلق الا بليل من تواصله * فالشمس نمامة و الليل قواد

حتى وصل الى ساطانية و هي قصبة انشاها تيمور * ولم يكن لاحد به شعور * فلم يفجأ خليل ساطان * الا و قد جاءه موج البلاء من كل مكان * فنهض كل من معه من الاصحاب * و اخذوا في الحرب و الطعن و الضراب * و قاتلوا قتال الموت * و ايقنوا حاول الفوت * فعضت عليهم الحرب العضوض * و طرحتهم ما بين مهشوم و موقوذ و مرضوض * فقتل حقيرهم و جاليلهم * و وقع في قار عدوهم حبيبهم و خليلهم * ثم رجع خدايداد الى معسكره * فائزا بنجحه مستبشرا بظفره *

فصل

ثم ان خدايداد حلف لخليل سلطان * باشد ما يكون و ابلغ من انواع الايمان * انه لايقصده باذى * و لا يرمي في عين معيشته بخيال قذى * و لايؤذيه بقول و لاعمل * ولا يسلط عليه من يؤذيه بمكر ودخل * و سيرى نتيجة ما حلف * و ان الله تعالى عفا عما سلف *

فصل

ثم التمس منه ان يوسل الى الله داد * فمن دونه من الاجناد *
ان يستسلموا لخدايداد * و ارسل خدايداد ايضا الى الناس * ياتي
قد استوليت منكم على الراس * فان اطعتموني اطعته * و ان لم
تصلوني قطعته * و لما وقع خليل سلطان في هذا الكرب * تصوران
هذا سهم غرب * ثم ظهرله مكان ذلك المكمن * و تحقق كيف آخذ
في المامن * و تلم من اين صُبَّ ذلك البلاءُ عليه * و انى آخذ
من ذلك الجانب الذي يامن اليه * فقال بلسان الحال *

جزى الله عنا الخير من ليس بيننا * و لا بينه ودٌّ و لا نتعارفُ
فما سامنا خسفًا و لا شفنا اذًى * من الناس الا من نودُّ و نعرفُ

ثم ارسل الى سائر الامراء * و رؤساء الجيش و الوزراء * ان يستسلموا
لخدايداد و لا ينازعوه * و لا يدافعوه فيما يريد و لا يمانعوه * فاستسلم
الكلّ اليه * و استقبل ذراه و سلّم عليه * فاستولى على تلك الجنود
المجنده * و تحصّن من غوائل المخاتل بالرماح المسدّده *
والسيوف المهنّده * و قدّم جذود جذن و خجند * و اغنام تركستان
و طغام اوزجند * و اخّر من سوى اولئك و تقدّم الى سمرقند *
و لم يلتفت الى الله داد ممّن دونه * و تحقّق الله داد انّ صفقته
في ذلك مغبونه * فسلخ الزمانُ عنه ما كان البسه من ثوب عزٍّ
و سلب * و فرّ من بين يديه ما كان فيه من جاهٍ و مالٍ و ذهب *
و كان قيامُ ذلك الحشر * في سنة ثمانمائة و اثنى عشر *

ذكر ما جرى من الفساد * بسمرقند عند قدوم خدايداد

فوصل خدايداد الى سمرقند و دخل * فتغيرت تلك الرسومُ و الدول *
و كأنه ظهر اختلاف المِلَلِ و النِّحَل * و كان له ابنٌ يُدعى الله داد *

فدعاه بالسلطان على رؤس الاشهاد * و تفحص عن مكامن الخزائن *
و نقب في اطوادها عن الفلزات و المعادن * و نقر عن مضمرات
الضمار و بحث عن الخبايا و الدفائن * و تغيرت الاوضاع * و تبدلت
بالفظاظة رقاق الطباع * و صاروا كما قيل * شعر *

اما الخيام فانها كخيامهم * و ارى نساء الحي غير نسائها

و تنكرت الصفات * حتى كأنما تحولت الذوات * او بدلت الارض
غير الارض و السموات * شعر *

و تنكرت ارض الغوير فلم يكن * ذاك الغوير و لا النقا ذاك النقا

ذكر بلوغ هذه الامور * شاه رخ بن تيمور * و تلافيه تلك الحوادث * و حسمه مادة هذه العوابث

و لما اتصل بشاه رخ هذا الخبر * عبس و بسر * و تضجر و زمجر *
و ازور و ازبار * و كشر و اكفهر * و تغير وجهه و تمعر * و استغاث
و تقلق * و ولول و استرجع و حولق * و تحرق و تدكدك *
و تأوه و انشد * شعر *

لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها و حتى سامها كل مفلس

ثم طير بطائق مراسيمه كل مطير * الى اطراف ممالكه بجمع العسكر *
و امر شاه ملك * ان يسير غير مرتبك * و يستديم السير * و يسابق
بعتاقه عتاق الطير * فيتدارك ما انفرط من النظام * و يطارد عن
ورد المملكة الاغنام الطغام * فلا يدع رائدهم ان يحل * و يعاجل
مستعجل قدرهم ان يمل * فسار شاه ملك في الحال * بعساكر في
المدد كالجبال * و في العدد كالرمال * ثم اتبعه شاه رخ بسائر
الاساورة * و كواسر الاكاسرة * و سار لا يلوي على احد * و لا يسكن
في حركته الى طالع و لا رصد * فحين و صلوا جيحون و عبروه *

غَطُّوا وجهه و ستروه * فانبسط ذلك السيلُ على وجه الماء * فكان البحر غطِّيّ بالغمام المتراكِب و غَرِقَ في بحر الحياء *

فصل

و لما قطع البحر تلك الاطراف * و اتصل الخبرُ بخدايداد * تيقن انه لا طاقة لذبابه و قروده * بذئاب جنود شاه رخ و اسوده * و ان جل عساكره يفرّ عنه و يسلمه * و يقبض عليه و لشاه رخ يسلّمه * فاسرع في تنجيز مآربه * و بادر الى تجهيز مطالبه * و اخذ ما وصلت يدهُ اليه من اموال * و اوسق ما بلغت طاقته من نفائس و احمال * و استصحب خليل سلطان * و توجه الى ابدكان * و اودع الله داد و ارغون شاه و بابا ترمش فى القلعه * وابَى ان يستصحب احدا منهم معه * و ترك شاد ملك ايضا في المدينه * بفراق خليلها رهينه * و بساب ما كانت فيه من العز مهينه *

ذكر ماجرى بسمرقند بعد خروج الجنود الجندية * و قبل وصول الشواهين الشاهرخية

ثم لما رحل خدايداد و انفصل * و لم يكن احدٌ من جهة شاه رخ وصل * و ما كان للناس * ظهر و لا رأس * اراد الله داد و ارغون شاه * ان يتوجّها الى شاه رخ و يستقبلاه * فرفع خواجا عبدُ الاول عليهما يده * و اقام لمنعهما عن الخروج من القلعة رَصَده * و استعان بشُطّار المدينه * و كان الله داد قبل ذلك انكاه نكايةً اورثته ضغينه * كما قيل

من يزرعَ الشوك لا يحصُد به عنبا

فلم يختلف في رياسته اثنان * و لا انتطح فيما يأمرهم به عنزان * و صارت اشارتُه الأمرةُ الناهيه * و جداولُ مراسيمه فيمابين

الناس جاريه * و اوامره المطاعة في تلك الايام الخاليه * (ع)

و العلم يرنح بيتنا لا عماد له

و لم يزل خواجا عبد الاول يسوس الرعيه * و يوصي على اللهداد و رفيقيه و من معهم و يشدد مضائق القضيه * الى ان طلعت طلائع شاه ملك و اعقبتها العساكر الشاهرخيه *

ذكر بدور الدولة الشاهرخيه * في سماء ممالك ماوراء النهر بعد غروب شمس النوبة الخليلية

فخرج اهل المدينه لاستقباله * مستبشرين برؤية جبين هلاله * فنزل كلّ احد في منزلته * و وضع كلاً من الناس في مرتبته * ثم قبض على الله داد و رفيقيه و عاقبهم بانواع العقاب * و صنف في تعذيبهم و استخلاص الاموال منهم انواع العذاب * ثم قتلهم صبرا * و نقلهم من الدنيا الى اخرى * الا بابا ترمش فانهم عاقبوه * و بانواع العذاب الهبوه * ففي بعض الايام * و قد انكمش فيه من العذاب الالام * اخذ الموكّلين عليه ليطلعهم على قصّيه * او يذهب بهم الى خبيه * فمروا به و هو في قيد وثيق * على حوض ماء عريض عميق * فاستلّ من قراب ايديهم عضب يده الدلق * و رمى بنفسه و رخّ في ذلك الماء على غفلة فغرق *

فصل

ثم ان شاه رخ زار اباه * و اقام شرائط عزاه * و جدّد ترتيب القرّاء على تربيه و القومه * و استانف معالم المرتبين في ذلك و الخدمه * و نقل الى خزائنه جلّ ما كان على حفرته * من اقمشته و امتعته و اسلحته * و عفّر ببيادر الخزائن * و حفر تخوم تلك الكمائن * في تمهيد القواعد * و ترتيب مراتب الاقارب و الاباعد *

فصل

و قبضوا على شاد ملك و اهانوها * و شانوها ابتذالا لمن صانوها * و عصبوها بالعذاب عَصْبَ السَّلَمه * و هزّوها لاستخراج الاموال منها هزّات اعوانِ الظلمه * ثم بعد ذلك الابتذال * و استخلاصهم منها انواع الاموال * حزموها و شدّدوا منها الوِثاق * و شهّروها مُنادين عليها في الاسواق * و استقرّت على شاه رخ الامور * و ارتفعت صدورٌ و انقصمت ظُهُور * و علا انسان * و انحطّ انسان * فسبحانَ من هو كل يوم في شان * عزّ شانهٌ * و تعالى سلطانهٌ * يغيّر الدُّوَلَ و يقلّب الاحوال * و لا يعتري سلطانه تغيّرٌ و لا انتقال *

ذكر ما قصده خدايداد * من اتمام التكدر و الفساد * وكيف آل ذلك النكال * الى ان جرى عليه وبال

و اما خدايداد فحين حلّ في مكانه * و خلا بتخليل سلطانه في اندَكانه * جدّد معه عهوده و مواثقه * انه امنه مكره و بوائقه * و ذكر ان ذلك النَّكال و النِّكاد * انما فعله معه ارغون شاه و الله داد * مع احسانه اليهم * و اسبالِ ذيلِ انعامه عليهم * و انّهم كافوه مكافاة التمساح * و قابلوا بافسادهم منه الاصلاح * ثم قال له اذكر صنيعك معي اولًا و ظاهرا * و انظر ما افعله معك باطنا و آخرا * و سافعل معك ما يتحقق به خلوصُ الطّويه * و صدقُ النيه * بحيث يذهب الكدَر و يبقى الصفا * و ينمحي الجفا و يثبت الوفا * نعيشُ باقيَ عمرِنا متصافيين * و في رياض الهنا متوافيين متكافيين * فنمحو بما نكتُبُ في الواح صدورنا من المحبة و الشفقه * مَساطيرَ الاساطير المُكَتّبة في باب الحمامَةِ المطوّقه * و سأردك ان شاء الله تعالى الى دار

عزتک * و اجتهد في تحصيل ما يعيدک الى نشاطک و هزتک *
ثم خطب باسمه في اندکان * و امر بذلک في اطراف ترکستان *

تتمه ما جرى من خليل و خدايداد من المعاقدات * و تاکيد العهود و المودات * الى ان ادرکهما هادم اللذات

ثم تأکدت بينهما وثائق الايمان * و ذهب خدايداد يستمد المغول لخليل سلطان * و ترک خليل سلطان باندکان * و کان المغول * لما بلغهم موت تيمور المخذول * سلبوا قرارهم * و اخلوا ديارهم * و لجأوا الى الحصون * و تشبثوا باذيال کل کهف مصون * کما ذکر اولا فلما تحققوا موته * و استثبتوا فوته * تنادوا بالامن و الامان * و جاوروا خدايداد في ذلک المکان * و ارسلوا يهنئون خليل سلطان * و بعثوا اليه هدايا سنية * و تحفا فاخرة ملوکيه * من جملتها کرسي من ذهب * افرغه صائغه في قالب العجب * فاکرم خليل سلطان رسلهم * و اعظم نزلهم * و اجمل معهم جوارا و اجرا * و جازاهم بکل حسنة عشرا * ولت

الخير ابقى و ان طال الزمان به * و الشر اخبث ما اوعيت من زاد

و لا زالت خلع المودة بينهم تنتسج * و وجوه المکارمة و المحاشمة يوما فيوما تبتهج * حتى عري له ما عرى * و جرى عليه من بحر القضاء و القدر ما جرى * فساعة وصول خدايداد اليهم قبضوا عليه * و ارسلوا الى خليل سلطان يفهمون صورة الحال اليه * و قالوا تعلم ما بيننا و بينک من خالص الوداد * و انا عالمون بما وقع بينک و بين خدايداد * و انه کان السبب في تبددک * و خروج ملکک من

يَدِک * قد جاء يستمدُّنا لک * فارسُمْ لنا ما بدا لک * فان رسمت قتلناه * و ان اشرتَ امددناه * و في الجملة مهما امرتنا به امتثلناه * فارسل يقول قد علمتم كيف آذاني * و مزّق عِرضي و اخزاني * و اخرجني من ملكي و سلطاني * و غرّبني عن اهلي و اخواني * و اذلني اذ رأسني بمفارقة حِبّي و اوطاني * و آلان فقد جعلني تُرسا * يتّقي بي الحوادث و الباسا * و قد عرفتم كيف يريد ان يتصرّف * و على كل حال فالعارفُ لايُعرَّف * و مع هذا مهما رأيتم في ذلک من المصلحة فافعلوه * ففي الحال قطعوا رأسه و اليه ارسلوه *

ذكر عود خليل سلطان * من ممالک اندكان * وقصده عمه شاهرخ * و لعبه بالنفس مع ذلک الرخ

و استمر خليل سلطان * في ذلک المكان و اطراف تركستان * يُرسل بالفارسي الاشعار الفراقيه * و ينشيء في حبيبته ما ينسي القصائد الزيدونيه * و يذكر ما فيه من الغربه * و ما جرى عليه من الفراق والكربه * فيصدعَ بذلک القلوبَ و يُفتّتُ الاكباد * الى ان ملّ المقامَ في تلک البلاد * فنفض منها ذيله * و ضم رجلَه و خيله * و قصد عمّه * و ركب الطريق و أمّه * فاكرمَ عمُّه مثواه * و لم يذكر له اخبارَ ما انشاه * و ضم اليه حبيبته * و لمّ الى خليل خليلَته * و قرر قاعدةَ ذلک الاقاليم و شيَّده * و ولّى فيه اولوغ بيک ولده * و قفل الى خراسان * مستصحبا معه خليل سلطان * ثم ولاه ممالک الري * فلم يُقم بها الا ادنى شي * و انتقل الى رحمة الله * و كان عمّه دَسّ له شيأ فسقاه * فدفن بمدينة الري * و طوى نشرُ ذلک الخاتم اَيَّ طَيّ * و حين وقعتْ شاد ملک في هذا الخَطْب

الجليل * و اشتعلت احشاؤها بنار الخليل * قالت لا ذُقتُ فقدك * و لا عشتُ بعدك * و أنّت و رَنّت * و انشدت و غنّت * شعر

كنتَ السّوادَ لمقلتي * فبكى عليك الناظرُ
من عاش بعدك فليمُت * فعليك كنتُ احاذرُ

ثم اخذت خنجرا فوضعته في لبّتها * و اتكات عليه بقوتها * فنفذ من قفاها * و احرقت بنارها كلّ من رآها * فدفنا في قبرٍ واحد و امسى لسان حالهما ينشد * شعر

اجارتنا انا غريبان ههنا * و كلّ غريبٍ للغريب نسيبُ

و صفا لشاه رخ ممالك ماوراء النهر و خراسان * و خوارزم و جُرجان * و عراق العجم و مازندران * و قندهار و الهند و كرمان * و جميع بلاد العجم الى حدود اذربيجان * الى يومنا هذا اعني سنة ثمانمائة و اربعين * و نسأل الله تعالى حسن العاقبة بمنّه و لطفه و الحمد لله رب العالمين *

فصل

في صفات تيمور البديعه * و ما جبل عليه من سجية و طبيعه

و كان تيمور طويل النجاد * رفيع العماد * ذا قامة شاهقة * كانه من بقايا العمالقه * عظيم الجبهة و الراس * شديد القوة و الباس * عجيب الكون * ابيض اللون * مشربا بحمرة * غير مشوب بسمرة * ضخيم الاطراف * عريض الاكتاف * غليظ الاصابع * سميك الاكارع * مستكمل البنيه * مسترسل اللحيه * اشلّ اعرجَ اليمناوين * عيناه كشمعتين غير زَهراوين * جهير الصوت * لا يهاب الموت * قد ناهز

الثمانين * و هو مع ذلک بجاش مکين * و بدن مستمسک متين * صلبا شهما * کأنه صخرة صما * لايحب المزاح و الکذب * و لايستميله اللهو و اللعب * يعجبه الصدق و لو کان فيه ما يسوءه * لاياسي على ما فات و لا يفرح بما يجيئه * و کان نقش خاتمه راستي رستي * يعني صدقت نجوت * و ميسم دوابه و سرة سکته على الدرهم و الدينار ثلاث حلق هکذا ٥٥ لايجري غالبا في مجلسه شيء من الکلام الفاحش و لاسفک دم * و لا من سبي و نهب و غارة و هتک حرم * مقداما شجاعا * مهابا مطاعا * يحب الشجعان و الابطال * و يستفتح بهم اقفال الاهوال * و يفترس بهم اسود الرجال * و يستهدم بهم و بصدماتهم قلل الجبال * ذا افکار مصيبه * و فراسات عجيبه * و سعد فائق * و جد موافق * و عزم بالثبات ناطق * و لدى الخطوب صادق * قلت

فکم قدحت آراؤه زند فتنة * حمته لدى الباسا و اردت قبائلا

مجاجا دراکا للصحة و للمزه * مرتاضا مستيقظا لرمزه * لا يخفى عليه تلبيس ملبس * و لا يتمشي عليه تدليس مدلس * يفرق بين المحق و المبطل بفراسته * و يدرک الناصح و الغاش بدرية درايته * يکاد يهدي بافکاره النجم الثاقب * و يستتبع بآراء فراسته سهم کل کوکب صائب * قلت

يشاهد اعقاب الامور بعقله * کما شاهد المحسوس بالعين ناظر

اذا امر بامر او اشار بشيء لا يرد عنه * و لا يثني عنان عزيمته عن شيء منه * لئلا ينسب الى قلة الثبات * و رکاکة الرأي و الحرکات *

قلت *

اذا قال قولا او اشار اشارة * ترى امره في ذاک کالنص قاطعا

و كان يقال له في القابه صاحب قران الاقاليم السبعة و قهرمان الماء و الطين * و قاهر الملوك و السلاطين * يحكي ان قاضي القضاة ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون المالكي قاضي القضاة بمصر كان صاحب التاريخ العجيب * و السالك فيه الاسلوب الغريب * على ما ذكر لي من رآه * و اطلع على لفظه و معناه * من الاذكياء المهرة * و الادباء البررة * مع اني لم اره * و كان قد قدم الشام * مع عساكر الاسلام * و حين ولت العساكر الادبار * انشبته في مخاليب تيمور الاقدار * قال له في بعض مجالسه * و قد انس بتوانسه * بالله يا مولانا الامير ناولني يدك التي هي مفتاح فتوح الدنيا حتى اتشرف بتقبيلها * و قال له ايضا لما اراد ان يستصحبه معه و قد سرد عليه شيأ من تواريخ ملوك الغرب و كان تيمور مغرما باقراء التواريخ و استماعها * فاعجبه ذلك غاية الاعجاب* و رغب منه في الاستصحاب * يا مولانا الامير مصرُ خَرِجَتْ عن ان يتولى فيها نائبٌ غيرك * او ان يجري فيها غير امرك * و لي فيك عوض عن طريفي و تِلادي * و اهلي و اولادي * و وطني و بلادي * و اصحابي و اخداني * و اقاربي و خلاني * و ملوك الناس * و عن كل ظهر و راس * بل و عن كل الورى * اذ كل الصيد في جوف الفرا * و ما اتأسف * ولا اتلهف * الا على ما مضى من عمري * و انقضى من عصري * كيف تقضى ذلك في غير خدمتك * ولم نكتحل عيني بنور طلعتك * و لكن القضاء جاز * و ساستبدل الحقيقة بالمجاز * و ما اولاني * ان اكرر على لساني * قوله *

جزاك الله عن ذا السعي خيرا * و لكن جئت في الزمن الاخير

فلاستأنفن في ذراك عمرا ثانيا * ولأعدّن الزمان بابعادي عن عدوتك عاديا * ولا تداركن ما مضى من عمري بصرف ما بقي في خدمتك والتشبث بغرزك * ولاحسبن ذلك اعز اوقاتي * واطى مقاماتي * واشرف حالاتي * ولكن ما يقصم ظهري * الا كتبي التي افنيت فيها عمري * وصرفت جواهر علومي في تصنيفها * وظمئت نهاري وسهرت ليلي في ترصيفها * وذكرت فيها تاريخ الدنيا من ددنها * وسير ملوك شرقها وغربها * ولئن ظفرت بها لاجعلنك واسطة عقدهم * وخلاصة نقدهم * ولاطرزن بسيرك خلع دهرهم * ولاصيرن دولتك هلال جبين عصرهم * اذ انت ابو المقادم * والبارغ بدر نصرة في شرق الغرب من دياجير الملاحم * والمكاشف به على لسان كل ولي * والمشار اليه في الزوائج والجفر المنسوب الى امير المومنين علي * وصاحب القران * المنتظر في اخر الزمان * وهي في القاهرة فلو حصلت عليها ما فارقت ركابك * ولا هجرت اعتابك * والحمد لله الذي رزقني من يعرف قيمتي * ويحرز خدمتي ولا يضيع حرمتي * مع كلام فصيح صادع * بديع بليغ خالب خادع * فاهتزت فرحا اعطافه * وترقصت مرحا اطرافه * واعجبه ذلك واغراه ميله الى كتب التواريخ والسير * واستهواه حبه معرفة احوال الملوك الذي ذكر * حتى شُدِهَ عما خلبه * بسحر هذا البيان البديع وسلبه * ثم انه استوصفه بلاد العرب وممالكها * واستوضحه اوضاعها ومسالكها * وقراها ودروبها * وقبائلها وشعوبها * كما هو دأبه وشانه * والقصد في ذلك امتحانه * لانه لم يكن محتاجا ذلك * اذ في خزائن تصوره صور جميع الممالك * وانما اراد

بذلك معرفة مقدار علمه * و كيفية ابداء نصحه له و كتمه * فاملي كل ذلك من طرف لسانه * كأنه يشاهده و هو جالس في مكانه * و شرح تلك الامور * كما في خاطر تيمور * ثم قال له كيف تذكرني وبُخْتَ نصّر * مع الملوك الاكابر * و لم نزل في النسب تلك المفاخر * وما نحن من يعاسيب النحل * فانّى تُعبّينا مع الفحل * فقال افعالكما البديعه * اوصلتكما الى تلك المنزلة الرفيعه * فاعجبه هذا الكلام * و قال لجماعته اقتدوا به فانه امام * ثم اخذ تيمور يخبر القاضي بما وقع في بلاده * و ما جرى بين ملوك الغرب و اجناده * و لا زال يذكر له اخبار الناس حتى سرد عليه اخبار متعلقيه و اولاده * فتحير القاضي من املائه * و قال ان الشيطان ليوحي الى اوليائه * ثم ان تيمور عاهد القاضي ان يتوجه الى القاهره * و يأخذ اهله و اولاده و كتبه الزاهره * و لا يلبث اكثر من مسافة الطريق * و يرجع اليه بامل فسيح و عهد بنيل الاماني وثيق * فتجهّز الى صفد * و استراح من ذلك النكد *

فصل

و كان تيمور محبا للعلماء * مقربا للسادات و الشرفاء * يعز العلماء و الفضلاء اعزازا تاما * و يقدمهم على كل احد تقديما عاما * و ينزل كلا منهم منزلته * و يعرف له اكرامه و حرمته * و ينبسط اليهم انبساطا ممزوجا بهيبه * و يجث معهم بحثا مندرجا فيه الانصاف و الحشمه * لطفه مندرج في قهره * و عنفه مندمج في برّه * شعر

متفرق الطعمين مجتمع القوى * فكانه السراء و الضراء

و قيل

مُرّ المذاق على اعدائه بشع * حلو الفكاهة للاصحاب كالعسل

وكان مغرما بارباب الصناعات و الحرف * اي صناعة كانت اذا كان لها خطر و شرف * يبغض بطبعه المضحكين و الشعراء * و يقرّب المنجمين و الاطباء * و ياخذ بقولهم * و يصغي الى كلامهم * ملازما للعب بالشطرنج لكونه مفتحا للفكر * و كانت علت همته عن الشطرنج الصغير - فكان يلاعب بالشطرنج الكبير - و رقعته عشرة في احدي عشر † * و فيه من الزوائد جملان و زرافتان و طليعتان و دبابتان * و اشياء غير هذه * و سيأتي وضعه ‡ و الشطرنج الصغير بالنسبة الى الكبير كلا شئ * مواظبا لافراء التواريخ و قصص الانبياء عليهم الصلوة و السلام * و سير الملوك و اخبار من مضى من الانام * سفرا و حضرا كل ذلك بالفارسي * و مما تكررت قراءتها عليه * و طنّت نغماتها على اذنيه * قبض زمام ذلك و ملكه * حتى صارت له ملكه * بحيث ان قارئ لك اذا خبط * ردّه الى الصواب من الغلط * و ذلك لان التكرار * يفقه الحمار * و كان آميا لا يقرأ شيأ و لا يكتب و لا يعرف شيأ من العربيه * و يعرف من اللغات الفارسية و التركية و المغوليه * حسب لا غير * و كان معتقدا للقواعد الجنكيزخانيه * و هي كفروع الفقه من الملة الاسلاميه * و مُمَشّيًا لها على الطريقة المحمديه * و كذلك كل الجغتاي و اهل الدشت و الخطا وتركستان و اولئك الطغام * كلهم يُمَشّون قواعد الملعون جنكيز خان على قواعد لاسلام * و من هذه الجهة افتى كل من مولانا و شيخنا حافظ الدين محمد البزازي رحمه الله * و مولانا و سيدنا و شيخنا علاء الدين محمد البخاري ابقاه الله * و غيرهما من العلماء الاعلام * و ائمة الاسلام *

(†) و رقعته ستة عشر في ستة عشر (‡) شف صفحه ٣٢١ *

بكفر تيمور و بكفر من يقدم القواعد الجنكيز خانيه * على الشريعة الاسلاميه * و من جهات آخر ايضا * و قيل ان شاه رخ ابطل التورة و القواعد الجنكيز خانيه * و امران تجري سياستهم على جداول الشريعة الاسلاميه * و ما اظن لذلك صحة فان ذلك عندهم قد صار كالملة الصريحه * و الاعتقادات الصحيحه * و لو اتفق انه يجمع مرازبه و موابذه في دسكره * و يغلق ابوابها و يطلع عليهم من منظره * و يفتح عليهم شيأ من هذا الباب * لحاصوا حيصة الحمر الى الابواب *

فصل

و كان فريد الطور * بعيد الغور * لايدرك لجحر تفكيره قعر * و لا يسلك في طود تدبيره سهل و لا وعر * قد اقعد في ممالكه نواميسه * و اقام في سائر الممالك جواسيسه * و هم مابين امير كاطلامش احد اعوانه * و فقيه فقير كمسعود الكحجاني عين اصحاب ديوانه * و كان ذلك في القاهرة المعزيّه * و هذا بدمشق احدُ الصوفية بالشُّمَيْصاتيّه * و ما بين منسبب و تاجر * و مُصارع شرّير و بهلوانٍ فاجر * و مكدّ و صنائعي * و منجم و طبائعي * و قلندرى قوّال * و حيدرى جوّال * و بحرى سبّاح * و برّى سيّاح * و سقّاء ظريف * و حذّاء لطيف * و سِعْلاة دلّاله * و شيخةٍ محتالةٍ كدلّة المحتاله * و من مرّنت به التجارب * و ضرب اكباد الابل مشارق و مغارب * و بلغ فيما هو بصدده من المكر و الاحتيال منزلة الكمال * و ألف بلطيف ختله و دهاه بين الماء و النار و الهدى و الضلال * و جاوز فى الحيل و الكيد * ساسانَ و ابا زيد * و الزم في حكمته و جدله ابنَ سينا * و اسكت فى منطقه اليونانيين اذ عكس عليهم القضايا * فجمع بين المتنافيين * و الف بين المتضادين * قلت

فاق من قاد للعدى كل جيش * بكلام تخفى البعيد قريبا
مزج العقل في القياد بعقل * فهدى عاشقا و اهدى حبيبا

فكانوا ينهون اليه حوادث الاطراف و اخبارهم * و يكتبون اليه ما قدموا و آثارهم * و يذكرون لديه اوزانهم و اسعارهم * و يصفون منازلهم و امصارهم * و يصورون سهولهم و اوعارهم * و يخططون بيوتهم و ديارهم * و يبينون مدى ذلك بعدا و قربا * و ما في ذلك ضيقا و رحبا * و جهات و اقطارا شرقا و غربا * و اسامي الامصار و القرى * و القاب المنازل و الذرى * و اهل كل مكان و رؤساءه * و امراءه و كبراءه * و فضلاءه و شرفاءه * و اغنياءه و فقراءه * و اسم كل و لقبه * و شهرته و نسبه * و حرفته و سببه * فكان يطالع بفكره ذلك * و يتصرف بتفكيره في سائر الممالك * و كان اذا حل ببلد * و اجتمع به من اعيانها احد * شرع يسأله عن فلان و فلان * و ما جرى لفلان في الوقت الفلاني مما زانه من امر و شان * و الى ما آلت تلك الواقعه * و كيف فعل فلان وفلان فيما كان بينهما من المنازعه * فيبهت ذلك الرجل ناظرا * و يظن ان تيمور كان في تلك الحالة حاضرا * و كان كثيرا ما يطرح عليهم من اغاليط المسائل * و يحكى صور مباحثات جرت لهم و رسائل * فيتصورون ان له في ذلك العلم قدمه * او كان منه للعلماء خدمه * و لذلك تصور بعض الناس * ان ذلك الوسواس الخناس * و كان مقيما بالسلارية * و بعض بالغ حتى قال انه رآه في فقراء الشميصانية *

فصل

و مما يحكى عن فراسته انه لما نزل عن سيواس * و قد حصنها منه اولو النجدة و الباس * قال لعسكره اعملوا الحيله * انا فاتحوا هذه

في ثماني عشرة ليله * فكان كذلك فلا شكّ انّ ذلك الاعرج * كان مُلهما اومُستدرَج * و كان ذا مغالطات * و حركات لها مُغاوَرات * اذا دهمه امر يتعاطى دفعه و هو مظهر انه راغب فيه * و ربما يُظهِر الرغبَة عن شيء و مريد حصوله و مشتهيه * و قد مرّ نظائر هذا كله * فمن مغالطاته انه اذا كان له في مكانٍ رَوْم * او اراد ان ينزلَ بساحة قوم * قصد الاخفاء و التعميه * و طلب الايهام و التوريه * و بحر عسكره لايخلو من تمساحٍ متجسِّس * او سرطان متحسِّس * و لو لم يكن لاحد في عسكره عين * فانّ بُزوغَ العَين لا يخفى على ذي عين * فانه يجمع اركان دولته * و اعيان مملكته * و ذوي آرائه و مشورته * بحيث انه لايتخلّف منهم احد * و لا يجزي مولودٌ عن والد و لا والد عن ولد * ثم يظهر لهم خفَية امورة * و يطلب منهم المشورة في جهة مسيره * و يطلق لهم عنان الكلام * و يقول لا تثريب على من خاض في ذلك من خاصّ الانام * ناظر في اعقاب الامور ما بين يوم و عام * فيتكلم كلّ ولا حرج * فسواء هوى الى حضيض الخطاء او الى اوج الصواب عرج * فان اخطأ فلا نقصان * و ان اصاب فله اجران * فيبذل كلّ جُهدَه * و يعاني في ذلك وَكْدَه و كَدّه * و يبدي في ذلك ما ادى اليه اجتهاده * و يتصور ان ذلك يُوافقه مراده * فتتفق الاراء * على ناحية من الانحاء * ثم يفُضّ ذلك المجلس * و يجتمع باخصائه و يجالس * كسليمان شاه و قماري و سيف الدين * و الله داد و شاه ملك و شيخ نورالدين * و يمحَضون القضيّة محضا غير ذلك * و يبحثون فيها بحثا دقيق المسالك * فيقع آخر الامر الاتفاق * على التوجه الى بعض الافاق * ثم يدعو رائدهم * سائقهم في ذلك و قائدهم * و يأمرهم بالتوجه اليه *

فيتصدّعون على ما عوّل في ذلك عليه * و حين يقوّض الظلامُ خيامه * و ينشّر رائدَ الصبح اعلامه * و يضرب الكوس للرحيل * و يأخذ الناس في التحميل * و يتوجه الناس الى الجهة التي امرهم بالمسير اليها * و وقع الاتفاق عليها * دعا حاشيته بعد ما حمّلوا و اخذوا في المسرى * و امرهم ان يمتازوا و يرحلوا الى جهة آخرى * لم يكن ابداها لاحد من الجماعه * الا في تلك الساعه * و لولا الضرورةُ لما افشاها * و لا اعاد سريرتها لاحد و لا ابداها * فيضرب الناس ضربا و يضرب ضربا * و يأخذ العساكر شرقا و يأخذ غربا * فتضطرب تلك الاطراد و تختبط * و تنفرط عقود نظامهم فلا تكاد تنضبط * و تنحل قوائم مواشيها عن المسير و ترتبط * و يموج بعض الناس في بعض * و ينعكسون سماءً في ارض و طولا في عرض * و يتولّه كل احد و يتدلّه * و لا يدري الى اين يتوجه * فان كان في عسكره ربيئه * او من يراقب ذهابه و مجيئه * فبمجرد ما رأى تحميلهم * و شاهد تحويلهم و رحيلهم * طار الى مخدومه * و اظهر له ما في معلومه * من توجه العساكر الى الجهة التي اتفقوا عليها * و انه شاهدهم بعينه و قد توجهوا اليها * فياخذ و حذره اهل ذلك الجانب * و تطمئنّ سائر الجوانب من النوائب * فلم يشعُروا الا و قد دمّر على الجانب الذي قصده و حطّمه * و نبذه من نار العذاب الموقدة في السعير و الحُطَمه * و كم كان له من دهاء * و مكر خفي و ذكاء * و من جملة ذلك انه لما كان بالشام * و قد قابلته عساكر الاسلام * اشاع انّ سوار اساورته تخلخل * و تأخّر قليلاً الى وراء و تحلحل * و اذاع انه اَعوزَ خيلَه و رَجلَه الزاد * و انه صائبٌ صوبَ بغداد * ثم اسفرتِ القضيّه * عن ان انهزمتِ العساكرُ

المصريه * و كان قصده بذلك تثبيت جاشهم * و استقرار رؤسائهم و اوباشهم * و ان يكزّ كل منهم على ما رم * فيربض في مكانه و لا ينهزم * فيحيط بالكل كيده * و يصير المجموع صيده *

و مما يحكي من شدة عزمه * و ثباته على ما قصده و حزمه * و حلول نقمته ممن يعارضه * و يعاكسه فيما يرسم و يناقضه * انه لما توجه بالجنود * الى بلاد الهنود * بلغ الى قلعة شاهقه * اقرط الدراري بآذان مراميها عالقه * و رجوم النجوم الخارقة تتعلم الاصابة من رشاقة سهامها الراشقه * كأن بهرام في مهواه احد سواطيرها * و كيوان في مسراه خادم نواطيرها * و الشمس في استوائها غرة جبينها * و قطرات السحاب في الانسكاب تترشح من قعر معينها * و شقة الشفق الحمراء على آذان مراميها و أنوف ابدانها سرادق * و كريات نجوم القبة الخضراء لعيون مكاحلها و افواه مدافعها طابات و بنادق * فيها من الهنود طائفه * ثابتة الجنان غير خائفه * جهزت اهلها و ما تخاف عليه الى الاماكن المعجزه * و تثبتت هي في تلك القلعة حافظة لها متحرزه * مع انها شرذمة قليله * و طائفة ذليله * لا خير عندهم و لا مير * و لا فائدة سوى الضرر و الضير * و لا للقتال عليها سبيل * و لا حواليها لاحد مبيت و لا مقيل * بل هي مطلة على المقاتله * مستمسكة من المقاتله * فابى ان يجاوزها * دون ان يناجزها بالحصار و يناجزها * و اللبيب العاقل * ما يترك لخصمه وراءه معاقل * فجعلت المقاتلة تناوشها من بعيد * و نصب كل من اهلها عليهم من اسباب المنايا ما يريد كما يريد * فكان كل يوم يقتل من عسكره ما لا يحصى * و القلعة تزداد بذلك إباء و استعصا * و هو يابى الرحيل

عنها * الا ان يصل الى غرضه منها * ففي بعض ايام المحاصرة
مُطِروا * و بواسطة المَطَر انحصروا * و صار يحثّهم على القتال *
و ركب لينظر ما يصنعون في تلك الحال * فلم يرتض افعالهم *
لمّا عكست اوجالهم احوالهم * فدعا منهم رؤس الامراء * و زعماء
العسكر و الكبراء * و اخذ يُمزّق اديمَ عصمتهم بشفار شتمه * و يُشقّق
ستر حُرمتهم بمخاليب لعنه و ذمّه * و نفخ الشيطان في خيشومه *
فالهب فيهم نيران غضبه و شومه * و قال يا لئام * و اكلة الحرام *
تتقلّبون في نعمائي * و تتوا نون عن اعدائي * جعل الله نعمتى
عليكم وبالا * و البسكم بكفرانها خيبةً و نكالا * يا فاجري الذمم *
و كافري النعم * و ساقطي الهمم * و مستوجبي النقم * الم تطوُا
اعناقَ الملوك باَقدام إقدامي * و تطيروا الى آفاق الدنيا باجنحة
احساني و اكرامي * و تفتحوا مغلقات الفتوح بحسام صولتي *
و تسرحوا في متنزهات الاقاليم سوائم تحكمكم بتربية دولتي *
بي ملكتم مشارق الارض و مغاربها * و اذبتم جامدَها و اجمدتم
ذائبها * شعر

الم اكُ نارا يصطليها عدوُّكم * و حرزا لما الجأتم من ورائيا
و باسطَ خيرٍ فيكمْ بيمينه * و قابضَ شر عنكم بشماليا

و لا زال يَهمْهِمُ و يغمغِمُ * و يُهذرِم و يُبرْطِم * و هم مطرِقون لا يحيرون
جوابا * و لا يملكون منه خطابا * ثم ازداد حنقا * و كاد ان يموت
خنقا * فاخترط السيف بيده اليسرى * و همَّ به على قمَم اولئك
الاسرى * و همَّ ان يجعلَ رقابهم قرابَه * و يسقى من دمائهم
فرنده و ذُبابه * و هم على تلك الحال * في الخزي و الاذلال *
باذلوا نفوسهم * ناكسوا روُسهم * ثم تراجع و تماسك * و ملك نفسه

قليلا و تمالک * فاغمد عن تشوبقهم حسامه * ولم يلق لامره قبلة و لا دبرة * فخلف غربه و شامه * ثم نزل عن مركبه * واستدعي الشطرنج الكبير ليلعب به * و كان عنده شخص يدعي محمد قارجين * و هو لديه ذو مكان مكين و مقام امين * مقدم على كل الوزراء * و مبجل دون سائر الامراء * مسموع القول * مقبول الرأي * ميمون النقيبة * محبوب الشكل * فتشفعوا اليه * و عولوا في حل هذا الاشكال عليه * و قالوا ساعدنا ولو بلفظه * و راقبنا ولو بلحظه * و اعمل معنا * بهذا المعنى * شعر

ساعد بجاهک من يغشاک مفتقرا * فالجود بالجاه فوق الجود بالمال

و بما قيل

واهون ما يعطي الصديق صديقه * من الهين الميسور ان يتكلما

و بما قيل

و ان امرأ قد ضن عني بمنطق * يسد به من خلتي لضنين

فاجابهم والتزم * ان يرده عما تأزم به و أزم * و راقب مجال المقال * و راعى فرص المجال * واخذت افكار تيمور * امور القلعة و ثغور * و جعل يستضوي اضواءهم * و يستوري آراءهم * و لا يسع كلا منهم الا القبول * لما يستصوبه رأيه و يقول * ففي بعض الاحايين * اتفق ان قال محمد قارجين * و قد زل به القضاء * واحاطت به نوازل البلاء * اطال الله بقاء مولانا الامير * و فتح بمفاتيح آرائه و راياته حصن كل امر عسير * هب انا فتحنا هذه القلعة * بعد ان أصيب منا جانب عن اهل النجدة و المنعة * هل يفي هذا بذا * و يوازن هذا النفع بهذا الاذى * فما احتفل بخطابه * و لا اشتغل بجوابه * بل استدعي شخصا من المرقداريه * فظا قبيح

المنظر ذا حالة زريّة * يدعى هرا ملك * ذا عرقٍ سَهِك * و وجه بالسواد سَدِك * اوسخ من فى المطبخ * و اسنخ من فى المسلخ * لُعابُ الكلب طهور عند عَرَقه * و عصارة القبر حليب بالنسبة الى مرقه * فحين ما حضر لديه * و وقع نظره عليه * آمر بثياب محمد قاوجين فنزعت * و بخلقان هرا ملك فخلعت * ثم البس كلا ثياب صاحبه * و شدّ وسطه بحياصته * و دعا دواوين محمد و مباشريه * و ضابطي ناطقه و صامته و كاتبيه * ثم نظر ما له من ناطق و صامت * و ذآئب و جامد * و ملك و عقار * و اهل و ديار * و حَشَم و خَدَم * من عرب و عجم * و اوقاف و اقطاع * و بساتين و ضياع * و مماليك و اتباع * و خيل و جمال * و احمال و اثقال * حتى زوجاته و سراريه * و عبيده و جواريه * فانعم بذلك على الوسخ * و امسى نهارُ وجودِ محمد قاوجين و هو من ليل تلك النعمة مُنسلخ * ثم قال تيمورُ أقسم بالله و آياته * و كلماته و صفاته * و ارضه و سمواته * و كل نبي و معجزاته * و ولي و كراماته * و برأس نفسه و ذاته * لئن آكل محمد قاوجين احد او شاربه او ما شاه * او صادقه او صافاه * او اوى اليه او آواه * او راجعني في امره * او شفع عندي فيه او اشتغل بعذره * لاجعلنه مُثله * و لأصيرنّه مِثله * ثم طرده و اخرجه * و قد سلبه نعمته و اخرجه * فصار مسلوب النعم * قد حلت به نوائب النّقم * و صحبوه بالخُلْق * و رأى نعمته على اقلّ الخلق * و اتصل غيرُهُ بالحلق و قُطعَ منه الحلْق * فُفلقت حبّةُ قلبه اىّ فَلْق * و استمر على ذلك في عيشٍ مُرٍ و عمر حالك * و حاشا ان تُشبه قصته قضية كعب بن مالك * فكان يستحلي مرارةَ الموت *

و يستبطئ اشارة الفوت * و كلّ لحظة من هذا الحيف * اشدّ عليه من الف ضربة بالسيف * فاما مات تيمور احياه * و ردّ عليه خليل سلطان ما سلبَه جدّه ايّاه *

فصل

و كان من أبهته و عظمته * و شدة شكيمته و عُتوّه و حرمته * انّ ملوك الاطراف * و سلاطين الاكناف * مع استقلالهم بالخطبة * و استبدادهم بالسكة * و انفرادهم بالزعامة و الرياسه * و قيامهم بامور الايالة و السياسه * كالشيخ ابراهيم ملك ممالك شروان * و خواجا علي ابن المؤيد الطوسي سلطان ولايات خراسان * و اسفنديار الرومي و ابن قرمان * و يعقوب بن علي‌شاه حاكم كرمان * و حاكم منشا و طهرتن امير ارزنجان * و سلاطين فارس و اذربيجان * و ملوك الدشت و الخطا و تركستان * و مرازبة بلخشان * و مراجيح ما زندران * و على الجملة فالمطيعون من ملوك ايران و توران * كانوا اذا قدموا عليه * و تقدموا بالهدايا و التقادم اليه * يجلسون على اعتاب العبودية و الخدمه * نحوا من مدّ البصر من سرادقاته قائمين بشرائط الادب و الحرمه * فاذا اراد منهم واحدا * ارسل اليه من الفراشين او نحوهم قاصدا * فيهيبُ ذلك القاصد و هو يَعدُو كالبريد * و ينادي ذلك الواحدَ باسمه يا فلان من مكان بعيد * فينهض في الحال من مجثاه * مجيبا بلَبّيك لَبّيك دعواه * و يعدو نحوه متعثرا في اذياله * متلقيا ما برزت به مراسيمه بقبوله و اقباله * مطرقا رأس التذلل و الخضوع * مصغيا باذان الخنوع و الخشوع * مفتخرا على اضرابه * لكونه اهّلَه و دعاه و اعتنى به * و قيل كان اناس من جماعته يلعبون بالنرد فافترقوا فرقتين *

و اختلفوا في نقش الكعبتين * فقال احد اللاعبين و رأس الامير تيمور كذا و كذا نقش الكعبتين * فرفع يده خصمه و لطمه * و سبه و لعنه و شتمه * كأنه ذبح يحيى اوزكريا نشر * او كفر بمحمد او قدم موسى على ابى البشر * و قال يا ابن الفاعله * و الغاسل ابن الغاسله * بلغ من انتهاكك الحرم * ان تذكر الامير تيمور بفم * و انى لك ان تجعل خدك موطئ مداسه * فضلا ان تحلف برأسه * انه لاجلّ ان يتفوه مثلي و مثلك باسمه * او يتلفظ بشيءٍ من حدوده و رسمه * و انه لاعظم من كيخسرو و كيكاوس و كيقباد * الذين ملكوا المشارق و المغارب و افخم من بختنصر و شداد * و قيل انه قصد في بعض الاوقات الاصطياد * و ارسل يمنة و يسرة على العادة طوائف الجيش و الاجناد * و رسم ان يخرج مشاةُ تلك الرقاع * و رجالة هاتيك القرى و البقاع * فيمتدوا في الوهد و اليفاع * و حين تلتئم على الوحوش حلقة الكيد * و يصح ان يتنازع فعلا رمى و اصمى كلاً من عمرو و زيد * لا يشيرُ احدٌ بضربة و لا طعنة و لا رمية الى صيد * بيد انهم يردون اوابد تلك البيداء الى بهرة ذلك البيد * فامتثل كلُّ ما به امر * و حين صار كالبنيان المرصوص صفُّ تلك الاحزاب و الزمر * و احاطت صافاتُ تلك الكواسر بالوحوش احاطة النجوم بالقمر * ماجت بحار الوحوش في ذلك البر * و لم تجد لها من دردور تلك السيول الهامرة من مخرج و لا معبر * فدارتْ و مارتْ * و خارتْ و حارتْ * و ثارتْ و بارتْ * و استجارتْ بعدَ ما جارتْ * و استكانت بعد ما زأرت * و انطوت ارضها التي طال ما عليها انتشرت * و طرزت خلع اعلامها باعلام و اذا الوحوش حشرتْ * فبينما هي على تلك الحال * في اشد ما يكون

من الاهوال * امر بان تضرب الطبول من كل الجهات * و ينفخ في صور المزامير و البوقات * فدقّ الكوس و زعق النفير * و امتلأت الدنيا من الشهيق و الزفير * و رجّت الارض رجّا * و مارت الاقطار هرجا و مرجا * و حين سمعت السباع صوت الطبول * و رأت الوحوش هذا الامر المهول * سقطت قواها * و تقطعت كلاها * و جذت و ما انبعثت * ثم تقاربت و تلاءمت * و تقارنت و تضامنت * و تصورت ان القيامة قد قامت * فاخذ بعضها بعنق بعض و نامت * فعانق الثور منها اللبوه * و ضاجع الاسد فيها الظبيه * و اختفى السرحان * بين الغزلان * و استجار الثعلب * ببنات الارنب * و لاذ بالاروى النعام * و الارنب بالعقاب * و عاذ الضب بالنون و اليربوع بالغراب * فعند ذلك امر الاطفال من اولاده * و اولاد الامراء و احفاده * ان يرموا و يصموا و ينفذوا * مهما ارادوا و لا يطلقوا * و جعل ينظر اليهم * و يتفرج عليهم * و يتزهزه لافعالهم * و يقهقه على احوالهم * و يجرأهم على الاقدام و النضال * و يشجعهم بذلك على صيد الابطال * و جعلت حواشي الجيش تنجز على ما اصموا * و تجهز على ما انموا * و صار ذلك المفسد * يترنم و ينشد * شعر

صيد الملوك ارانب و ثعالب * فاذا ركبت فصيدي الابطال

فصل

و كان يحمل اليه البلخش من بلخشان * و الفيروزج من نيسابور و كازرون و معادن خراسان * و الياقوت من الهند * و الماس منها و من السند * و اللؤلؤ من هرمز و القطيف و الحسا * و اليشم و المسك و غيره من الخطا * و من سائر الاقطار * خالص الفضة و مصفى النضار *

فصل

و انشا في سمرقند بساتينَ عديده * و قصورا شوامخَ مُشيده * كلٌّ له ترتيب غريب * و وضع انيقٌ عجيب * احكم اساسها * و طعّم بآخر الفواكه غراسها * سمّي احدها بُستان ارَمَ و الاخر زينة الدنيا * و الاخر جنة الفِردَوْس و الاخر بستانَ الشمال و الاخر الجنة العُليا * ثم انه هدم مصرا * و بنى في كل بستان منها قصرا * و صوّر في بعض هذه القصور مجالسه * و اشكال صورته تارَةً ضاحكة و اُخرى عابسه * و هيآتِ مواقعاته * و صور محاضراته * و مجالسَ صحبته مع الملوك و الامراء * و السادات و العلماء و الكبراء * و مُثُولَ السلاطين بين يديه * و وفودَها بالخدمات من سائر الاقطار اليه * و حلق مصائده * و كمائنَ مكائده * و وقائع الهند و الدشت و العجم * و صورةَ انتصاره و كيف انكسر عدُوّه و انهزم * و صورة ولاده و احفاده * و امرائه و اجناده * و مجالس عشرته * و كاسات خمرته * و سُقاة كاسه * و مطربي ايناسه * و تغزّلاتِ مقاماته * و مقاماتِ تغزّلاته * و حظايا حضرته * و خوانين عصمته * الى غير ذلك مما وقع له من صورة حادثة في الممالك * مدي عمره المتقارب المتدارك * كلٌّ ذلك كما وقع و وُجِد * و لم ينقُص من ذلك شيأ و لم يزد * و قصد بذلك الافاده * لمن كان في عالم الغيب عن احواله بالشهاده * فكان اذا توجه الى مكان * و خلت سمرقند من الظلمة و اعوان الشيطان * تخلو تلك البساتين * و يتوجه اليها اهل المدينة الاغنياء و المساكين * فلايوجد اعجب متنزها منها و لا احسن * و لا اوفق مُرتفقا و لا آمن * و اما ثمارها الطيبة فانها مُسَبَّله * بحيث انه لا يُباع منها قنطارٌ بخردله *

و انشأ في ضواحي سمرقند و اطرافها قصبات * سمّاهن باسماء كبار البلدان و الامهات * كمصرَ و دَمِشْق و بَغْداد * و سلطانيّه و شيراز عرائس البلاد * و انشا بستانا في ضواحي سمرقند على طريق الكَشّ و بني به قصرا سماه تخت قراجا *

يحكى ان بعض مشيدي عمارته ضاع له فرس و استمرت ترعي في البستان ستة أشهُر حتى وجدوها *

فصل

نساؤه الملكةُ الكُبرى - و هي اقدمُ و اكمل * و الملكةُ الصُغرى - و هي احسن و اجمل * و هما من بنات ملوك الخطا * و تُومان بنتُ الامير موسى امير نَخشَب المأْر ذكْرُه في اول الكتاب * و جُلبان كانت كالبدر عندَ الكمال * و كالشمس قبلَ الزوال * قتلها في حيوته لشي بلغه عنها * و كان غير واقع و انما فعل ذلك معها * لانه قيل إنْ صدقا و إنْ كذبا * و أَظُنّها كانت من الحظايا * و اما السراري و الحظايا * فاكثر من ان يُحْصَيْن * فالملكتان المذكورتان سمتهما شاد ملك خوفا منهما على خليلها و تومان ارسلها خليل سلطان الى شيخ نور الدين بسغناقَ كما مرَّ و بعدَه جاءت الى سمرقند و سمعتُ انها عزمَتْ في يومنا هذا اعني سنة اربعين و ثمانمائة على الحج و الله تعالى اعلم *

فصل

اولاده لصلبه المتخلفون من بعده اميرانشاه قتله قرا يوسف كما ذكر و شاه رخ و هو المتملك في يومنا هذا و بنت تدعى سلطان بخت زوج سليمان شاه كانت مُترجِّلَة لا تُحبُّ الرجالَ و ذلك لما افسدها النساءُ البغداديَّاتُ قَدِمْنَ سمرقندَ و لها تواريخ سوء *

احفاده غالبهم انقرض الا اولاد شاه رخ و امثلهم اولوغ بيك حاكمُ سمرقند و ابراهيم سلطان حاكم شيراز و باي سُنقر حاكمُ كرمان ماتا كلاهما في سنة ثمان و ثلاثين و ثمانمائة و جوكي و هو الذي مشى على اسكندر بن قرا يوسف و شتّت شملَه بعد موت قرا يلوك و ذلك في شهور سنة تسع و ثلاثين و ثمانماية ثم مات في اواخرها *

فصل

امراؤه و وزراؤه لا يُحصَون و اشهَرهم من ذُكر في هذا الكتاب * دواويته الخواجا محمود بن الشهاب الهروي و مسعود السمناني و محمد الشاغرجي و تاج الدين السليماني و علاء الدولة و احمد الطوسي و غيرهم * منشيء ديوانه وهو عبارة عن كاتب السّر مولانا شمس الدين قاضي زمانه و فاضل اِبّانه فارسيا و عربيا يُصَرِّفُ اخبار الانشاء كيف شاء كان قلَمَه في فتح اقاليمه * انفذ من سنان مخدومه * و لما مات تيمور احتجب * و طوى بساطَ الادب * فقيل له ضحكَتِ البشرةُ الا تباشر * و صفتِ العشرة فهلاّ تعاشر * فقال ذهب الذي كان يعرف قيمتي * فانا لا اذهب في خدمة الاحداث حُرمتي * امامُهُ عبد الجبار بن النعمان المعتزلي * صدور مملكته مولانا قطب الدين و الخواجا عبدالملك و ابن عمه الخواجا عبد الاول و غيرهم * قاري قصَصِه وتواريخه مولانا عبيد * اطباؤه فضل الله وجمال الدين رئيس الطب بالشام وغيرُهما * وكان دايما يستعمل معاجين الاحجار * وفي سِنّه ذلك يجتني باكورة الابكار * منجموه لا يحضرني اسماؤهم *

فصل

حصل في ايام استيلائه بسمرقند من الفقهاء مولانا عبد الملك و هو
من اولاد صاحب الهداية كان يلقى الدرس و يعلم الشطرنج و النرد
و ينظم الشعر في حالة واحدة و نعمان الدين الخوارزمي ابو عبد
الجبار المذكور كان يقال له النعمان الثاني و كان اعمى و الخواجا
عبد الاول ابن عم مولانا عبد الملك انتهت اليه الرياسة في
ماوراء النهر بعد ابن عمه و مولانا عصام الدين بن عبد الملك
انتهت اليه الرياسة في يومنا هذا بعد ابن عبد الاول * و من
المحققين مولانا سعد الدين التفتازاني توفي في محرم سنة احدى
و تسعين و سبع مائة بسمرقند و السيد الشريف محمد الجرجاني
توفي بشيراز * و من المحدثين الشيخ شمس الدين محمد الجزري
كان اخذه من الروم و كان قد هرب اليها من مصر بعد توجهه
من بلاد الشام قبل الفتنة توفي بشيراز و الخواجا الكبير المفسر
الحافظ المحدث محمد الزاهد البخاري فسر القرآن الكريم في مائة
مجلد توفي بمدينة النبي صلى الله عليه و سلم سنة اثنين و
عشرين و ثمانمائة * و من القراء هما و مولانا فخرالدين * و من
حفاظ القرآن المجودين قراءة و صوتا عبد اللطيف الدامغاني
و مولانا اسد الشريف الحافظ الحسيني و محمود المحرق الخوارزمي
و جمال الدين احمد الخوارزمي و عبد القادر المراغي الاستاذ
في علم الادوار * و من الوعاظ و المتكلمين مولانا احمد بن شمس
الائمة النسائي كان يقال له ملك الكلام عربيا و فارسيا و تركيا و كان
اعجوبة الزمان و مولانا احمد الترمذي و مولانا منصور القاغاني *
و من الكتاب المجودين السيد الخطاط ابن بندكير و عبد القادر

المذكور و تاج الدين السلماني و غيرهم * و المنجمين أناسٌ
برعوا لا اعرف من اسمائهم غير مولانا احمد الطبيب النحاس
المستخرج قال لي استخرجت من زايجة الطالع الى مائتي سنة
و كان هذا الكلام في سنة ثمان و ثمانمائة * و من الصواغين الحاج
على الشيرازي و الحاج محمد الحافظ الشيرازي و غيرهما * و من
الحكاكين طائفة جمة و امثلهم التون و كان آية في فنه ينقش
الفصوص و يحفُر اليشمَ و العقيقَ بخط احسن من ياقوت * و من
الشطرنجيين محمد بن عقيل الخيمي و زين اليزدي و غيرهما
و علامة ذلك علاء الدين التبريزي الفقيه المحدث كان يحط لزين
اليزدي بيذقا و يغلبه و لابن عقيل فرسا يركبه و لقد داخ تيمور
الاقاليم شرقا و غربا * و قَمَّرَ في دَسْتِ مصافاته كلَّ سلطان و
كلَّ شاهٍ مات عندَه جدا و لعبا * و كان يقول له انت في ملك
الشطرنج فريد * كما اني في سياسة الملك وحيد * و كل منى
و من مولانا عليٍّ شيخٌ في فنه ذو كراماتٍ لم يوجد له نديد *
و له في لعب الشطرنج و علم مناصيبه شرح * و ما كان احد يقول
إنه يُنتِجُ ولاّد فكرة في لعبه معه من غير طرح * و كان فقيها
شافعيا * محدثا اَرْيَحِيًّا * حسن البهجة * صادق اللهجة * حكى
لي انه رأي اميرالمؤمنين عليا كرم الله وجهه في المنام * و انه
ناوله الشطرنج في كيس فلم يغلبه احد بعد ذلك من الانام *
و من اوصافه في لعبه انه كان لا يتفكر * و بمجرد ما يلعب خصمه
بعد التفكر و التأمل الطويل ينقل من غير ان يتدبر * و كان يلعب
على الغائب مع خصمين * و يعلم مع الطرح لمن هو في جهته
على الجهتين * و كان يلعب هو و الامير * بالشطرنج الكبير * و رأيت

عنده شطرنجا طويلا و الشطرنج الكبير فيه من الزوائد ما مر ذكره *
و طريقة تعلمه بالفعل اقوى * و ليس في شرحه بالقول كثيرا
جدوى * و من المطربين عبد القادر المراغي المذكور و ولده
صفي الدين و ختنه نسرينٌ و قطبُ الموصلي و اردشير الجنكي
و غيرهم * و من النقاشين كثير و اعلاهم عبد الحي البغدادي و
كان ماهرا في فنه * و من التجريّة شهاب الدين احمد الزردكاشي *
و من نقاشي الزّجاج و النحاس و غيرهم مالا يحصى و هؤلاء
كل منهم كان علّامةَ دهره و اعجوبةً عصره * و لو رصّعتُ حُليّ
الالفاظ بجواهر اوصاف هؤلاء الاعيان * لملأتُ الاكوان من فوائد
الجمان و قلائد العقيان * و هؤلاء من حضرني ذكره ممن اعرفه و اما
من لا اعرفه او اعرفه و لا يحضرني ذكره فاكثر من ان يحصى *
و اغزر من ان يُستقصى * و حاصل الامران تيمور كان جنى كلّ حيّ *
و جبى الى سمرقند ثمرات كل شيء * فكان بها من اهل كل فن
عجيب * و اسلوب من الصنائع غريب * من هو على جبين الفضل
شامة * و برز على اقرانه فصار في فنه علّامة *

فصل

و كان في سمرقند انسان * يسمى بالشيخ العريان * فقير ادهمي *
بشكل بهيّ و عزم سميّ * قيل ان عمره على ما هو فيهم شائع *
و بين اكابرهم و اصاغرهم ذائع * ثلاث مائة و خمسون سنة * مع
ان قامته مستوية و هيئته حسنة * كان المشائخ الهرمون * و الاكابر
المعمرون * يقولون لقد كنا و نحن اطفال * نرى هذا الرجل على
هذا الحال * و كذلك نروي عن آبائنا الاكرمين * و مشائخنا
الاقدمين * ناقلين ذلك كذلك عن آبائهم * و المعمرين من كبرائهم *

و كان اطلس وله قوة ناهضة و جدة * من رأه يتصور انه لم يبلغ اشده * لم يكن للكبر * بوجهه تجعيد و لا اثر * و كان الامراء و الكبراء * و الاعيان و الصلحاء * و الفضلاء و الرؤساء * يترددون الى زاويته * و يتبركون بطلعته و يلتمسون بركة دعوته * و في سمرقند مسجد يسمى مسجد الرباط * يهب لمن يدخله الانشراح و الانبساط * و الروح و النشاط * و قيل ان احد معتله كان وليا * يسمى الشيخ زكريا * هو معتقد تلك البلاد * و مزاره في مكان مشهور على طود من الاطواد * و قبره يستجاب عنده الدعا * و هو عن سمرقند نحو يوم في المدى * و هو بالكرامات موصوف * و في كرخ هذه المقامات معروف * و هو في ربوة ذات قرار * فيها جنات تجري من تحتها الانهار * محفوف باليمن و الانس * كأنه اقتطع من حظيرة القدس * يحكى انه لما كان * فاعلا في ذلك البنيان * وقع في جبهته نقطة من الطين * فرأى ذلك احد المباشرين * و استمر ذلك الطين على هذه الحال * نحوا من ثلاث ليال * فلما ارادوا وضع المحراب * وقع الاختلاف في الخطا و الصواب * و كثر في ذلك الصخب و الاضطراب * فقال الشيخ زكريا ضعوا المحراب على هذه الفقره * و لا تعدلوا عنها يمنة و لا يسرة * فقال ذلك المباشر * لمن في ذلك المكان حاضر * يا للعجيبه * و القضية الغريبه * رجل لم يغسل وجهه ثلثة ايام * يرشد الناس الى معالم الاسلام * فقال ذلك العابد الزاهد * او رجل هو من لم يتم ثلاثة ايام بوضوء واحد * و لكن تعال ايها الجاحد قف مكانك * و ثبت جنانك * و لا تكن ممن انكر و تولى * و انظر الى عروس الكعبة كيف تجلى * فنظر ذلك الذي انكر * فاذا الكعبة امامه تتبختر * ثم التفتوا

الى الشيخ ففقدوه * وطلبوه ارضا و سماء فلم تجدوه * و هذا المسجد فيه شيء عجيب * عدة أسطوانات من خشب * من جملتها سارية شمخت ارتفاعا * نحوا من خمسة عشر ذراعا * و غَلُظَ جسمُها و بدنها * فلا يقدر الرجل يحتضنها * و باقي السواري بها قد حُظِيَ * قيل انها شجرةُ قُطْنٍ * و لها خاصية عجيبه * ظريفة غريبه * من كان به وجع الضرس * يَقْضَمُ عليه مقدار حبّةٍ من خَشَب ذلك البِرْس * فانه ينفعُه * و يسكن في الحال وجعُه * جرّبتُه فصحّ و يسأل من يدعي رؤية سمرقند عما رأي فيها من العجائب * و شاهده من علامات الظرف و الغرائب * فان اخبر برؤية هذه السارية الفائقه * كانت رؤياه صادقه * و اعتد له بصدق الكلام * و الا كانت رؤيته اضغاث احلام *

فصل

سمرقند ليس فيها كيل و لا صاع يُصان * و لا يجري على جنس المكيلات فيها بالكيل حُسْبان * و انما معرفة حساب ذلك عندهم بالميزان * و رِطْلُ سمرقند اربعون أوقيّه * كل اقية بالمثاقيل مائه * فيكون رِطلهم اربعة آلاف مثقال * كل مثقال درهم و نصف من غير زيادة و لا اخلال * فعلى هذا رطلهم بالدمشقي عشرة ارطال *

حكى لي مولانا محمود الحافظ المُحرِق الخوارزمي * و لقّب بالمُحرِق لان سهام ترجيعاته كانت تصيب حبّات حُشاشات اذ ترمي * و تفرق رنّات اوتارها نحو آذانِ القُلوب فتصمي طائرها و لا تُنمي * فان صدعت من القلوب حجرا * تطاير من اقتداحها في الارواح شررا * فيُحرق برنّاته الارواح * و يشعل بنغماته الاشباح * قال استصحبني تيمور في بعض اسفاره * فكنت ملازم خدمته في ليله

و نهاره * فنزلت عساكره على حصن لحصاره * و ضرب خيمته على مكان عال * ليشرف منه على القتال * و يتفرج في صنع الرجال * ففي بعض الزمان * حضرت عنده انا و رجلان * و كان قد حصل له حمى * اورثته كربا و غما * و كانت سماء النزال ذات حبك و احتباك * و رماح القتال في التواء و اشتباك * فاراد ان يطالع احوالهم * و يشاهد افعالهم * و افرطت شهوته الى العزيمة * فقال احملوني الى باب الخيمة * فدخل ذلك الرجلان تحت ابطيه * و اوقفاه بباب الخيمة و انا بين يديه * فجعل يشاهد حربهم * و يتميز طعنهم و ضربهم * ثم اراد ان يامرهم بشيء * فقال لي يا محمود الي * فاسرعت الى يده * و دخلت تحت عضده * فارسل احد الرجلين الى عسكره * يامرهم بما عن له من عجره و بجره * فكانه لم يعبر عليلا * و لم يرو غليلا * فقال لذا دعاني * و على الارض ضعاني * فوضعناه فسقط كانه رمة باليه * او احمه على باريه * ثم ارسل ذلك الرجل الاخر اليهم * و امرهم بما اقتضته آراءه و اكد عليهم * فبقيت انا و هو وحدنا * لم يبق احد عندنا * فقال لي يا محمود انظر الى ضعف بنيتي * و قلة حيلتي * لا يد لي تقبض و لا رجل تركض * و لو رماني الذباب هلكت * و لو تركوني و حالي ارتبكت * لا املك لنفسي نفعا و لا ضرا * و لا اجلب خيرا و لا ادفع شرا * ثم تامل كيف سخر الله تعالى لي العباد * و يسر لي فتح مغلقات البلاد * و ملأ برعبي الخافقين * و اطار هيبتي في المغربين و المشرقين * و اذل لي الملوك و الجبابرة * و اهان بين يدي الاكاسرة و القياصرة * و هل هذه الافعال الا افعاله * و هذه الاعمال الا اعماله * و من هو انا غير سطيح ذي فاقه *

لا باب لي في الدخول الى هذه الافعال و لا طاقه * ثم بكى و ابكاني * حتى ملأتُ بالدموع ارداني * فانظر الى هذا الوبر * كيف سلك بهذا القول مسلك القائلين بالجبر * و انشدوا فيه بالفارسي بيتين و هما

نيم تني ملك جهان را گرفت * چشم كشا قدرت يزدان ببين
پاي ني و تخت بزير قدم * دست ني و ملك بزير نگين

ترجمته نقلت دوبيت

قد اظهر قدرة ابخاني حكمة * من ملكٍ شقا الدنا جا في قسمة
لا كفّ له و الملكُ في خاتمِهِ * لارجلَ له و التختُ مَوطي قدمهِ

فصل

و اما عساكره و طرائق سلوكهم * فانهم على دين ملوكهم * كانوا استدرجوا من حيث لا يعلمون * و رُزِقوا من حيث لا يحتسبون * مُسخّرا لهم خفيّاتُ الدفائن * مفتوحا عليهم خبيّاتُ الخزائن * ميسّرا لهم مكامن المطالب و المعادن * كلّ طِرْفٍ منهم قد جال و سطا * و صار بطرق اللّوم اهدى من القطا * قد دبّروا الامور* وجرّبوا احوال الدهور * و قاسوا معاصر العُصُور * و كابدوا المكائد * عالجوا الشدائد* و مارسوا الاشيا * و ذاقوا الخاسّ و الدنيا * و عرفوا مداخلَ كلّ مارق و مخارجه * و ادركوا مداركَهُ و معارجه * لايدهيهم داهيه * و لا يطغيهم طاغيه * ربما يمرّون بقفراء * و يجيزون بمهمّهٍ صحراء * شعر

لايفزع الارنبَ اهوالُها * و لاترى الضبّ بها ينجحر

فيقف بعضهم ثم تراه * ينظر الى ارض ذلك المكان و ثراه * ثم يقول ليس هذا الثرى * من هذا الثرى * ثم ينزِلُ عن دابّته و يأخُذُ من ذلك التراب و يَشُمّه * ثم يلتفتُ الى جهاته الاربع فيقصدُ منها

جانبا ويؤمّهُ * ثم لايزال يسير بمن معه من الاعوان * حتى يصلوا الى مكان * فيحفرون و يخرجون كمين الدفائن * و ما في ذلك من المغلّات و الخزائن * و كذلك اذا وصلوا الى عمائر * او مرّوا على مقابر * يتوجّهون الى الخبء كانّهم وضعوه بايديهم * او اوحت شياطينهم ذلك اليهم * و ربما يجيئون الى مقام * مرّ على ساكنه فيه ايام * و مضى عليه فيه شهور و اعوام * و فيه شئ مطمور * لم يكن لصاحبه و ساكنه به شعور * فبمجرد دخولهم اليه * يفتح ذلك عليهم و يطّلعون عليه * و حين يطّلع ساكنه على ذلك يأكل ندامةً و حسرةً يديه * و كان لهم درايات في دهرهم عجيبه * و سهام آراء في عمرهم مصيبه * و كانوا يحملون البقر ويركبونها * و يسرجون الحُمُر و يلجمونها * و يسابقون على ذلك اصحاب الخيل العراب الى قصبات المغانم فيسبقونها * و يطعمون الجمل * لحم الكلب و الحمل * و يعتاضون عن شعير الفرس * بالقمح و الارز و الدّخن و الزبيب و العدس * و ربما اعورهم ذلك فى السفر * فاطعموا دوابّهم لحاء الشجر * حكى لي القاضي برهان الدين ابراهيم القَوشَةُ الحنفي المذكور رحمه الله تعالى ان قازان و التتار * لما قدموا هذه الديار * خرج من له قوة الفرار فارًّا من الشرور * كما فعلوا في قضية تيمور * و من جملتهم تاجر بالصالحيه * كان في عيشة رخيه * و له اموال وافرة وفيّه * جمع ماله من صامت المال * و وضعه في قدرة مهال * ثم عمد الى بركة ماء فحفرها * و وضع تلك القدرة تحتها و طمرها * ثم ردها الى مبانيها * و اعاد مياهها الى مجاريها * و حين استتب الوثوب * و قدمت الدّواب للركوب * قالت له امرأته قد نسينا قرطين * و اخاف ان يحدث عليهما فى الطريق شين *

فانظر لهما مكانا * و حصّل لنا بذلك اماد * فقال اما الآن * فلا مكان *
ثم اخذ هما و وضعهما في سقف سقيفه * على خشبة لطيفه * ثم
ركبا * و تركا الديار و ذهبا * فلما حلّ بدمشقَ التتار * نزل منهم
فرقة في تلك الدار * فجعلوا يأكلون و يشربون * وهم في خوضهم
يلعبون * فبينا هم بعض الايام في النشاط * فرض الفار احد تلك
الاقراط * فتدحرجت لؤلؤة و سقطت على البلاط * فتبادرت
الجماعة اليها جاريه * كأنهم يتسابقون الى قُرطى ماريَه * فسبقت
الجماعه * و دخلت البلاعه * فكشفوا عن وجه الارض ستّر خدّرها *
فوجدوا الاموال كما هي في قدرها * فاخذوها و اللؤلؤة و اخرجوها *
و قصدوا باقي القرطين و اقتسموها * و جماعة تيمور ايضا كذا
كانت * وكلّ معضلة من القضايا اذا وصلت اليهم هانت * وكل
منهم كان على دين ملكه وفي فنه الى غايته عرج * فان كنت
محدثا عن احوالهم و اخبارهم فحدّث عن البحر و لا حرج *

فصل

يُحكى ان واحدا منهم من اهل الذكاء و الكيد * اراد في فصل
الشتاء التنزه فقصد الصيد * فاخرج مركوبه و هو بقرة * فشدّ عليها
سرجَه و هو خشبة مكسّره * غرّره قضيب مدوّر * و حزامه حبل
مُبتّر * و تجمل بلباسه وهو جلد فروة منهوش * وبتاجه و هو
طرطور من لبد منفوش * و شدّ كنانته و هي جلود ممزّقه * مشدودة
بحبل و عليها خروق ملزقه * سهامها قد التوت * و حنيتها قد استوت *
و معه باري قد نتف القرناص ريشه * و قلع حقل بدنه زرع خوافيه
و حشيشه * ثم ركبَ جواده * و حمل باريَهُ و قصد اصطياده *
فرأى جماعة من البطّ * على ساحل غدير حطّ * فرفع يده بالباري

ساعة * حتى عاين تلك الجماعة * ثم وضع يده بخفض * وارسل البازي على الارض * فصار يحجل رُوَيدا * قد اضمر للبطّ كيدا * اذ لم يكن له قوة الطيران * و لا جناح عليه به يستعان * فوصل الى الطير بسكون * و هي آمَنَ ما يكون * لانها لا تتوقَّعُ البلاء * الّا من جهة السماء * فدخل بينها فما نفرت منه * و لا هربت عنه * فلم تشعر الا وقد وثب على واحدة و قلذها * فادركه صاحبه واخذها * ولما رحلوا عن دمشق * وقد مشقوا اوراق نعمها من اغصان وجودها ايّ مشق * و كان مع بعضهم بقرة نهبها * وحمّلها ما اخذه من الاموال التي سلبها * و اركبها اسيره * و سار بها مدة يسيره * فبعد سيرها يومين او ثلاثة قَلِقت * و نادت بلسان حالها انها ما لهذا خُلِقَت * فلما لم تجد ملجا مما شكت * توكّلت على الله و بركت * فانزلوا الراكبة عنها و صاحوا عليها فلم تقم فحلوا احمالها و ضربوها فلم تتحرك فاوجعوها ضربا * و اشبعوها لعنا و سبًّا * وتلك المباركة باركةٌ فادَمَّوها وهم يضربونها * الى ان كادوا يُهلكونها * فمن شاحط بمقدمها * و من جاذب بموخرها * و من متعلق بقرنها * و من متشبث باذنها * و هي جاثمة مُشبهه * فيلَ ابرَهَه * فعجزوا عنها * و ايسوا منها * فبينما هم على ذلک * وقد ضاقت عليهم المسالک * و اذا هم بشيخ كَوْسَج * كانه شجرة عَوْسَج * قد سلک المشارق و المغارب * و مرت به انواع التجارب * و قاسي برد الامور و حرها * و ذاق حلوها و مُرَّها * و عرف خيرها و شرها * مر بهم * و هم في كربهم * فلما رآهم اسارى * عاجزين حيارى * سكارى و ما هم بسُكارى * قال تنحّوا عنها ايّ جِنّه * ثم دنا منها دُنُوّ الراقى من ذي جِنّه *

و اخذ كفا من تراب * انعم من عيش الشباب * ثم قبض على قرنها * و صبه في اذنها * ثم هز رأسها في مناخها * حتى وصل التراب على صماخها * فوثبت قائمه * و هي من ذلك الرغام راغمه * و جعلت تنفض رأسها * و زادت اضطرابها و شماسها * و طلبت المسير * و كادت تطير * فاعادوا عليها احمالها * و زادوا اثقالها * فصارت تلك البليها تعدو و لا يقدر عليها *

فصل

و كان في عسكره من الترك عبدة الاصنام * و عباد النار من المجوس الاعجام * و كهنة و سحرة * و ظلمة و كفره * فالمشركون يحملون اصنامهم * و الكهان يشجعون كلا منهم * و يأكلون الميتة و الدم المسفوح * و لا يفرقون بين مخنوق و مذبوح * و ناس حزاون * و زواجر خراصون * ينظرون في الواح الضان * و يحكمون بما يرون فيها على احوال كل مكان * و ما حدث في كل بقعه * من الاقاليم السبعه * من الامان و الخوف * و العدل و الحيف * و الرخص و الغلاء * و السقم و الشفاء * و سائر ما يكون * فلا يكادون يخطئون *

ولهم ايام * و شهور و اعوام * كل عام منسوب الى حيوان * يحسبون بها ما مضى من السنين فلايتأتى فيها زيادة و لا نقصان *

و في الخطا لهم خط يسمى دلبرجين * رأيت حروفه احدا و اربعين * وسبب زيادته انهم يعدون التفاخيم و الامالات * حروفا و كذلك البين بينات * فتتولد الزوائد * و كل حرف زائد * و اما الجغتاي فلهم قلم يسمى اويغور * و هو بالقلم المغولي مشهور * و عدته اربعة عشر حرفا و سبب نقصانه و انحصاره في هذا العدد ان حروف الحلق يكتبونها على هيئة واحدة و كذلك تلفظهم بها و مثل هذه

الحروف المتقاربة في المخرج مثل الباء و الفاء و مثل الزاي و السين و الصاد و مثل التاء و الدال و الطاء و بهذا الخط يكتبون تواقيعهم و مراسيمهم * و مناشيرهم - و مكاتيبهم - و دفاترهم - و مخاتيمهم * و تواريخهم - و اشعارهم * و قصصهم - و اخبارهم * و سجلاتهم - و اسفارهم * و جميع ما يتعلق بالامور الدنيويه * و التورة الجنكيز خانيه * و الماهر في هذا الخط لا يبور بينهم * لانه مفتاح الرزق عندهم *

فصل

و كما كان فيهم مَن جُبِلَ على الفظاظه * و القسوة و الغلاظه * و من هو قليل الرحمة بل و عديم الاسلام * كفرة فجرة اوغاد انذال طغام اغتام * قد اتخذوه من دون الله هاديا و نصيرا * و استكبروا به في انفسهم و عتوا عُتُواً كبيرا * استجرهم كفرهُم و حبهم اياه * الى انه لو ادعى النبوة او الالهية لصدقوه في دعواه * كلّ منهم يتقرب الى الله تعالى بجره * ينذر له اذا وقع في شدةٍ و يفي بنذره * و استمرّ على اعتقاده الباطل و كفره * مدة حيوته و بعد موته ينقُلُ النذور و يقرّبُ القُربان الى قبره * و كان ترقّى معه في المصاحبه * حتى وصل الى مقام المراقبه *

قيل انه كان في السفر * فرأى واحدا من العسكر * كأن الكرى عطف رقبته * او السُرى امال شِقّته * او على حال لايتوجه عليه فيها لوم و لا عتب * فضلا ان يترتب عليه ضرب او سب * فقال تيمور ترى ما ثم احد قاطع * يقطع رأس هذا الفاعل الصانع * ولم يزد على هذا الكلام * فسمعه واحد من اولئك الكفرة اللئام * سمه دولة تيمور * و هو امير كبير مشهور * قد البسه الله ثوب النقمه * و لم يُشِمّه شيأ من روائح الرحمه * ففي الحال سلّ رأسه من بين

كتفيه * و حمله الى تيمور و وضعه بين يديه * فقال تيمور ويلك ما هذا الامر الافظع * فقال هذا الرأس الذي اشرت ان يقطع * فاعجبته هذه العباره * و ابتهج بان امره يمتثل بادنى اشاره *

و كان فيهم الظرفاء و الادباء * و الاذكياء و الشعراء * و من هم في الفضل اعلام و علماء * و فيهم المحقق * و الباحث في العلوم و المدقق * و من شارك في كل العلوم * و بحث فيها بحثا شافيا من طريقي المنطوق و المفهوم * و يقرر مذهب الصوفية و احياء العلوم * و مع هذا فبعضهم يمضي على مقتضى ما عَلِمَه * و كان من الذين امنوا و تواصَوا بالصبر و تواصوا بالمرحمه * و بعضهم كان مَعَ رقة الحاشيه * و اللطافة الفاشيه * و العلم الوافي و الظرف الشافي * و الجمال الفائق * و الكمال الشائق و الكلام الرائق * قلبه اقسى من الحجر * و فعله انكى من ضرب الصارم الذكر * يقولون من قول خير البريه * و يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميه * و اذا وقع مسلم في مخاليبهم * او ابتُلِيَ غريبٌ بتعذيبهم * صنَّف ذلك العالم المحقق * والحَبْرُ المدقق * في استخراج المال انواع العذاب * و اصنافَ العقاب * و استحضر في فنون تعذيبه كتبا و مسائل * و سرد في علوم تتريبه خطبا و رسائل * فيصير ذلك المسكين يتكوّى * و يستغيث ويتلوّى * و يستجير بالله و آياته * و يستشفع بكل ما في ارضه و سمواته * من ملك و نبي * و صديق و ولي * و ذلك المليح يضحك و يتظارف * و يتمايل و يتلاطف * و ينشد لطائف الاشعار * و يتمثل بظرائف النوادر و الاخبار * و رُبما تحرّقَ و بكى * و تارةً لما يفعل بذلك من التعذيب و انتكى * و صار كبعض قضاة الاسلام * المستولي على مال الايتام * يخطُبُ و يبكي * و فعلُهُ في قلوب المسلمين يُنكي *

و لما كانوا في دمشق دخلوا الى بيت واحد من الاعيان بزقاق العجم * و اذا هو مملوٌ من النفائس و الخيرات و النعم * شعر

قصر عليه تحيَّـةٌ و سلام * خلعت عليه جمالها الايام

فقبضوا على صاحب ذلك المنزل و ربطوه * و بانواع العذاب و العقاب عذَّبوه * ثم احكموا رجلَيْه شدًّا و علَّقوه * و استخرجوا النفائس * و استجلوا من حِسانها العرائس * و احضروا لذيذات المطاعم والمشارب * و قضوا من التفكه والتنعم ما لهم من مآرب * و جعلوا يأ كلون و يشربون * و يلهون و يطربون * و اذا تحرك في واحد منهم الخبث * او تَمِلَ و اخذه في سكرة العبث * عمد الى ذلك المسكين و هو في شدة النكاد * فسقاه الماء و الملح و سَفَّفه الكلس و الرماد * و كان فيهم عالم مُتَقَشِّف * عن تناول المسكرات متعفف * كما قيل *

عجبت من شيخي و من زهده * و ذكره النار و اهوالها

يكره ان يشرب في فضـة * و يسرق الفضة ان نالها

وكانوا اذا رأوا القدح المزعفر * احضروا له السكر المكرر * و وضعوه له في صيني الخوافق * و صبُّوا عليه الماء الرائق * فيسكرون هم بالاقداح القوادح * و يسكر ذلك الفاسق المحروم من الروائح * ثم يتوجه الى صاحب المنزل * و يضحك عليه و هو في اشد ما يكون من العذاب و يسخر منه و يهزل * ثم يتمايل على صوت المثاني و المثالث * و يتناول من تلك الماكل و المشارب و يقول بقِرمال البخيل لحارث او وارث *

و كان في عسكره كثير من النساء * يلِجْنَ معامع الهيجاء و وقائع الباساء * و يقابلن الرجال * و يقاتلن اشد القتال *

و يصنعن ابلغ ما يصنع الفحول من الرجال فى النزال * من طعنٍ بالرمحِ و ضربٍ بالسيفِ و رشق بالنبال * و اذا كانت احدٰتهن حاملا و اخذها و هم سائرون الطّلق * تنحّت عن الطريق و اعتزلت الخلْق * و نزلت عن دابتها و وضعت حملها * و لفته و ركبت دابتها و اخذته و لحقت اهلها * و كان في عسكره ناسٌ وُلدوا فى السفر * و بلغوا و تزوجوا و جاءهم اولاد و لم يسكنوا الحضر * و كان في عسكره ناس صلحاء عُبّاد * ورعون زُهّاد اجواد امجاد * لهم فى الخيرات اوراد * و في وردها اصدار و ايراد * دأبهم خلاصُ مأسور * او جبرُ مكسور * او اطفاءُ حريق * او انقاذُ غريق * او اصطناعُ معروف * او اغاثةُ ملهوف * مهما امكنهم * و وصلت اليه يدهم * اما بقوة و أيْد * و اما بنوعِ خديعةٍ و كيد * و اما باستيهابٍ و استشفاع * او تعويض و ابتياع * و كانوا سائرين معه بالاضطرار * و دائرين معه لهذه المعاني بالاختيار *

حكى لي مولانا جمال الدين * احمد الخوارزمي احد القراء المشهورين المجوّدين * و كان امام محمد سلطان في حيوته * و امام مدرسته بعد وفاته * ثم خطيبَ بروسا و بها ادركته المنيه * سنة احدى و ثلاثين و ثمانمائة * رحمه الله تعالى قال كنت في سمرقند في مدرسة محمد سلطان * أعلِّم مماليكَه و اولاد الامراء القرآن * فارسل اليه جده الظلوم * و هو متوجه الى بلاد الروم * ان يتوجه اليه * و يَفِدَ هو و الامير سيف الدين عليه * فامتثل ما به امر * و اخذ في اعداد آهبة السفر * و قال لي هيئ مرافقك * و اقطع علائقك * و خذ اهبة سفرك * و اعمل مصلحة رهطك و نفرك * و وافقنا فى المرافقه *

فان من حسن المرافقة الموافقه * فاستعفيته من الذهاب * و
فتحت له في سدّ خُوجةِ السفر كل باب * فقلت له يا مولاي انا
رجل من اهل القرآن و الفاقه * ما لي بفتح باب السفر من طاقه *
لاني ضعيف البنيان * رِخْوُ الاركان * لا جلد لي على الحركه * و ان
كان في صحبة مولانا الامير كلّ خير و بركه * خصوصا على هذا السفر
البعيد الشُقّه * الكثيرِ المشقّه * و مع كوني ليس لي على ذلك
من طاقه * لا جمل لي في مُناخِ السفر و لا ناقه * و اما انتم فالسفر
عليكم حتْم لازم * و حقّ ملازم * لايسعكم فيه التخلف * و لا يفسح
لكم فيه المطْل و التسوّف * فلم يعفني * و تعلّل لي بعلَلٍ عَلّلني
فيها و لم يشفني * فلم ار بدًّا من الاستعداد * وتحصيل الرفيق و
الزاد * ثم سرنا حتي وافينا جده * و قد ركب في الجادّة جِدّه
و جدّة * و رأينا من تلك العساكر * بحارا لا اوّلَ لها و لا آخر * ان
انفرط احد من سالك جماعته * و ضل معتزلا عن سُنَنِ سُنّته *
لا يصل اليهم بالسرج و الشمع * ولايهتدي الى سنة جماعته الا ان
كان يوم الجمع * فبينا انا معهم اسير * و قد وهن منّي العظمُ الكسير *
و اثر فى التعب * و اخذ مني النصب و الوصب * و مللْتُ
السُّرى * و عدمتُ الكرى * نفضت يدى من الرفيق * و اخذتُ
على فجوة من الطريق * فلما ان خلوت * هينمت بالقرآن العظيم
و تلوت * ثم استهواني الذوق و الشوق * فحلّقت بمراشيق حلقي
الى فوق * و كان صوته اطيب من رقيق المقطوع على رخيم
الموصول * و الذ من جمع شمول على كاس شَمول * بنسيم
الشمال معلول * و برضاب الحبيب مشمول * قال و اذا برجلين
ضعيفين * كالعود البالي نحيفين * اشعثين اصفرّين * ذوي طِمرين

اخبرين * بصراني عن جنب * و علقا بي علوق الوتد بالطنب * فجعلا يراقبان احوالي * و يستمعان اقوالي * فلما زمزمت زمزمتي * و كففت هيئمتي * و كنت في خزانة صدري جواهر كلماتي * و ختمت بطابع دعائي زواهر آياتي * بكيا لمناجاتي * و امنا على دعواتي * ثم اقبلا نحوي و سلما * و اهتزا لما سمعاه من تلاوتي و ترنما * و قالا احيى الله قلبك كما احييت قلوبنا * و محوت بما سطرت في الواح صدورنا بحسن تلاوتك ذنوبنا * ثم افهما انساني بالخطاب * و جارياني بالسؤال و الجواب * و اذا هما من صميم الجغتاي و خالص عسكر تيمور * و من ضِئضِئ القتار و سنخ الفتن و الشرور * ثم سألاني عن نجاري و وجاري * و عن رفيقي في هذا السفر و جاري * فاخبرتهما عن مولدي و محتدي * و مسقط رأسي من بلدي * و اني من اهل القرآن * و اني مع محمد سلطان * فقالا لي يا سيدنا الشيخ انما جئنا اليك لتحسن الينا * و انا سائلوك عن شيء فلا تجد فيه علينا * فقلت قولا و طولا * فلن تجداني ملولا * فقالا يا مولانا * هذا شي يعنينا و ان كان قد عنانا * و كل من اشتغل بما لايعنيه * فقد ترك ما يعنيه و وقع فيما يُعَنِّيه * شعر

و من لم يعرف الخير * من الشر يقع فيه

فبالله يا سيدنا قل * من اين تأكل * فقلت على خوان * محمد سلطان * فقالا مأكول هذا العسكر حلال * ام حرام و وبال * فقلت الغالب عليه الحرام * بل كله و الله مظالم و آثام * لانه من التاراج و النهب * و الغارات و الغصب * و الاختلاسات و السلب * فقالا و الله يا امام * لقد اسأنا الادب اذ واجهناك بهذا الكلام * و لكن انتم اهل العلم * شيمتكم العفو عن الجاني و الحلم * و انتم اولى

بجبر الكسير و فك الاسير * و تيسير الامر العسير * فقابل هذا هذا الفحص بالصفح * و لا تعامل هذا الالحاف بالّلفح * فقلت سلا * ولا تسلسلا * فقالا نسألك بالله الذي اصطفاك لخزن كلامه * الذي تعبّد به عباده و بيّن لهم فيه معالم حلاله و حرامه * لا تؤاخذنا بما تهجّمنا عليك به * فان الشيخ المرشد كالوالد الشفوق لايؤاخذ ولده بقلة ادبه * فقلت كلّا سلا ما شئتما * و سلسلا مهما اردتما * فقالا يا سيدنا اما كان لك مندوحة عن مرافقة هؤلاء اللئام * و التعفف بالحلال استغناء عن الحرام * فقلت اني دخلت فيهم و انا مضطر * و خرجت معهم و انا كاره مجبّر * و اكرهني محمد سلطان * و حاباني بما حباني من الاحسان * فصحبتهم و عين ذاتي من كحل الراحة مرها * و حملتني فرسي في سفري كرها و وضعتني كرها * فقالا ارأيتك لو امتنعت عن الخروج اكانوا يريقون دمك * و يأسرون اولادك و يسبون حرمك * فقلت لا والله * و حاشا لله * فقالا اكانوا يحبسونك و يضربونك * و في مقام المصادرة يجلسونك * فقلت انا امنع جنابا * ان يسوموني خسفا و عذابا * لاني حافظ القرآن * و القرآن حافظي من هذا الخسران * قالا فغاية فعلهم معك * اذا رأوا تعززك و تمنعك * انهم كانوا يشتمونك * و يعمدون الى معلومك فيقطعونك * و يسخطون عليك * و يمنعون برهم الواصل اليك * قلت ولا كانوا ايضا يفعلون كذا * و تعززي و تمنعي ما انحط من مكانتي عندهم الى هذا الاذى * و لكنهم حابوني فاستحييت * و خادعوني فانخدعت و ليتني ابيت * فقالا لايصلح هذا لك عذرا و حجه * و لا يسلك بك الى صحة الاعتذار بين يدي الله تعالى سواء المحجه * فهلا جلست في مكانك * و اشتغلت بتلاوة قرآنك *

و مطالعة علمك و مباحثة اخوانک * و فرّغت بدنک عن الکلال * و ملأت بطنک من الحلال * و احتمَيْت في حمي ديذك عن هؤلاء اللئام * و استرحت من الاضطرار الي تناول الحرام * مع انا سمعنا من امثالكم * ما قد ضُرِب في امثالكم * اهل القرآن وقاصّته * اهل الله و خاصته * وانهم عُتَقاوَّه بين خلقه * و ببركاتهم ادرّ سحاب رزقه * و ان السلاطين * ملوک الناس اجمعين * و انكم انتم ملوک الملوک و السلاطين * و اذا اعتقكم الله و اعفاكم الناس * وصرتم لانسان العالم بمنزلة القلب و الكبد و الراس * و لم يبق لاحد عليكم سُلْطَه * ثم القيتم انتم انفسكم بايديكم الي هذه الوَرْطه * و تهافتم على التهالک تهافت الفَراش على النار * و تشبثتم مع كونكم قادرين على الخلاص باذيال الضّر و الاضطرار * فكيف يَصِحّ هذا الاعتذار * و انى ينجيكم هذا العذر من عذاب الملک الجبار * و هل صرتم الا كما قيل

معاشرَ القُرّاء يا ملح البلد * ما يُصْلِحُ الملحَ اذا الملح فسد

فقلت اما اذا حررتما القضيه * فكلنا في هذه المصيبة سويه * مصراع

بي مثلُ ما بِکَ يا حمامةُ فاندُبي

و قيل

بي مثل ما بک يا حمامَ البان * انا بالقدود و انت بالاغصان

فبكيا و انتحبا * و تأوها و التهبا * و تنفسا تنفّسَ الصُّعَدَا * و قالا اين ما بين قصتنا و قصتک في المدي * فوربِّ الخافقين * ان بين القصتين لبُعد المشرقين * و لكن ما للمقال مجال * و ما كل ما يعلم يقال * و ابن السرمن الاعلان * و ان الحيطان لها آذان * فقلت هذا ايضا ليس بحجّه * فلا تعدلا عن سواء المحجّه * فقالا

نحن المضطرون جبرا * المأخوذون قهرا و قسرا * و انا مكتّبون في الديوان * مضافون الى واحد من اعيان الاعوان * اذ اورد علينا مرسوم بالبروز * في يوم عيد مثلا او نوروز * و يكون الخروج وقت الظهر * و تأخّر منا واحد الى وقت العصر * لم يكن له جزاء فيما ارتكبه * الا الصّلبُ او ضربُ الرقبه * فضلا عن ضرب و شتم و شناعَه * او رَفع عدل او تقديم شفاعه * و اين انت عن قعودمّا او تخلّف * او استتار بذيل توار او توقّف * فنحن مدى الدهر لمثل هذا مستوفزون * و عن مثل ما جرى على اضرابنا من هذا البلاء متحرزون * مصيخون ابدا لما اشار و ما امر * عاملون بمقتضى رَحِمَ اللهُ من رأى العبرة في غيره فاعتبر * و يا ليتنا امكننا التحويل عن مملكته * و الرحيل عن اقليم ولايته و سلطنته * وكيف لنا بذلك وهي مسقط رأسنا * ومحلّ آناسنا ومحطّ ايناسنا * و ايلافُ رحلتنا * و مزدرعات معيستنا * و مدرَج آبائنا ومخرج ابنائنا * و مقام قبائلنا و عشائرنا * و مثابة قاطننا و غابرنا * و لو غاب من هوامِّ قبائلنا جُنَجُن * فضلا عن بلبل او هدهد * لَجَحف الباقين سيل الظلم و الحيف * و لتحكم في رقاب سائرنا صائل الموت بالسيف * و اما اذ ابرزنا و عزّمنا * على المسير معه و تجهزنا * فنسأل كَمْ سنةٍ نغيب * و ايّ جهة يُريد ذلك المَريد المُريب * فنأخذ اهبتنا لذلك المقدار * و كل منا ابن عم الآخر و جار * و له جِراب فيه سَويقَه * و معه كُلفةً نفسه وفرسه و عليقه * يصوم مدى الدهر و يفطرعلى ما يَسُدُّ الرمق * و يلبس ما يستر العورة من رَثّ الثياب و الخَلَق * كلّ ذلك من زَرْع ايدينا و كدّنا * و ما بذلنا فيه من عرق جبيننا و الحلال

غاية جهدنا * لا نتعرض لمال احد و لا لغرضه * و لانقف في طريق ابرامه ولانقضه * و لا لاحد عندنا نَشَب * و لا بيننا و بين احد علاقة و لا سبب * ولكن يا مولانا البلاء الطام * و المصاب العام * ثم رَقَصا رؤسَهما يمينا و شمالا * و ارتعدت فرائصُهما هيبةً وجلالا * و ابيضّت شفاههما و اسودّت جِباههما * و اخذا في البكاء و العويل* و انتحيا الانتحابَ العريضَ الطويل* فو الله لقد ذابت نفسي لديهما * و استصغرت كبار المشائخ بالنسبة اليهما * و تفكّرتُ فيما دهاهما من شدة الامر * و علمت انهما هما القابضان يكفيهما على الجَمر * ثم تأوّهْتُ آهًا بعد آه * و قالت بالله يا إخواتاه * و ما هذا البلاء الطام * و المصاب العام * الذي ذكرتماه * قالا خيولنا و مواشينا * و حواملُ مِهادنا و غواشينا * نرفق بها في التحميل * و ما نركبها الا وقت الاعياء في الرحيل * و امر قضيمها قَصَم ظهورَنا * و اعجز اُمورنا * و اضطرّنا الى الخوض في دماء المسلمين و اموالهم* و الجأنا الى رَعي زرعهم و تحمّل وبالهم * و ما ندري كيف المخلص * و انّى ننجو من ذا المَقْنَص * فبالله يا سيدنا الشيخ هل تجد لنا في هذا الامر الغالي رخصه * او هل من قطرة برودٍ تطفى هذه الحرارة و تُسكّن شَرَق هذه الغصّه * فقلت لا و الله * الا عناية الله * و ايم الله لقد اشبعتماني شرا * و جرّعتماني صبرا و مقرا * و اوسعتماني نكدا و ضرا * و كان هموم ما بي * من نصبي و عذابي * يكفيني * الى يوم تكفيني * فقد زدتمائي بلاء على بلائي * و عَناء على عنائي * فبالله من انتما و ما اسماؤ كما * و في اي قطر ارضكما و سماؤ كما * و مع من انتما فحييتما ما حييتما * فخبّراني و لا تُحيراني لاجئ في كل وقت اليكما *

و افوز بالسلام عليكما * فقالا يا مولانا * الحمد لله الذي بروٴيتك
حيّانا * انّ معرفتنا لا تُجْديك شيأ و لا تَبرُكّ * و عدم المعرفة
بذا لا يوٴذيك و لا يضرّك * و الغالب على ظننا يا مولانا انّك
بعد اليوم لن ترانا * و ان قُدِّراجتماعٌ فنحن نسعى على روٴسنا اليك *
و خليفتنا الله و السلام عليك * ثم ودعاني و ما وقفا * و اودعاني
اليَم الفراق و انصرفا * هذا من البحر قطره * و من الطود ذرّه * و
نسأل الله سبحانه و تعالى ان يصون عن الزلل اقوالنا * و عن
الخطل و الخلل افعالنا و احوالنا * و حسبنا الله و نعم الوكيل *

* خاتمة الكتاب *

شف صفحه ۳۲۶

نیم تنی ملک جهان را گرفت * چشم کشا قدرت یزدان ببین
پای نی و تخت بزر قدم * دست نی و ملک بزر نگین

THE TIMURNAMAH.

OR

AJAYABUL MAQDUR FI AKHBAR-I TIMUR.

FOR THE

DEGREE OF HONOR EXAMINATION.

IN

ARABIC.

FOR

OFFICERS IN THE MILITARY AND CIVIL SERVICES,

EDITED BY

MAJOR H. S. JARRETT,

Secy., Board of Examiners.

Published by Authority.

PRINTED BY MAWLVI KABIR-UDDIN AHMAD, AT THE URDU GUIDE PRESS.

CALCUTTA.

1882.